



جامعة وهران 2

محمد بن أحمد

كلية العلوم الاجتماعية

أطروحة

للحصول على شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة

موسومة بـ:

مشكلة اليقيني في الفلسفة العربية الإسلامية

— أبو حامد الغزالي نموذجا —

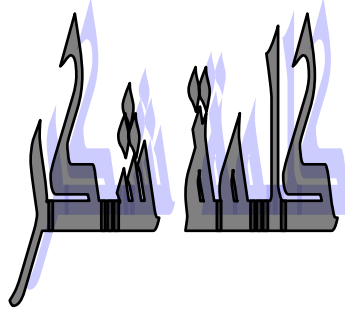
إشراف الأستاذ  
أ.د. منير بهادي

إعداد الطالب:  
ركماوي عبد الله

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
الزاوي عمر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 2
منير بهادي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 2
بوشيبة محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر 2
أحمد مسعود	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر 1
رنيمة أحمد	أستاذة محاضرة أ	مناقشا	جامعة وهران 1
بلعاليا دومة الميلود	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة الشلف

- السنة الجامعية: 2018/2017 -



أتوجه بالشكر لله عز وجل الذي منحني القوة، وسخر لي الأسباب لإتمام هذا العمل.

أوجه شكري للأستاذ الدكتور الفاضل بهادي منير على حسن إشرافه وتوجيهه.

إلى أعضاء لجنة المناقشة.

للدكتور روابحي محمد.

# الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

روح أبي الطاهرة.

إلى أمي العزيزة التي لم تبخل يوماً بدعائها.

إلى زوجتي وابنتي حواء اللتان أخذت من وقتهما الكثير لإتمام هذا العمل.

إلى أخي وزوجته وابنائه.

إلى كل الزملاء .

الصفحة



إن الفلسفة الإغريقية جعلت في العقل الثقة المطلقة في اكتشاف الحقيقة باعتبار أنه مبدأ من مبادئ المنطق الأرسطي ووضعت إلى جانبه الحس إلا أن هذا الأخير رأت فيه الوقوع في الخطأ دائما . حيث احتقر الفلاسفة الإغريق كل ما يستخدم الحس و يقدررون من يستخدم العقل و لقد كان الأثر الذي أحدثه الغزالي في التفكير الإسلامي عظيما ،حيث أنه لفت أنظار المسلمين إلى أهمية المنطق و وجوب دراسته بعدما كان ينظر إليه بعض الفقهاء نظرة تحريم إلا أن الغزالي كان يختلف عن الفلاسفة و المناطقة الذين كانوا يتقون بالمنطق ثقة مطلقة ففي رأيه أن نطاق البرهان و النظر العقلي قاصرين على ان يصلوا بالإنسان إلى اليقين و لقد شك الغزالي في آراء الفلاسفة و المتكلمين و أهل الباطن لإعتمادهم على الحواس و العقل مقرا بأن الحقيقة تأتي من الكشف الصوفي لأن المتصوفة هم السالكون لطرق الله .

هل يمكن أن نصل إلى اليقين عن طريق المنهج الصوفي من دون أدلة عقلية وأقيسة منطقية كما يزعم الغزالي ؟

هل ارتباط الفلسفة العربية الإسلامية بالفلسفة اليونانية و جعلها كمرجعية لها سبب كاف لحدوث أزمة اليقين ؟

هل كان للانتقادات التي قدمها الغزالي للفلسفة و الفلاسفة دور في انحطاط و تأخر الفلسفة العربية الإسلامية ؟

هل كان الغزالي في بحثه عن اليقين واحدا ام متعددا ؟

لقد قال عنه الفيلسوف المشهور رينان لم تنتج الفلسفة العربية فكرا مبتكرا كالغزالي وهذا ما يجرنا إلى أن نتساءل عن مراحل حياته و تقلباته الفكرية و ربما تكون هذه المحطات هي التي جعلت الغزالي يحظى بهذه المكانة المرموقة في الفكر الإسلامي وما كان ذلك إلا بأنه لم يقلد من سبقوه في الكلام أو الفلسفة حيث أنه عمل على بناء نفسه وفكره على أساس هدم كل الأبنية السابقة التي أنشئت من طرف فلاسفة الإسلام.

و لقد كانت للغزالي آرائه في علم الكلام مبينا مقصوده و غايته التي تنحصر في حفظ عقيدة أهل السنة و حراستها عن تشويش أهل البدع و أراد من هذا الموقف أن يمنع من استعمال هذا العلم في إفساد عقائد المسلمين و تشويشهم و من المعروف أن هناك من تمرس بهذا العلم من أهل الجدل و البدع و استعملوا أدلته في إفساد عقائد المسلمين و إلقاء الشبهات بينهم .

و بعدما درس الغزالي علم الكلام حتى اتقنه و صار أحد كبار علمائه و صنف فيه كتب عديدة إلا أنه لم يجد فيه ضالته و بعد ذلك توجه للفلسفة و درسها إلا أنه نقدها بشدة في كتابه تهافت الفلاسفة و كان بسبب ذلك هو أن هولاء و ضعوا أسس فلسفتهم على الفلسفة الإغريقية و كان دور الغزالي في ذلك أن درس نظرياتهم و انتقدها مبينا الخلل فيها و إنشاء طريق خاص به . و نظرا للدور الذي لعبته الفلسفة في عصر الغزالي و التأثير الكبير الذي كان لها في فكر أذكياء عصره و التشكيك في مبادئ الدين الإسلامي و الانحلال و الفساد إلا أن الغزالي تصدى لها و عكف على دراستها لمد سنتين ليصبح من كبار الفلاسفة و أول عالم ديني يقوم بالتحليل العلمي للفلسفة و يصنف علومها التجريبية النافعة و يعترف بصحة بعضها ، إلا أنه كان شديد الانتقاد و الهجوم على الفلاسفة فيما يتعلق بالإلهيات. وقد كفر فلاسفة الإسلام المتأثرين بالفلسفة اليونانية . ليدرس بعد ذلك الحركات الباطنية و يقوم بالرد عليها و مهاجمتها ليستقر به الأمر على التصوف .

اتجه الغزالي نحو التصوف فدرس كتبه و حضر مجالس الشيخ محمد الفارمذي الذي أخذ عنه الطريقة حيث تأثر بهم تأثرا كبيرا. و لم يكن التصوف أمرا مستحدثا جديدا لكن في حقيقته أنه مأخوذ من السيرة النبوية و حياة الصحابة الكرام كما أنه ليس مستقى من أصول لا تمت إلى الإسلام بصلة كما يزعم أعداء الإسلام المستشرقين و أتباعهم الذين ابتدعوا أسماء مبتكرة فأطلقوا اسم التصوف على الرهينة البوذية و الكهانة النصرانية و الشعوذية الهندية فقالوا هناك تصوف بوذي و هندي و نصراني و فارسي و غايتهم من ذلك تشويه

اسم التصوف من جهة و إتهام التصوف بأنه يرجع في نشأته إلى هذه الأصول القديمة والفلسفات الضالة من جهة أخرى و لكن الإنسان المؤمن لا ينساق بتياراتهم الفكرية ولا يقع في شباكهم الماكرة الخادعة و يتثبت في البحث عن الحقيقة فيرى أن التصوف هو التطبيق العلمي للإسلام و أنه ليس هناك إلا التصوف الإسلامي الذي إنتشر كنزعات فردية تدعوا إلى الزهد و شدة العبادة و بعد ذلك تطورت تلك النزعات لتصبح طرقا مميزة تعرف باسم الصوفية و يتوخى المتصوفة تربية النفس و السمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف و المشاهدة .

فحجة الإسلام الغزالي كان من اولئك المتصوفة حيث اعتزل الناس لمدة 11 سنة ليكتب خلالها كتابه المشهور في التصوف " إحياء علوم الدين " الذي حاز شهرة و انتشارا ليقر بأنه انكشفت له أثناء الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها و تيقن بأن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى و أن سيرتهم أحسن السير و أصوب الطرق طريقهم .

و من أهم الأسباب التي دفعتني لتناول هذا الموضوع هي رغبتني في تحضير بحثي للدكتوراه عن أحد رموز و أقطاب الفكر العربي الإسلامي و قد وقع اختياري على أبو حامد الغزالي و كذلك رغبة مني في معرفة أسباب أزمة اليقين في الفلسفة العربية الإسلامية و ما هي الحلول التي يمكن أن تفك مشكلتها ،اضافتنا اهتمام الغزالي بالبحث عن الحقيقة واهتمام دور النشر الأوروبية بكتبه و العلم الغزير و الموسوعي الذي غطى به في حياته العلمية ومكنه من الخوض في كل مشكلة من مشاكل الأمة.

أما فيما يخص المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي التاريخي لأنني أراه المنهج المناسب للوقوف على إجابة الإشكالات المصاغة .

و لتناول مشكلة اليقين في الفلسفة العربية الإسلامية وضعنا الفصول والمباحث التالية :

نبتدئها بفصل أول نتناول فيه الأوضاع السياسية و الاجتماعية لعصر الغزالي و ظهور منهج الشك عنده . ضمن أربعة مباحث أولها فيه الحياة السياسية و الاجتماعية لعصر



الغزالي ، و في المبحث الثاني نشأة المدارس النظامية ومكانة الغزالي و دوره فيها و في الثالث نظرية المعرفة ودور المنطق عند الغزالي وفي المبحث الرابع منهج الشك عند الغزالي. و الفصل الثاني نتناول فيه حقيقة علم الكلام وموقف الغزالي منه و من المتكلمين ضمن أربعة مباحث في اولها نشأة و اهداف علم الكلام و في ثانيها ارتباطات و علاقات علم الكلام و ظهور الفرق الكلامية و في ثالثها مكانة ودور علم الكلام عند الفلاسفة المسلمين وفي الرابع موقف ابو حامد الغزالي من علم الكلام و المتكلمين . و الفصل الثالث نتناول فيه موقف الغزالي من الفلسفة و الفلاسفة في أربعة مباحث اولها نتناول فيه دراسة ابو حامد الغزالي للفلسفة و في المبحث الثاني اصناف الفلاسفة و اقسام علومهم و المبحث الثالث فيه دور وموقف الفلاسفة الاسلاميين من الفلسفة وفي الرابع موقف أبو حامد الغزالي من الفلسفة و الفلاسفة . و نتناول في الفصل الرابع الحركات الباطنية في العالم الاسلامي وموقف أبو حامد الغزالي منها ضمن أربعة مباحث في الأول نقف عند نشأة الباطنية ووصولها للعالم الاسلامي و في المبحث الثاني الاثر الفكري و السياسي و الاجتماعي للحركات الباطنية في العالم الاسلامي . و في المبحث الثالث تأثير الحركات الباطنية على المذاهب وفي المبحث الرابع موقف أبو حامد الغزالي من الحركات الباطنية و في الفصل الخامس نتناول حقيقة التجربة الصوفية و وصول الغزالي الى اليقين ضمن أربعة مباحث اولها يتناول التصوف الأصل و النشأة و في الثاني الاسس والمذاهب الصوفية و في المبحث الثالث حقيقة منهج الغزالي و وصوله لليقين وفي المبحث الرابع المشاهدة والكشف في منهج الغزالي والوصول إلى السعادة وفي الفصل السادس والأخير النبوة عند الغزالي وحقيقة التصوف الفلسفي ضمن أربعة مباحث أولها النبوة عند الغزالي واضطرار الخلق إليها وفي الثاني طريق الهداية وعقبات طريق العبادة عند الغزالي وفي الثالث حقيقة التصوف الإسلامي والتصوف الفلسفي وفي المبحث الرابع تناولت نماذج لشخصيات التصوف الفلسفي.

أما فيما يخص الدراسات السابقة فهناك العديد من الدراسات التي تناولت الغزالي في مجالات متعددة منها رسالة ماجستير للطالبة حاجي مباركة و الموسومة بالظاهرة الجمالية بين ابن حزم الاندلسي و ابي حامد الغزالي من خلال طوق الحمام و احياء علوم الدين .  
و كما لا تخلو أي دراسة او بحث علمي من المشاكل فقد صادفتني اثناء انجاز عملي هذا العديد من المشاكل منها ما يتعلق بالمنهجية حيث يصعب التعامل احيانا مع بعض المصادر و المراجع و كذلك قلة المراجع التي تتناول فكر ابو حامد الغزالي .

الفصل الأول

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي.

لقد سكن الأتراك بلاد الباب التي تم فتحها على يد الجيوش الإسلامية عام 642 م حيث كان على رأس الجيش الإسلامي عبد الرحمن بن ربيعة الذي التقى بالملك التركي شهر براز وطلب هذا الأخير من عبد الرحمن الصلح مبدئياً استعداداً للمشاركة في الجيش الإسلامي لمحاربة الأرمن ولقي هذا التحالف مباركة الخليفة عمر بن الخطاب حيث: لم يقع بين الترك والمسلمين أي قتال بل سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام فيها.<sup>1</sup> وساعد هذا التحالف بينهما في دخول الأتراك في الإسلام ووقفهم إلى جانب الجيش الإسلامي لنشر الإسلام ونصرتهم حيث تم فتح طبرستان في عهد الخليفة عثمان بن عفان. وواصلت الجيوش الإسلامية تقدمها في تلك الأقاليم فتم فتح بلاد تجاري في عهد معاوية بن أبي سفيان وتوغلت تلك الجيوش المظفرة حتى وصلت سمرقند وما إن ظهر عهد الدولة الراشدية الإسلامية حتى صارت بلاد ما وراء النهر جميعها تحت عدالة الحكم الإسلامي وعاشت تلك الشعوب حضارة إسلامية عريقة.<sup>2</sup>

وبعد دخول الأتراك إلى جانب المسلمين وأولو ولائهم للخلفاء والأمراء. شرعوا في تولي المناصب القيادية والإدارية في الدولة فكان منهم الجند والقادة والكتاب وقد إلتزموا بالهدوء والطاعة حتى نالوا أعلى المراتب ولما تولى المعتصم العباسي الخلافة فتح الأبواب أمام النفوذ التركي واسند إليهم مناصب الدول القيادية وأصبحوا بذلك يشاركون في تصريف شؤون الدولة.<sup>3</sup>

إلا أن إهتمام المعتصم في ذلك الوقت بالأتراك وتقليصه للفرس أثار سخط الناس عليه وهذا ما دفعه إلى تأسيس بلدة جديدة التي سميت سامراء حيث أقام فيها هو وجنده.

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الامم والملوك، دار الفكر ، دمشق 1979م (ص 256 - 257).

<sup>2</sup> علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ط 1 ، دار المعرفة - 2005 م.

<sup>3</sup> علي محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ط 1 مؤسسة اقراء، القاهرة مصر. 2006 ص 20.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

وهكذا بدا الأتراك منذ ذلك التاريخ في الظهور في ادوار مهمة على مسرح التاريخ الإسلامي حتى أسسوا لهم دولة إسلامية كبيرة كانت على صلة قوية بخلفاء الدولة العباسية عرفت بالدولة السلجوقية.<sup>1</sup>

### ظهور السلاجقة:

وما تداولته كتب التاريخ هو ان العهد السلجوقي في الفترة الزمنية ( 576/447 هـ - 1054 / 1179 م) بعدما تخلصت الخلافة العباسية من العهد البويهي. والسلاجقة هم قبيلة من القبائل التركمانية التي اتخذت من بلاد ما وراء النهر بلدا لها. وجاءوا الى بغداد و قضاوا على البويهيين<sup>2</sup>.

وينتسبون الى جدهم دقاق الذي كان في هذه المرحلة من تاريخ السلاجقة. مقدم الاتراك الغز مرجعهم إليه لا يخالفون له قولاً ولا يتعدون له امراً<sup>3</sup>.

والغز هو اصل تلك القبائل التي كانت تسكن الأراضي الواقعة بحر ارالي وبحر قزوين جنوب المرتفعات وسهول نهري جيحون وسيحون. اما تسميتها للسلجوقية فتعود الى الرئيس الذي استطاع ان يوحد كلمتها ويجمع شملها وهو سلجوق بن دقاق الجد. ولقد اعتنقوا الاسلام وفق مبادئ المذهب الحنفي<sup>4</sup>.

لقد استطاع دقاق بيغو احد ملوك الترك ان يوفق في وظيفته العسكرية فظهرت عليه علامات القيادة والتقدم وهذا ما اثار مخاوف زوجة الملك التي رأت ان حب الناس وانضمامهم له يزداد يوم بعد يوم فاغرت زوجها بقتله إلا أنه ما ان عرف سلجوق بذلك حتى اخذ اتباعه ومن اطاعه وتوجه الى دار الاسلام واقام بنواحي جند<sup>5</sup>.

1 عبد اللطيف عبد الله دهيش ، قيام الدولة العثمانية ، ط 2 مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة . 1995 ص 12.

<sup>2</sup> ينظر الشبايني ، الكامل في تاريخ تحق: ابو الفداء عبد الله القاضي ، ط 2 ، دار الكتب العلمية بيروت 1995 ، ص 71.

<sup>3</sup> ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، دار الفكر بيروت ، 1978، ص 22.

<sup>4</sup> انظر: حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، بغداد 1965، ص 23.

<sup>5</sup> علي محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص 21 .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

ولقد اعلن سلجوق اسلامه وبدا يشن هجوماته على الكفار من الاتراك ، وحتى بعد وفاته واصل الاولاد غاراتهم ضد الوثنيين الترك لحماية المسلمين وازدادت قواتهم ونفوذهم وازداد حب الحكام المسلمين لهم. فقد غزا ميكائيل بن سلجوق بعض بلاد الكفار من الترك فقاتل حتى استشهد في سبيل الله<sup>1</sup>.

لقد تعاضمت قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر مع بداية القرن الخامس الهجري وهذا ما دفع بالسلطان محمود الغزنوي لمقاتلتهم وهناك تم القبض على زعيمهم ارسلان وولده وبعض اصحابه وارسل بارسلان الى الهند ليموت في السجن ولم يتوقف محمود عند هذا القدر وإنما واصل هجوماته على السلاجقة الى ان سحقهم وبالرغم من هزيمتهم (السلاجقة) إلا إنهم لم يتوانوا يوماً عن التفكير في الإنتقام من السلطان محمود. فكان لهم ذلك و بعد وفاة السلطان محمود وقيام ابنه مسعود بمهام السلطان عام 421 هـ حيث تمكنوا من الانتصار على جيوشه.<sup>2</sup>

عرض السلاجقة على مسعود الصلح فوافق إلا أنه كان يدرك الخطر الذي سيحدث به من السلاجقة فقام بالاشتباك معهم في مكان يعرف باسم الدندانقان وانهزموا هناك ليصبح السلاجقة قوة عظمى. في حين كان الغزنويون قد ضعفوا بعد ان فقدوا غالبية جيوشهم وخسروا العديد من ممتلكاتهم.<sup>3</sup>

وكان لهذا الصراع في المنطقة الأثر الإيجابي في المنط قة حيث وضع حد لحكم الغزنويين في خراسان اتاحت المعركة قيام سلطنة إسلامية جديدة وانحصارها تحت ظل واحد. كما تعد إحدى المعارك الكبرى الفاصلة في التاريخ الإسلامي بل وان نتائجها تعدت العالم الإسلامي واثرت على عالم العصور الوسطى.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> انظر: على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ص 21.

<sup>2</sup> ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ص 25.

<sup>3</sup> المرجع السابق. ص 29.

<sup>4</sup> محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ، ط 2 ، دار النهضة العربية، بيروت 1999 ، ص 29

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

كما أدى ذلك الصرع الى ظهور اول دولة تركية مسلمة مقابلة لأتراك الشرق هي الدولة القراخانية نسبة لأحد ملوكها " قرخان " وقامت هذه الدولة بمحاربة اعداء الاسلام ولا سيما المجاورين لها «الأتراك الوثنيين» كانت الغنائم التي حصل عليها السلاجقة في معركة دندانقان كثيرة جدا وبعد انتصارهم في تلك المعركة عاد طغرل بك الى نيسابور فدخلها مع جموع في اواخر عام 431 هـ واولئ 432 هـ.<sup>1</sup>

ولقد اجتمع طغرل بك وجغري بك وعمهم موسى بن سلجوق وابناء الاعمام وكبار القوم ، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم.<sup>2</sup>

وكانت ثمرة اتحادهم هي فتوح العديد من البلدان على غرار اذري جان ، همدان ، كرمان، وجرجان وتم تقسيم هذه الولايات بينهم.

من اجل تنظيم ادارة دولتهم فقد قسمها السلاجقة الى اقاليم وعينوا على كل اقليم منها حاكماً من افراد البيت السلجوقي واطلقوا عليه لقب « شاه» و« ملك» واما الرئيس الأعلى للدولة باجمعها فاطلق عليه لقب « سلطان » وكانت له الكلمة النافذة في جميع انحاء الدولة وبهذا التنظيم وطد طغرل بك سلطته في تلك البلاد وضمن للوحدة بين افراد اسرته.<sup>3</sup>

وبعد الإنتصارات التي حققها السلاجقة والترتيبات التي قاموا بها في الولايات التابعة لهم ادركوا انه لا بد من رضا الخليفة العباسي فقاموا بارسال رسالة له تتضمن ولائهم له وتمسكهم بالدين الإسلامي وكان انذاك الخليفة « القائم بأمر الله» الذي تولى الخلافة بعد ابيه. « كانت بيعته في ذي الحجة سنة 422 هـ / تشرين الثاني سنة 1031 م. وبقي خليفة الى 13 شعبان سنة 467 هـ / 3 نيسان سنة 1075 م ، فكانت مدة ولايته 44 سنة و 25 يوماً».<sup>4</sup>

<sup>1</sup> انظر: على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص 41

<sup>2</sup> سميرة الجبوري، الدولة السلجوقية منذ قيامها. ص 128

<sup>3</sup> على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص 42.

<sup>4</sup> الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج و ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص399.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

كان للسلاجقة ما يتمنونه فقد نالوا اعتراف الخليفة العباسي بدولتهم. فتوطدت العلاقة بين الخليفة القائم بامر الله وطغرل بك. ولما اطمئن طغرل بك على دولته طمح الى توسيع رقعتها فتوجه الى العراق للسيطرة عليها وكان له ذلك مبتدئاً ببلاد فارس ثم العراق. وبعد ذلك توجه طغرل بك الى خوارزم لفتحها وكان ذلك عام 434 هـ.<sup>1</sup>

### **دخول السلاجقة العراق ومحاربتهم للحركة الباطنية:**

بعدهما فرض السلاجقة سيطرتهم على بلاد فارس اصبحوا القوة الكبرى في العالم الإسلامي ، توغلوا داخل اراضي الدولة البيزنطية واصطدموا بجيش الروم وبذلك اعطوا دفعة قوية للجهاد ضد الروم الذين عاشوا فسادا ايام البويهيين في اراضي الخلافة العباسية لعدم قدرة الخلافة ولعدم اكتراث امراء البويهيين بالجهاد وقد اكسب هذا العمل وبهذه الصورة السلاجقة شعبية كبيرة وسمعة حسنة بين جماهير الناس التي كانت في الماضي القريب ترى وتسمع عن تغطرس الروم وتتادي السلطة بضرورة مجابتهم دون جدوى.<sup>2</sup>

قام السلاجقة باحتلال بغداد بعد دعوة من الخليفة العباسي والوزير رئيس الرؤساء لأن الوضع السياسي في العراق انذاك مساعداً ومشجعاً ب أن يحتلها طغرل بك. لقد ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد ونصروا مذهبها السني بعد ان أوشكت على الإنهيار بسبب النفوذ البويهي الشيعي في ايران والعراق والنفوذ العبيدي « الفاطمي » في مصر والشام فقضى السلاجقة على النفوذ البويهي تماما وتصدوا للخلافة العبيدية «الفاطمية».<sup>3</sup>

وبعد أن قضى طغرل بك على النفوذ البويهي ودخوله الى الخلافة العباسية حظي بترحيب كبير من الخليفة القائم بامر الله مادحه باعظم الالقاب منها لقب السلطان حيث كان هذا الأخير (السلطان). يكتسب صفته الشرعية من اعتراف الخليفة العباسي به، وله عاصمة

<sup>1</sup> انظر: على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص 44.

<sup>2</sup> انظر: على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص 47.

<sup>3</sup> عصام محمد شيارو ، السلاطين في المشرق العربي ، دار النهضة العربية لبنان 1994 ص 171.



## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

يتخذها دار لملكه وهو المسؤول عن السياسة العامة وعلان الحرب وقيادة الجيوش وتعيين الحكام والقادة واقطاع الاراضي وفرض الضرائب ورفعها.<sup>1</sup>

لقد حارب السلاجقة الدعوة الفاطمية نظر للخطر الذي كانت تشكله عليهم بعد احتلالهم بغداد واقتربهم من الخليفة القائم بامر الله حيث: اتبعوا سياسة حكيمة بعد أن قضوا على زمام الامور في بغداد تتمثل في مناهضة الدعوة الفاطمية.<sup>2</sup>

ولم يقف صراع الدولة السلجوقية عند الفاطميين فقط وإنما تعداه الى الصراع مع الروم بعدما استطاع ابراهيم ينال ان ياسر ملكا كبيرا للروم. ولقد عمل السلاجقة على تهدئة الأمور والفتن بتوحيد العالم الإسلامي وتوسيع رقعة الإسلام في بلاد الروم وعملوا على إنها سيطرة المذاهب المتطرفة والمغالية التي انحرفت عن الدين كالإسماعلية الباطنية والحشاشة.<sup>3</sup>

ويعد وفاة طغرل بك Taghrol Beg جاء ان اخيه « الب ارسلان » Alp Arslan.

وهو السلطان الكبير بعد الملك العادل عضد الدولة ابو شجاع الب ارسلان محمد بن السلطان جغري بك داود ميكائيل بن سلجوق بن ثقاق بن سلجوق التركماني. الغزي من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم.<sup>4</sup>

عمل الب أرسلان على الحفاظ على نفوذ السلاجقة والجهاد في سبيل الله وقد كان مهتما بدراسة تاريخ الأمم ، و توفي السلطان الب ارسلان في جمادى الآخرة سنة خمس وستين واربعمئة وله اربعون سنة.<sup>5</sup> فنتولى ابنه ملكشاه السلطة بناء على توصية السلطان الراحل حيث جمع حوله قواد الجيش وأعيان الدولة. ولقد اثبت السلطان الجديد قدرته ورغبته في الإصلاح والتعمير.

<sup>1</sup> انظر: احمد كمال الدين حلمي ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ص 209.

<sup>2</sup> جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 208.

<sup>3</sup> انظر: عبد الكريم عثمان ، سيرة الغزالي واقوال المتقدمين فيه ص 25.

<sup>4</sup> انظر: على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة، ص 71.

<sup>5</sup> شمس الدين الذهبي، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ط 7 ص 417.

## الحال العلمية في عصر الغزالي :

عرف عصر الغزالي حركة علمية دائبة و عرف العلماء بجديتهم في طلب العلم  
رغبة منهم في الجاه و الشهرة و يتخذونه وسيلة للزلفى الى الرؤساء . بل وحتى الرؤساء  
كانوا في حاجة الى مؤازرة العلماء لأن :الدين كان هو الوسيلة الوحيدة في ذلكم الوقت  
لإقامة صرح ملك وذاك آخر إذ خلط الزعماء السياسيون الدين بالسياسة ليصبغوا أغراضهم  
بصبغة دينية حتى يوهموا العامة أنهم يعيدون عن المطامع الشخصية ، وقد عرف الرؤساء  
بذلك كيف يسيطرون على نفوس العامة لأن الدين له تأثير كبير على النفوس فهي إلى  
دعائه أشد استجابة من أي داع آخر .

نظرا لتلك الحركة العلمية الدائبة أقام السلاجقة مدارس فانفق عليها نظام الملك وزير  
آل سلجوق ،حتى بلغت نفقاتها في العام 600000 دينار<sup>1</sup> وكان هذا العمل الجبار الذي قام  
به نظام الملك سببا في التفاف العلماء من حوله وجعله محبوبا عند العلماء وعشقوا مجالسه  
متخذين منه ندوة علمية ،وما زاد من محبة العلماء و الحكام هو اشتراكهم في العدو الواحد  
الذي اقلقهم وارهبهم وهدد امنهم الا وهو المعتزلة و الفلاسفة «فلا عجب أن يتآمر الحكام  
ورجال الدين على الفلاسفة و المعتزلة هؤلاء يطاردونهم بالسيف و أولئك يطاردونهم بالطعن  
و التحقير»<sup>2</sup>

إن الفتنة التي نتجت عن مطاردة رجال الدين و الحكام لأرباب الفكر جعلت العلماء  
يخشون على انفسهم و يكتمون آراءهم في صدورهم .ويرقبون -في جلسة- فترات تغفل فيها  
عنهم أعين الرقباء ،ليبوحوا بها لتلاميذ يصطفونهم ،أو يودعوها كتباً تحت ستار علم آخر .<sup>3</sup>  
وأوضح مثال لهذا وإن لم يكن هو المثال الوحيد " محمد بن علي بن الطيب " المتوفى سنة  
346هـ فيذكرون عنه أنه كان إماما عالما بعلم كلام الاوائل إلا أنه خشى أهل زمانه فلم يشأ

<sup>1</sup> زكي مبارك ،الاخلاق عند الغزالي ، منشورات المكتبة العصرية د.ت ص 16 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ،ص16

<sup>3</sup> سليمان دنيا ،الحقيقة في نظر الغزالي ،دار المعرفة بمصر 1965 ،ص ص 16 17 .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

الظهور صراحة بمظهر الفيلسوف فأخرج مذهبه في صورة المذاهب الكلامية ، التي لم تكن مع ذلك حائزة لرضى أهل السنة في عصره هي الأخرى ، ولكنها كانت على كل حال أقل خطرا من الفلسفة الصريحة ، لأنها على الأقل نمت على تربة إسلامية .<sup>1</sup>

### الحياة الثقافية في عصر الغزالي :

لقد عرف العالم الاسلامي في عهد الغزالي العديد من الروافد الثقافية ناهيك عن المصدر الإسلامي الأصيل والمتمثل في القرآن والسنة و آراء الصحابة. وليس هذا فقط بل كانت هناك مؤثرات خارجية اخرى منها الثقافة اليونانية « وجملة القول ان الثقافة اليونانية كانت هي السائدة في بيئة شرقنا هذا منذ فتوح الاسكندر ، وظلت متقدمة مع الزمن ويضاف اليها عوامل تختلف باختلاف الأزمان وقد اختلطت بالفلسفة الهندية و الفارسية والمصرية ولكنها ظلت هي الظاهرة المسيطرة الى ان جاء المسلمون الذين نشطوا بعد تأثيل الملك الى اقتباس مدينة من سبقهم فوجدوها ميسرة»<sup>2</sup>

كما كان للافلاطونية الجديدة الأثر البالغ في الفكر الاسلامي وخاصة الصوفي منه. أما عن تأثير الفلسفة الهندية كان في آخر القرن الثالث الهجري بصفة خاصة على الفكر الصوفي من ناحية الفكرة القائلة بالفناء الروحي وكذلك عرف الفكر الاسلامي تأثير الفلسفة الفارسية التي اثرت فيه بالافكار الشيعية و من هذا نخلص الى نتيجة وهي أن الفكر الاسلامي في تلك الفترة عرف ثلاث مراحل ففي الأولى امتزج بالثقافات الأخرى وفي الثانية كانت هناك محاولة التقريب بين الفلسفة و الدين و الثالثة كانت هناك ثورة من الدين على الفلسفة وذلك هو عصر الغزالي الذي كان له الأثر البالغ في الفكر في تلك الفترة .

لقد عرفت تلك الفترة التوسع في الفكر وظهور العديد من الممل و النحل وأصبح المجتمع عجيبا « امتلئت الحقائق التاريخية بمئات من الطرق والمذاهب الدينية والفلسفية والكلامية ،حتى اصبح لكل لسان درب و مذهب خاص به ،ولكل قلم ممتلئ أمة فكرية

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص 17 .

<sup>2</sup> انظر : عبد الكريم العثمان ، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، قدم له : احمد فؤاد الأهواني ، دار الفكر ، دمشق ، دت ، ص 29 .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

تتبعه<sup>1</sup> وحتى الصوفية نادوا بالعبادة العلمية أو الكشف و المشاهدة لتمتج في الأخير بالمذهب اليوناني والهندي والفارسي .

لقد عبر ابن خلدون عن كثرة تلك الأفكار بما جاء في كتابه العبر « كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة في العالم منذ بدء الخليقة فيما علمناه ، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن ، وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون ... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الامامة ومذاهبها وبين الحنابلة والشافعية ، وغيرهم من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام احمد وحاشاه منه فيقع الجدل والنكير ثم يفضي ذلك الى الفتنة بين العوام وتكرر ذلك ...<sup>2</sup> » وما زاد من تأجيج الوضع إبان تلك الفترة هو محاباة بعض الحكام لطائفة دون اخرى كما هو الشأن بالنسبة للأشاعرة التي لقت الترحيب و الاهتمام من قبل نظام الملك الذي اعاد لها شأنها وقوتها .

---

<sup>1</sup> عبد الكريم عثمان ،سيرة الغزالي واقوال المتقدمين فيه ، ص 30 .  
<sup>2</sup> اظر :نفس المرجع ،ص 31 .

**المبحث الثاني: نشأة المدارس النظامية ومكانة الغزالي ودوره فيها.**

رغم الإختلاف القائم بين المفكرين والعلماء حول بداية نشأة المدارس الإسلامية حيث يزعم البعض على انها بدأت مع المدارس النظامية التي انشاها نظام الملك. لكن بالرجوع إلى المصادر والكتب المتخصصة نجد أن أول ظهور للمدرسة كان في اواخر القرن الثاني واولئ الثالث الهجري.<sup>1</sup>

لقد عرفت تلك الفترة نشأة بعض المدارس إلا أنها كانت أحادية المذهب حيث تفردت بتدريس مذهب واحد. كما أن هناك مدارس انشئت قبل المدارس النظامية منها مدرسة الإمام حفصي الفقيه البخاري ومدرسة ابي حيان ومدرسة ابي الوليد. وقد ذكر بعض المؤرخين أن الغزنويين إهتموا بالمدارس من خلال بعض امرائهم كالنصر بن سيكتكين حينما كان والياً على نيسابور وسماها السعدية.<sup>2</sup>

استطاعت الحركة الباطنية التغلغل في البلاد الإسلامية حيث لم يسلم عضو من هذا الفكر الذي عرف توسعاً كبيراً في اقليم خراسان نظراً لوجود منظرين ومغذيين لها بالاراء الفلسفية. قد إتخذ هؤلاء وسيلتهم الإقناع والحجة عن طريق الحوار والمناقشة.<sup>3</sup>

ولما عرف المد الشيعي والاسماعيلي الباطني توسعاً كبيراً في فترة حكم السلطان الب ارسلان دولة السلاجقة وكان الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك وزيراً له حيث كان رجلا سنيا فرى ان هذا المد الذي انتشر للشيعه والباطنية لا يمكن ان يقاوم إلا بوسائل فكرية متعددة مماثلة له مستعملة الحجة والبرهان. كما قام ائمة الشيعة الإمامية بنشر أفكارهم في بيوتهم الخاصة والمساجد التي دفن فيها ائمتهم. وليس هذا فقط بل قام الحاكم بلنشاء دار الحكمة ووضعت فيها الكتب فاصبح يرتادها الناس فمنهم من يقرأ ومنهم من يكتب وهذا كله من أجل تثقيفهم بثقافة واسعة لينتشر وا وبعدها في البلدان

<sup>1</sup> على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، دار ابن الحوزي ، القاهرة ، مصر ، 2007 ، ص 9.

<sup>2</sup> انظر: على محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص 279.

<sup>3</sup> عبد الهادي محمد رضا محبوبة ، نظام الملك ، دار المصرية اللبنانية ص 353 ص 354.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

الإسلامية لنشر المذهب الإسماعيلي. لذلك كله فكر نظام الملك في أن يقاوم النفوذ الشيعي بنفس الاسلوب الذي ينتشر به ومعنى ذلك انه رأى أن يقرن المقاومة السياسية للشيعية بمقاومة فكرية ايضاً.<sup>1</sup>

وهذا من أجل الحفاظ على مكانة كتاب الله وسنة نبيه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والعقيدة وإبعادها عن كل ما يؤدي الى التشكيك فيها وتفريق أهل السنة والجماعة.

ومن هنا كان تفكيره في انشاء المدارس النظامية التي نسبت اليه لأنه جد في انشائها وخطط لها ، و أوقف عليها الأوقاف الواسعة واختار لها الاكفاء من الاساتذة فكان من الطبيعي ان تنسب اليه من دون السلاجقة.<sup>2</sup>

عرف نظام الملك بأنه كان سنياً شافعيّاً غيراً على الاسلام حريصاً على تطبيق تعاليمه وكان مشدداً على توجيه الرعاية الى ما يخدم الدولة الاسلامية ويحافظ على استقرارها وسكينتها. لذا كان هم نظام الملك التآكيد في مواضيع الدراسة على إفهام الناس عامة ومنتسبي النظامية خاصة على اصول الدين الصحيحة ولما كان نظام الملك شافعيّاً كان يرى ان يدرس الفقه والاصول المستمدة من افكار وراء الشافعية وكان من شروط النظامية ان يكون المدرس من الشافعية اصلاً وفرعاً.<sup>3</sup>

وبوجود هاذين المذهبين المختلفين في المنهج والتفكير ألا وهما المذهب الشيعي الذي تتناصره الخلافة الفاطمية والمذهب السني الذي يناصره السلاجقة واحتدام الصراع بينهما على النفوذ والسلطة. إلا أن الصراع لم يقتصر على المذهبين الرئيسيين بل انقسم كل مذهب الى عدة فرق متناحرة تصارع بعضها البعض.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> د. عبد المجيد ابو الفتوح ، التاريخ السياسي والفكري ، دار الوفاء المنصورة مصر ط 2 1988، ص 179.

<sup>2</sup> انظر: على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 13.

<sup>3</sup> نفس المرجع نفس الصفحة..

<sup>4</sup> انظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ ص 294.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

كان لزاماً ان تنتشأ المدارس النظامية التي كان لها دوراً بارزاً في ازدهار العلم ونصر الاسلام والحفاظ على وحدة اهل السنة والجماعة وظهور العديد من العلماء والمفكرين. وهذه المدارس النظامية التي بناها نظام الملك لها دور كبير في اخراج العلماء ، ووقف عليها الاوقاف، وظلت للمدارس زمناً ليس بالقليل، وتخرج منها كثير من العلماء والادباء.<sup>1</sup> ولقد كانت لهذه المدارس أهداف التي انشئت من اجلها لأن انشائها لم يكن إعتباطياً ومن بين هذه الأهداف:

1- تحقيق العبودية لله وحده إذ لا يعبد الإنسان احد آخر من غير الله وبيتعد عن التفكير في وجود الهة من غير الله ويتفرد بعبادته لوحده وذلك تبعاً لقوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون».<sup>2</sup>

2- التطبيق الأمثل للشعائر الدينية على أكمل وجه من خلال التعليم الصحيح وهذا لأن العبادات جاءت لعبادة الله وحده.

3- ويترتب على الهدف السابق هدف آخر هو إعداد الإنسان الصالح بنفسه المصلح لغيره وذلك اعتبر هذا الهدف مهما من وجهة نظر التعليم الإسلامي فالتعليم الإسلامي يعد الفرد لكي يكون أمراً بالمعروف معينا عليه وعلى فعله وناهياً عن المنكر داعياً الى تركه بعد أن يكون هو نفسه قد امتثل هذا الامر أو النهي.<sup>3</sup>

4- إطلاق العنان للطلاب لتوسيع افكارهم و تنمية خبراتهم.

5- توفير الظروف والجو الملائم للاستاذة لمساعدتهم على الإنتاج و الإبداع الفكري من أجل إنتاج علوم ومؤلفات جديدة.

6- الوقوف في وجه المد الشيوعي ونشر الفكر السني.

7- تحضير علماء ومعلمين متمكنين من الفكر السني ليقوموا بنشره.

<sup>1</sup> د. زكي مبارك، الاخلاق عند الغزالي ، منشورات المكتبة العصرية ببيروت . د. ت. ص 21.

<sup>2</sup> القرآن الكريم . الذريات الاية 56.

<sup>3</sup> انظر: على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 14.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

8-خلق طائفة من الموظفين السنيين ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة وادارة دواوينها وخاصة في مجال القضاء والادارة.<sup>1</sup>

ولتحقيق هذه الاهداف اتخذ نظام الملك مجموعة من الوسائل منها:

أ-الأماكن: فمن ناحية الأماكن التي انشئت النظاميات فيها يقول السبكي عن نظام الملك انه بنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصفهان ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل.<sup>2</sup>

ب-إختيار الأساتذة والعلماء يكون بعناية ويكونوا من أعلام عصرهم يشهد لهم بالنبوغ في علوم الشريعة.

ت-تحديد منهج الدراسة كما عني نظام الملك باختيار الأساتذة الأكفاء لمدرسه ، فإنه حدد منهج الدراسة الذي ستسير عليه هذه المدارس ويتضح هذا المنهج مما ورد في وثيقة وقفية نظامية ببغداد من أنها: وقف على اصحاب الشافعي اصلاً وفرعاً وكذلك شرط في المدارس الذي يكون بها.والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب.<sup>3</sup>

ث-توفير الإمكانيات المادية: لم يبخل نظام الملك بتوفير الإمكانيات المادية التي تعين هذه المدارس على النهوض برسالتها على أكمل وجه ، ولذا نراه ينفق عليها بسخاء ويخصص لها الأوقاف الواسعة.<sup>4</sup>

وفي هذا الشأن يقول ابن الجوزي نظام الملك وقف على مدرسته ببغداد ضياعا واملاكا وسوقا بنيت على بابها وانه فرض لكل مدرس وعامل بها قسطا من الوقف واجرى للمتفهمة (الطلاب) اربعة ارطال خبز يوميا لكل واحد منهم.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> د. عبد المجيد ابو الفتوح ، التاريخ السياسي والفكري ، ص 179.

<sup>2</sup> تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1 ، 1384 هـ ، ص 180.

<sup>3</sup> انظر: على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 17.

<sup>4</sup> على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 18.

<sup>5</sup> د عبد المجيد ابو الفتوح ، التاريخ السياسي والفكري ، ص 185.



## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

ج-رغبة الأساتذة في التدريس بالمدارس النظامية: لم يقتصر الدخول الى هذه المدارس على الطلاب فقط بل تعداه الى الاساتذة حيث وصل الحال ببعضهم الى التخلي عن مذهبه.

أما فيما يخص الهيئة المشرفة على تدريس الطلاب اختيارها ليس بالامر الهين واليسير بل تختبر معلوماتهم باجراء مناظرات والإجابة على بعض الاسئلة. ومن لوحظت عليه علامات الذكاء قبل ودخل المدرسة ويعين في منصبه طوال حياته ويمكن ان يستخلفه بعد كبره ابنه الأكبر أو أحد طلابه.

ولقد كان للمدارس النظامية في العالم الإسلامي الأثر الكبير. حيث أدت رسالتها من تخريج العلماء على المذهب السني الشافعي وزودت الجهاز الحكومي بالموظفين ردحا من الزمن.<sup>1</sup>

استطاع بعض المتخرجين من هذه المدارس أن يحققوا اهداف نظام الملك والتوجه نحو بعض الأقاليم لينشرو تعاليم الدين وعقيدة أهل السنة. متولين بعض الوظائف في نظام الدولة. وعن ابي اسحاق الشيرازي على لسان تاج الدين السبكي خرجت الى خراسان فما بلغت بلدة ولا قرية إلا وكان قاضيها او مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من اصحابي.<sup>2</sup>

وقد أسهمت هذه المدارس في إعادة دور منهج السنة في حياة الأمة بقوة ، وكان من أبرز آثارها أيضا تقلص نفوذ الفكر الشيعي خاصة بعد أن خرجت المؤلفات المناهضة له من هذه المدارس ، وكان الإمام الغزالي على قمة المفكرين الذين شنوا حربا شعواء على الشيعة وخاصة الباطنية الإسماعيلية فقد ألف كتباً عدة اشهرها فضائح الباطنية الذي كلف بتأليفه عام 487 هـ من قبل الخليفة المستظهر.<sup>3</sup>

**مكانة وثقافة الغزالي ودوره في الفكر وفي المدارس النظامية:**

<sup>1</sup> على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 22 ، ص 23.

<sup>2</sup> السبكي. طبقات الشافعية ، ص 89.

<sup>3</sup> د عبد المجيد ابو الفتوح ، التاريخ السياسي والفكري ، ص 194.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

لقد أدى الصراع بين المذهب الشيعي والمذهب السني الى ظهور علماء ومفكرين وافكار جديدة أدت الى إعادة بنية المجتمع وتغيير الحياة السياسية والفكرية فيه فاذا قلبنا تراث علمائنا لوجدناه غني بمختلف العلوم والنظريات التي تركوها والتي اذا استخدمت استخداما جيدا لأغنت المجتمع الاسلامي عن كل ما هو دخيل ومشبوه مناقض أو منافي للمذهب السني ومن بين هؤلاء العلماء الذين افنوا أعمارهم في خدمة الدين والعلم وسارعوا الى الاجتهاد فيه الامام ابو حامد الغزالي.<sup>1</sup>

الذي يعد اعظم مفكري الاسلام وابرز المجددين في التاريخ الاسلامي. في نظر بعض المؤرخين يعتبر الغزالي المسلم الوحيد الأكثر تأثيراً بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في الحضارة الاسلامية. يعتبر مجاهد او مجدد الإيمان الذي بالنسبة للتقاليد يظهر مرة على قرن لكي يصلح إيمان الأمة.<sup>2</sup>

بعدهما قرأ الغزالي الجزء اليسير من الفقه في بلده طوس رحل الى جرجان لينتقي باستاذه ابي نصر الاسماعيلي ويدون ما يسمعه منه وفي عودته التقى العيارون واخذ منه كل شيء إلا أنه فيما بعد ارجعوا له تعليقه وهذا ما دفعه الى المكوث في طوس ثلاث سنين حتى حفظها. ولقد لازم الغزالي إمام الحرمين فجد واجتهد فأعجب به امام الحرمين واصبح

---

<sup>1</sup> ابو حامد الغزالي: محمد بن محمد بن احمد الغزالي سنة 450 هـ الموافق لـ 1059 بمدينة طوس من والد فقير صالح كان يعمل بغزل الصوف ويجالس الفقهاء ورجال العلم المتصوفة ولا يالو جهدا في خدمتهم والاحسان اليهم والانفاق عليهم، ويشاركهم في حلقاتهم ويستمتع اليهم وكان يتأثر باقوالهم حيث كان ينتهي به الى البكاء والتوسل الى الله سبحانه وتعالى ان يرزقه ولدا صالحا مثلهم ولما دنت ساعة وفاة والده اوصى به وباخيه احمد الى صديق له من المتصوفة وزوده بما يدخره من مال لينفقه على تعليمهما ، ولكن المال كان قليلا الى درجة نفذ معا بسرعة. فنصحهما بالاحتاق باحدى المدارس فاتجه الغزالي الى مدرسة الفقه وهو في ريعان شبابه ثم انتقل الى جرجان وهو دون العشرين من عمره ، توجه الى حلقة امام الحرمين ، ضياء الدين الجويني درس عليه الفقه والاصول والجدل والمنطق ، الكلام والفلسفة ، كما انه درس في المدرسة النظامية ، مات الغزالي في طوس سنة 505 هـ الموافق لـ 1111 م . تجاوزت مؤلفاته 228 كتابا وقد شملت الفقه والدين ، الاخلاق والتصوف ، الفلسفة والمنطق وكذلك الردود والابحاث المختلفة في جميع المذاهب والفرق سواء ، كانت ديدنية او فلسفية ، اسلامية او غير اسلامية\* .

\*د. مصطفى غالب ، في سيل موسوعة فلسفية ، دار ومكتبة الهلال بيروت 1998 ، ص 16 .

<sup>2</sup> George allen andunwin, the Paith and Parctice oe Alghazali, 1953,P 36

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

معيداً لاساتذه ونائباً عنه. وقيل انه ألف المنحول فرآه أبو المعالي فقال: دفنتني وانا حي فهلا صبرت الآن، كتابك غطى على كتابي.<sup>1</sup>

وبعد وفاة إمام الحرمين سنة 478 هـ خرج الغزالي الى المعسكر قاصدا الوزير نظام الملك وهو لم يتجاوز 28 من عمره وقد ظهر فضله وذاع صيته وكان مجلس الوزير مجمع اهل العلم وملاذهم وكانت المجالس حتى المآتم لا تخلوا من المناظرات الفقهية والمطارحات الكلامية فناظر الغزالي الائمة العلماء في مجلس نظام الملك وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم واعترفوا بفضله وتلقاه صاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسته النظامية ببغداد.<sup>2</sup>

### **ثقافة الغزالي:**

لقد تسلح الغزالي باطلاعه على أكثر من ثقافة وانطلاقاً من كونه مسلم فتشبع بالعنصر الاسلامي المتمثل في القرآن و الحديث وآراء الصحابة و الفقهاء والعنصر اليوناني المتمثل في الفلسفة والعنصر الهندي المتشبع بالأفكار الصوفية .العنصر الفارسي الذي لعب دوره لا في العقائد الشيعية المتطرفة فحسب بل العقائد السنية حيث اضطر الغزالي وغيره أن يدخلوا البحث في الإمامة ضمن عقائد التوحيد مع انها مسألة سياسية بحثة كما يقول ابن خلدون .<sup>3</sup> اضافة الى هذه العناصر العنصر الذاتي المتمثل في الملكات التي يتمتع بها الغزالي فقد كان شديد الذكاء ،قوي الحافظة ذو فطرة عجيبة .وهذا ما دفع أحد معارضيه في الرأي وهو ابن الجوزي الى القول : « وتفقّه على أبي المعالي الجويني وبرع في النظر مدة قريبة وقاوم الاقران وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر

<sup>1</sup> شمس الدين الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ص 335.

<sup>2</sup> على محمد الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 26.

<sup>3</sup> انظر :حسن الفاتح قريب الله ، دور الغزالي في الفكر ،مطبعة الامانة ،مصر، 1978، ص 28 .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

الجويني الى كتابه المسمى بالمنحول فقال له دفنتني وأنا حي هلا انتظرت أموت ،وكتابتك غطى على كتابي»<sup>1</sup>

لقد عرف الغزالي بفكره المرن حامل لأفكار جمة استطاع بها أن يرضي الأقدمين والمعاصرين حيث كانت له قدرة كبيرة على التوفيق بين الآراء المختلفة والوصول بها الى رأي وسطي بل ان آراءه تشبه آراء أبرز فلاسفة الغرب .وصخر الغزالي فكره في خدمة السنة والاشاعة والمتصوفة ووضع حد للفلسفة عند تأليفه لكتاب التهافت .

وهذا الفكر الذي يتميز به الغزالي احدث دويًا كبيرًا في المجتمع حيث جمع الناس من حوله فأرسلوا اليه بكلمات الاعجاب والمدح مثل : لو كان نبي بعد محمد لكان الغزالي ،لو كان الغزالي نبيًا لكانت معجزته الاحياء . « من اراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصا احياء علوم الدين فهو بحر المحيط »<sup>2</sup>

ومن مثل ما قاله الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي اليمني حين سئل عن تصانيف الغزالي :محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ومحمد بن ادريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين .<sup>3</sup>

ولقد سمي الغزالي بحجة الاسلام والمسلمين وإمام أئمة الدين وأوحد أقرانه لسانا وبيانا ومنطقا ،وذكاء ألف تصانيف ملأت مجتمعه وصار امام الفقهاء واعجب بكتبه بعض الناس فحفظوها عن ظهر قلب وتسمو بأسمائها معتبرينه مقياس الثقافة و العلم .وعرف الغزالي بالممامه بطرق التصوف .

درس الغزالي الفقه بعد ما انتقل الى الشافعي المذهب الرزكاني الذي يكون الغزالي اخذ عنده طرفا من التصوف حتى وان لم يكن نظريا فعلميا في سلوكه رغم ان الغزالي لم

<sup>1</sup> انظر :عبد الكريم العثمان ، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ،ص 32 .

<sup>2</sup> المرجع السابق ،ص 30 .

<sup>3</sup> نفس المرجع ،نفس الصفحة .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

يكن جاد في طلب العلم عند الرزكاني أكثر من طلبه للقوت .اذ يقول « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله »<sup>1</sup>

لقد كان سبب قوة تأثير الغزالي في العالم الاسلامي راجع الى مالمخصه الدكتور  
ماكدونالد في اربعة أوجه :

أولها: كان زعيما عاملا على إرجاع المسلمين عن التعاليم المجردة التي لا مغزى ولا معنى لها الى اتصال قوي مع الكتاب والسنة لأنهما في نظره ينبوع الاسلام الوحيد .

ثانيهما :أدخل الغزالي في العالم الاسلامي عنصر الخوف من جديد لأنه في الأيام السابقة كانت مخاوف يوم الدينونة وأهوال الجحيم .

ثالثها :قام الغزالي بتعزيز الصوفية وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم السنيين المسلمين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين .

رابعها :إن هذا الامام حلل الفلسفة حتى جعلها قريبة من العقول العادية ثم بين خطرها ومبادئها الأساسية ثم أظهر كتابه بشكل جلي أنه لا فرق بين الفلسفة الحقة ومبادئ الاسلام.<sup>2</sup>

ولعل ماكدونالد يصيب الحقيقة حين يقول « إنه لم يكن كشافا ،ولا أول من ركب الطريق واهتدى الى النجد ولكنه كان رجلا كبير الشخصية شديد التأثير ،نهج سبلا مطروقة فجعلها شرعا عاما ومحجة واضحة وهذا من فضل شخصيته وقوة خليقته ،وقد يكون من ثم هو ابرع منه وأدق منطقا وأفقه منه علما واكثر منه مواهب من قدسين ومتدينين»<sup>3</sup>.

لقد تفتقت على الغزالي معالم جديدة حيث أنه درس علم الكلام وخبر أساليب رجاله وعرف حججهم وعرف حجج ومطاعن وافكار الفلاسفة وماساعده على ذلك الحرية الفكرية

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص ص 35 36 .

<sup>2</sup> انظر :المرجع الاسبق ،ص 34 .

<sup>3</sup> نفس المرجع نفس الصفحة .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

الواسعة والرغبة في التجديد والنفور من التقليد وكذلك الكتب الكثيرة التي كانت في المدرسة النظامية وماكتبه الامام الجويني من آراء معتدلة وكتبه في الفقه.

على كل نرى أن الغزالي كان يدرس كل كتاب تقع عليه عينه من كتب قد تفيده في الملاحم العلمية التي كان يخوضها ولما كان ذكيا استطاع ان يتفوق على اقرانه وبنال اعجاب نظام الملك .

وما يعكس لنا كذلك ثقافة الغزالي الواسعة وقوة تطلعاته هاته الأقوال التي نقلها الزبيدي .

\_ أنوار العلوم لم تحجب من القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن ذلك ،بل بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فإنها كالأواني ما دامت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله.

\_ جلاء القلوب والأبصار يحصل بالذكر ،ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا ،فالتقوى باب الذكر ،والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر.

\_ قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي ،وصفاه لا يتكدر ،واليه أشار الحسن بقوله :التراب لا يأكل محل الإيمان .

\_ مهما رأيت العلماء يتغايبون ويتحاسدون ولا يتأسنون فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم خاسرون .

\_ أشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في فضل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه .

\_ مهما رأيت إنسانا سيء الظن بالله ،طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق .

\_ حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس ولا سلطان له على القلب ولا يدفع الشيطان .

\_ النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات .

\_ السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه ،والشقاوة في أن تملكه نفسه .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

\_ من عود نفسه التفكير في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده أذ من كل نعيم ،فلذة هذا في عجائب الملكوت على الدوام ،أعظم من لذة من ينظر الى ثمار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة ،هذا حالهم في الدنيا ،فما الظن بهم عند انكشاف الغطاء في العقبى ؟

\_ لا يبقى مع العبد بعد الموت إلا ثلاث صفات :صفاء القلب أعني طهارته من الدنيا ،وأنة بذكر الله وحبه الله وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن الشهوات الدنيا و الأنس لا يحصل إلا بكثرة الذكر والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر . وبعد الموهبة التي اعطاها الله سبحانه وتعالى للإمام الغزالي سخر له كذلك علماء اذاذ يعدون من كبار العلماء والفقهاء كان لهم الفضل الكبير في تكوينه الثقافي والمعرفي ومن هولاء الأئمة :

1 أحمد بن محمد الطوسي أبوحامد الرازكاني الذي تفقه على يده قبل رحلته الى إمام الحرمين .

2 اسماعيل بن مسعدة بن اسماعيل ابن الامام أبي بكر ابو القاسم الاسماعيلي الجرجاني .

3 عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد العلامة إمام الحرمين ضياء الدين ،أبو المعالي بن الشيخ أبي محمد الجويني .

4 الفضل بن محمد بن علي الشيخ الزاهد أبو علي الفارمذي .  
5 يوسف النساج .

6 محمد بن أحمد بن عبيد الله أبو سهل الحفص المزوزي .

7 نصر بن علي بن أحمد أبو الفتح الحاكي الطوسي .

8 عبد الله بن محمد بن أحمد أبو محمد الخواري .

9 محمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني .

11-الحافظ عمر بن أبي الحسن أبو الفتيان الرواس الدهستاني

11- نصر بن ابراهيم بن نصر المقدس.<sup>1</sup>

علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة والذلة والتواضع أما التمشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فمن آثار البطر والغفلة ،وذلك من دأب أبناء الدنيا.<sup>2</sup>  
دوره في الفكر :

كان الغزالي ذو مكانة رفيعة بين الناس نظرا للحشد الهائل من الكتب الذي ألفه ودفع العلماء والباحثون منذ القرن التاسع عشر الى دراسة مؤلفاته وبناء الشافعية الكثير من آرائهم الفقهية على ماقرره الغزالي في البسيط والوسيط والوجيز ونفس الشيء بالنسبة للأشعرية والمتصوفة ويقول العيدروس: أنه لا شيء أنفع للقلب واقترب الى رضاء الرب من متابعة الغزالي ومحبة كتبه فإن كتب الإمام الغزالي لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول.<sup>3</sup>  
لقد انتفع خصوم الغزالي ومؤيديه على حد سوى من افكاره وكتبه لأنه اورثنا ثروة كبيرة من العلم والمعرفة ينوء بحملها العلماء وتتحني لها الجبال الشم الرواسخ هذه الثروة الفريدة التي تنطق بالنضج والعبقرية ويظهر فيها - بوضوح- اكتمال شخصية الغزالي العلمية أعظم اكتمال.<sup>4</sup>

عرفت كتب الغزالي اقبال منقطع النظير لأن الناس اعتبروها طريق الله ورسوله،حيث اعتبر الاحياء اعظم كتاب ألفه الغزالي بعد اعتزاله التدريس وحظي هو وجميع كتبه بقسط وافر من الشرح والتمحيص والنقد .بلغ الغزالي مكانة رفيعة بفضل تلك الاثار والمنتجات في الفنون العديدة لانه كان مجتهدا في طلب العلم ليصبح امام من الائمة الكبار والرجال المعدودين وهذه حقيقة اجمع عليها كل من درس كتبه.

<sup>1</sup> ابو حامد الغزالي ، الوجيز ،ص ص 23 24

<sup>2</sup> ابو حامد الغزالي ،الاقتصاد في الاعتقاد ،قدم له:موفق فوزي الجبر،الحكمة للطباعة والنشر ،دمشق،سورية ط 1 ،1994،ص ص

13 12

<sup>3</sup> انظر :حسن الفاتح قريب الله ،دور الغزالي في الفكر ،ص164.

<sup>4</sup> ابو حامد الغزالي ،الوجيز تحق:علي معوض ،عادل عبد الموجود،الارقم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ط1،1997،ص40



## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

ومن خلال تتبعنا لجهوده العلمية نجد انه ساعد في بناء الصرح العلمي الاسلامي وبحث عن الحقيقة و اليقين وسار نحو الوصول الى الله فدرس ما عند الفيلسوف والباطني والمتكلم والصوفي فقال في هذا الشأن في كتابه المنقذ من الضلال : لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن اطلع عن بطانته ولا ظاهريا إلا واريد أن اعلم حاصل ظاهرتة ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلماً إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا إلا واحرص على العثور على صوفيته ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلاً إلا واتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته ،وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعنا في جبلتي لا بأختياري وحيالتي.<sup>1</sup>

### دوره في المدارس النظامية :

درس الغزالي بالنظامية واعجب الخلق من كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشارات اللطيفة واحبوه.<sup>2</sup>

ولقد كان مهتم بدراسة عدد كبير من الطلاب وتقديم لهم الإفادة والتأليف في الفقه والأصول والكلام والحكمة. والغزالي لم يكن انسان عادي إضافة الى العديد من العوامل التي ساعدت على شهرته ونبوغه منها شغوفه بالعلم منذ صغره ورغبته في البحث عن اليقين وتفوقه في علوم عصره على اقرانه وتمتعه بحافظة قوية وشدة ذكائه.

ولقد اهتم الغزالي بجانب التدريس بالوعظ والإرشاد و التصنيف وقام بالرد على بعض الفرق الاسلامية التي تخالف أفكاره و ارائه. عمل على إطلاق فكره من قيود التقليد التي كانت لا تزال مستحكمة فيه.

<sup>1</sup> انظر نفس المصدر، ص41.

<sup>2</sup> السبكي . طبقات الشافعية ، ص 106.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

اشتهر اسمه فضربت به الامثال وشدت اليه الرحال لما عرف بشرف النفس والترفع عن الرذائل، فانتفع بعلمه الكثير ومصنفاته ما تزال رافداً عذباً يرتوي منها عاشق الفضيحة.<sup>1</sup> وفي نظر بعض المؤرخين. يعتبر الغزالي المسلم الوحيد الأكثر تأثيراً بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

وليس هذا فقط بل كان الامام الغزالي امانة انارت قرنين وجاء ذلك في ديمتري قوتاس وشنقورد الموسوعة الفلسفية يعتبرون الفترة ما بين القرنين 11 و14 العصر الذهبي للفلسفة العربية والاسلامية انشأت من قبل دمج الغزالي للمنطقة في منهاج المدرسة الاكليريكية الاسلامية.<sup>3</sup>

ويقول عنه واط منتقومي watt montgomery: يعتبر الغزالي المجدد في عصره.<sup>4</sup> ولقد استطاع الغزالي ان يطبع كثيرا من مظاهر الفكر الإسلامي بطابعه حيث يعد منحى خطير في مساره هذه الجوانب التالية: التصوف والأخلاق وعلم الكلام و الفلسفة فاصبح قوله بمثابة الكلمة الفاصلة في هذه المجالات كلها. والإمام الغزالي لقي عناية كبيرة من الدارسين وبالخصوص المحدثين مستشرقين واسلاميين ومن امثلتهم الطرطوشي وتاج الدين السبكي وابو بكر العربي وابن خلدون وابن الصلاح ومن المستشرقين لويس ماسينيوس Louis Massignon واسين بلاسيونس Asin وات منتجمري Watt Montgomery.

<sup>1</sup> ابو حامد الغزالي , اداب الصحية والمعاشرة , تحقق: محمد سعود المعيني , مطبعة العاني . بغداد ( د . ت ) ص 10 .

<sup>2</sup> Watt. Montgomery, the Faith and Practice of al-Ghazali London, 1953

<sup>3</sup> Tony Street, Arabic and Islamic philosophy of language and logic , Stanford encyclopedia of philosophy , 2008.

<sup>4</sup> Watt montgomery , al ghazali the muslim intellectual , edinburgh university press , 1963 , P183.

### المبحث الثالث : نظرية المعرفة ودور المنطق عند الغزالي.

#### نظرية المعرفة:

تعتبر الابستومولوجي ا أو نظرية المعرفة فرع من فروع الفلسفة الذي عرف اهتمام كبير من قبل الفلاسفة ونال مكانة واسعة في أبحاثهم الفلسفية وبذلك لأن الفيلسوف قبل انطلاقه في بحثه يقدم بحث عن المعرفة وشروط صحتها ،رغم أن تقديم تعريف للمعرفة ليس أمرا سهلا إلا أن موضوعاتها تتداخل مع بعض المباحث الفلسفية فقد اشتغل فيها العديد من الفلاسفة الغربيين والإسلاميين وما يهمننا هو نظرة احد الفلاسفة المسلمين الا وهو أبو حامد الغزالي لكن لابد من عرض بعض آراء من سبقوه في هذا المضمار لنعرف ماذا أخذ عنهم وما أنتجه من تجربته الشخصية .

إن المعرفة عند اليونانيين في بدايتها عرفت بمحدوديتها لأنهم جعلوا لكل شيء رب خاص به والتي تعرضت للإنكار من قبل الفلسفة الطبيعية « قال الطبيعيون بأن كل تلك المظاهر المختلفة ترد إلى أصل واحد هو الجوهر أو الماهية واختلفت مدارسهم في تحديد هذا الجوهر فبعضهم قال عنه بأنه الماء فرد عليه الآخر بأنه الهواء أو النار الأثرية أو النغم على حسب الوجهة التي ارتضاها الباحث<sup>1</sup> .

أنكر السفسطائيون قدرة العلم على اكتشاف الحقيقة واقتصروا على إبراز جانب الشك ولم يستطيعوا أن يقدموا الأدلة التي توصل إلى اليقين وهذا ما عرضهم للانتقاد من قبل سقراط حسب ما نقله أفلاطون الذي يعرف المعرفة «صحيح أن المحسوسات متغيرة لكنها مع هذا تبدو لنا في صورة كلية ثابتة هي الأنواع والأجناس فهذه الصورة الكلية تفيد في الحكم على المحسوسات وتعين على فهمها فمثلا الزهرة جميلة والسماء جميلة والقصر جميل والفتاة جميلة وجمال هذه الأشياء يتغير إلا أن الجمال في ذاته ثابت مما يدل على أنه ليس في

<sup>1</sup> محي الدين عزوز ،اللامعقول وفلسفة الغزالي ،الدار العربية للكتاب،1983،ص 78.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

هذه الأشياء التي ذكرناها وإنما هو في شيء خارج عنها وهو ما يسميه بالمثل»<sup>1</sup>.  
 وأنواع المعرفة عنده هي أربعة الإحساس والظن والاستدلال والتعقل بينما يرى ارسطو  
 أن المثل ليس لها وجود حقيقي خارج العقل وإنما المثل موجود في الشيء ذاته ملتصق به  
 والمعرفة الحسية عنده ليست خاطئة في ذاتها لأنها تنقل الصور فقط.

وما يعبر عن نظرية المعرفة في العصر الوسيط نموذجاً من الفلسفة المسيحية  
 القديس اوغستينوس: يربط بين الحقيقة وبين الله، فقال بان الفلاسفة اكتشفوا حقائق جلية  
 ونافعة إلا أنهم لم يصلوا إلى الحقيقة التامة لعجز العقل عن إدراكها والدين وحده هو الذي  
 يمكنه بلوغها سواء ما يتصل منها بالله أم بالنفس<sup>2</sup>.

عملت عوامل كثيرة على مساعدة أبو حامد الغزالي لصياغة نظريته في المعرفة لأن  
 عصره عرف العديد من المذاهب الكلامية والأحزاب السياسية والنظريات الفلسفية وكل طرف  
 يزعم بأنه على صواب إضافة إلى العزيمة والإرادة القوية التي يتمتع بها أبو حامد جعلته  
 يبحث عن الحقيقة ويؤسس نظريته المعرفية .

لقد قام الغزالي بتحديد مراحل بحثه وتأسيسه لنظريته في المعرفة مبتدءاً بمرحلة التقليد  
 لأنه كان يؤمن بما قاله له الأساتذة أي أن العامة من الباحثين مرو بمرحلة التقليد وفي هذا  
 الشأن يقول الغزالي «لا يعلم أنه مقلد فلما علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب  
 وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف إلا أن يذاب بالنار ويستأنف له صنعة أخرى مستجدة»<sup>3</sup>.

الإنسان دائماً يتبع في دينه آبائه وأجداده ولا يبحث في أصالة دينه وكيف نزل على  
 الرسل أي أنه يكتفي بالصورة التي أخذها عنهم ويقول الغزالي «إذا بلغ الفتى استمر على  
 اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب ولذلك ترى أولاد النصارى  
 والروافض والمجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون إلا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الباطل

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 80.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص ص 82 83 .

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 77.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

والحق جازمة لو قطعوا إربا إربا لما رجعوا عنها وهم قط لم يسمعوا عليها دليلا لا حقيقيا ولا رسميا»<sup>1</sup>.

المرحلة الثانية عند الغزالي هي مرحلة الشك ودواعيها معتبرها مرحلة مهمة في نظرة المعرفة باعتبار الشك بداية كل معرفة ويساعد الإنسان في وزن أعماله وفصل ما هو حقيقي عن غيره وهذا ما يجب أن يطبقه على ما قال به الأقدمون فمنهم من يرى بأن الشك حالة نفسية تستبد بصاحبها وآخرون يرون أنه الدين هو كذلك حرية تبعا لقوله تعالى «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم»<sup>2</sup>.

وفي المقابل هناك من لا يشك في المعلومات الجديدة المقدمة له ربما يكون هذا الإنسان يرى بأن الشك حالة نفسية مستبدة لا ينبغي إتباعها لكن تبقى معلوماته لا تأخذ الحقيقة المطلقة لأنها لم تتعرض للتحخيص.

وبعدما رأينا نظرية المعرفة في الفكر اليوناني وفي العصر الوسيط ونظرية المعرفة عند الغزالي فيظهر لنا جليا بأن الاختلاف واضح بينه وبين اليونانيين وأما عن ما جاء به اوغستينوس عن هذه النظرية فإن أبو حامد الغزالي لم يطلع على ما جاء به هذا الفيلسوف النصراني.

لقد تعرضت نظرية المعرفة عند الغزالي إلى العديد من الانتقادات من العديد من المفكرين منها أن بعضهم قال بأنه افرغ المعرفة من محتواها المادي ليجعلها قاصرة على الكشف الذي يتماشى إلا مع الصوفية وهدفهم من هذا هو تشويه نظريته وحجب حقيقتها عن الأنظار.

**المنطق:**

<sup>1</sup> أنظر محي الدين عزوز اللامعقول وفلسفة الغزالي، ص 89.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 256.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

عرف الفكر الإسلامي ثلاثة مواقف متباينة بالنسبة لعلوم القدماء وخاصة المنطق باعتباره معيار العلوم العقلية فمنها موقف رافض تمثله مجموعة من المفكرين على غرار الإمام الشافعي الذي يبرهن على تخلف الناس بإتباعهم لمنطق أرسطو وتركهم وابتعادهم عن لسان العرب الذي يعرفهم بأسرار اللغة العربية ويغنيهم عن دراسة المنطق. إلا أن هذا الموقف لا يمكن أن يكون صائباً لأن الشافعي لم يطلع على المنطق كله حتى يتثنى له أن يحكم عليه بهذا الحكم أو يمكن أن يكون الشافعي قال هذا الرأي رغبة منه في المحافظة على التراث الإسلامي.

وفي حقيقة الأمر أن الشافعي لم يحرم دراسة المنطق والعمل به كمعيار للعلوم ولم يبوح بدراسته واستعماله كمعيار للعلوم وإنما موقفه كان هو أن سبب جهل الأمة إهمالها وعدم تمكنها من اللغة وإتباعها للمنطق.

ومن الرافضين للمنطق كذلك ابن قتيبة الذي يتحدد موقفه في قوله التالي: «إن في فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يلزم ذلك من معرفة دقائق اللغة وأسرارها وأساليبها ووجوه استعمالاتها غناء عن كل فكر دخيل، ثم يذكر أن أرسطو واضع المنطق لو قدر الله أن ظهر بعد نزول القرآن وسمع ما فيه من حكمة وقرأ ما جاء على لسان الرسول من بيان، وما خلفته العقلية الإسلامية من علوم في الدين والفقهاء واللغة والنحو لعد نفسه من البكم ولأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب»<sup>1</sup>.

وهناك من الفلاسفة المسلمين الآخذين بمذهب أرسطو المتأثرين بالأفلاطونية الحديثة أمثال الفارابي وابن سينا والكندي وابن رشد وهذا يعني أنهم لم يقتصرُوا في انتجاتهم الفكرية على تراثنا وهذا يعبر عن العقلية المتحررة.

<sup>1</sup> محمد عبد الستار نصار (الجانب المنطقي في فلسفة الغزالي) حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الرابع 1985م .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

إن ما تداولته الكتب أن الغزالي درس كتب الفارابي وابن سينا فهي التي ساعدته على هضم المنطق وبيّن كتاب مقاصد الفلاسفة أبحاثه والتي هي الحد والقياس والقضية وفي هذا الكتاب يقول عن المنطق ما يلي: العلوم المنطقية أكثرها على منهج الصواب، والخطأ نادر فيها ولم يقف عند هذا الحد ولكنه بين أن المنطق مظهر من مظاهر التفكير الإنساني العام وأن الخلاف بينه وبين الطرق التي يستعملها المحققون من نظار المسلمين ليس إلا في الاصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد لأن الغاية من العلوم المنطقية هي تهذيب طرق الاستدلال وهذا قدر مشترك بين جميع النظار من كل الأمم<sup>1</sup>.

قام المسلمون بتأليف المنطق واستوعبوه مترجمينه بلغتهم وهذا ما دفع الغزالي أن يقول بأن فضل أرسطو على المنطق بأنه قام بتنظيم مناهج المفكرين سواء التي قاموا بانجازها أو غفلوا عنها. «إن الغزالي في حقيقة شروحه اعتمد اللغة العربية والمعنى الديني وبهذا انحصر لديه الكلي ضمن تفسير الألفاظ الجاهزة في القرآن والتي تركز على أساس المفردات المشخصة، ونظر إلى الكلي فعليا من هذا المنظار لأنه لم يتمكن من الخروج خارج إطار اللغة والمعنى الإسلامي، فكان الكلي العام الشامل للمشخصات ضمن هذا التصور»<sup>2</sup>.

يرى الغزالي بأن المنطق لا تختص به جماعة أو فرقة دون أخرى وحينما يزعم الفلاسفة بأن المنطق هو قانون تفكيرهم فهذا قول عند الغزالي لا أساس له من الصحة. وعن فائدة هذا العلم يقول الغزالي «تفهيم طرق الفكر والنظر وتوير مسالك الأقيسة والعبر ولما كانت العلوم النظرية مطلوبة ومستحصلة ولما كان كل طالب لا يحسن الطلب ويهتدي إلى طريق المطلب على الوجه الصحيح الذي يؤمن معه الزلل فقد دعت الحاجة إلى

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، مقاصد الفلاسفة، ص 6.

<sup>2</sup> رفيق العجم، المنطق عند الغزالي، دار المشرق، بيروت، ط 1989، ص 311.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

تعلم هذا العلم حتى يكون معيارا للنظر وميزانا تقاس به الآراء ليعرف صحيحها من سقيمها<sup>1</sup>. وبالنسبة للغزالي أن علم المنطق يمكن أن يطبق على جميع العلوم فهو يصلح لها كلها.

قام الغزالي بوضع نسق متكامل يميزه أنه يحدد ويجهز المعاني واللغة واليقين ويظهر الاختلاف بينه وبين أرسطو في تصور أرسطو للطبيعة وعنده- الغزالي- ذات الله الواحدة هي الكل الشامل ويتميز منطقته بالخلفية الإجرائية أي أنه استخدم المنطق للوصول إلى غرضه الديني والأصولي، معتمدا في هذا الأخير على الجانب العقلي.

---

<sup>1</sup> المرجع الأسبق، ص 18.



## المبحث الرابع: منهج الشك عند الغزالي.

لمعرفة الشك le scepticisme عند الغزالي وكيف أعلن شكه؟ وكيف اعتصم باليقين نقف عند ما جاء على لسانه في كتابه المنقذ من الضلال «إن إختلاف الخلق في الأديان و الملل، ثم إختلاف الأئمة في المذاهب بحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجامنه إلا الأقلون ولم أزل في عنفوان شبابي - منذ راهقت البلوغ- اقتحم لجة هذا البحر العميق و أخوض غمراته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكة واقتحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا أغادر باطنيا إلا واجب أن اطلع على باطنته ولا ظاهريا إلا وأريد أن اعلم حاصل ظاهرتة ، ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلميا إلا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه و مجادلته ولاصوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته»<sup>1</sup>.

من خلال هذا النص يرسم لنا ابوحامد الغزالي الاختلافات الموجودة في العالم الإسلامي و الأخطار الناتجة عن كثرة المذاهب وتباين الملل والنحل مشبها ذلك ببحر غرق فيه الأكثرون ونجا منه الأقلون ويبين لنا شخصيته في ذلك الشاب الذي لا يخشى شيئ الذي شاء أن يجرب حظه ويخوض غمار البحر ويغوص في تياراته لعله يدرك حقائق هذه التيارات الجارفة.

وهذا ما دفع الغزالي alghazali الى الشك ليكسر بذلك تلك الطريقة التقليدية في البحث عن الحقيقة أي ان هذا الشك عنده انحلال رابطة التقليد«وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبي وديديني من أول أمري وريعان عمري غزيرة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - انظر : د: عامر النجار ، نظرات ف فكر الغزالي ، ص76 .

<sup>1</sup> - د : مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية ، ص41.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

في حين هناك من يرى بأن الغزالي لا يجعل من الشك أداة البحث عن الحقيقة وإنما شيء آخر من بين هؤلاء osmanbakar الذي يقول « إن الروح العامة لكتاب المنقذ من الضلال لا تؤيد الفكرة القائلة بأن الغزالي يدافع عن منهجه الشكلي كأداة للبحث عن الحقيقة.....نحن نعتقد بقوة بأن الصوفية لعبت دوراً حاسماً في وصول الغزالي الى ازمته المعرفية التي تدعى بطور ما بعد العقل وتنتقد العقل . والشك لم ينتهي بواسطة فعالية العقل إنما نتيجة للنور الإلهي.<sup>1</sup> إن الغزالي يرى بأن العلم اليقيني la podictique هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لايبقى معه ريب و لايقارنه اماكن الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك. لكن عندما بحثا عن هذا العلم وجد نفسه خاليا من أي علم تنطبق عليه هذه الصفات التي ذكرها. إنه يريد العلم اليقيني الذي لاشك بعده والذي يحدث معه الأمان النفسي و العقلي و القلبي.

الشك المنهجي la scepticime miethodipue الذي اتخذه الغزالي نافذة يطل منها على الحق ساعد في بروزه كثرة الفرق والفتن التي عرفها عصر الغزالي حيث تزعم كل فرقة ان منهجها يوصل الانسان الى المعرفة الحققة.

اختبر الغزالي المحسوسات les concrets لكي يعرف هل بإمكانها ان توصله إلى المعرفة اليقينية la podictique فإنتهى به طول التشكك إلا انه لم تسمح له نفسه بالتسليم الآمن في المحسوسات ويقول فيها: من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنتظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغتة بل على التدرج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف.<sup>2</sup>

<sup>2</sup> – Osman Baker LHE Meaning and Significance of Doubt in AL Ghazzali s Phil psophy .the Islamic Quarterly 146 { 31-44 } park Road.london N. W 8. 1986.PP38-39.

<sup>2</sup> المرجع الاسبق ، ص 78.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

من خلال ما أشرنا إليه تأكد الغزالي من شكه في المحسوسات كوسيلة من وسائل المعرفة اليقينية كان في محله ذلك لان الحس قد يحكم على المتحرك بأنه ثابت واقف. ان الحواس بالنسبة للغزالي غير كافيها في المعرفة إذ لا بد من تدخل سلطان العقل الذي له القدرة على حقائق الأشياء وفي هذا الصدد يقول: «انظر الى حاكم الحس كيف يحكم؟ إذا نظرت الى الشمس عليها في عرض مجر وفي الكواكب بأنها كالدنانير المنثورة على بساط ازرق وفي الظل الواقع على الأرض للأشخاص المنتصبه بأنه واقف وكيف عرف العقل ببراهين لم يقدر الحس على المنازعة فيها إن قرص الشمس أكبر من الأرض بأضعاف مضاعفة وكذلك الكواكب وكيف هدانا الى الظل الذي نراه واقفا هو متحرك على الدوام لا يفتر وان طول الصبي في مدة النشئ غير واقف بل هو في النمو على الدوام والإستمرار ومرتف الى الزيادة توقيا خفي التدرج يكل الحس عن دركه ويشهد العقل به»<sup>1</sup>.

بعدها وقف الغزالي على معارف المحسوسات وصل الى نتيجة مفادها هو أن الحس لا يمكنه ان يكون طريقاً لمعرفة العلم اليقيني. فحاول العقل إذ لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات. العشرة اكثر من الثلاثة والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد و الشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً واجباً محالاً.<sup>2</sup>

والعقل عند الغزالي وسيلة تحصل المعرفة وبه يمتاز الانسان عن سائر الكائنات ويمكن التمييز بين الصح والخطأ. ولكن رغم هذه الثقة التامة للغزالي في العقل كوسيلة لتحقيق العلم اليقيني إلا أنه ظهر عنده حاكماً آخر إذ تجلّى كذب العقل في حكمه كما تجلّى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه. وعدم تجلّي ذلك الإدراك. اذا «يمكن ان تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالإضافة إليها فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لاحاصل لها ولعل تلك الحالة

<sup>1</sup> د:محمد غازي (فلسفة العقل عند ابي حامد الغزالي ) مجلة الباحث العدد السادس -جانفي- جويلن 2012- تصدر عن المدرسة العليا للاساتذة بوزيعة الجزائر ص 249.

<sup>2</sup> عامر النجار ، نظرات في فكر الغزالي ، ص 78 .

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

ما تدعيه الصوفية إنها حالتهم إذ يزعمون إنهم يشاهدون في أحوالهم التي لها إذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالاً لا توافق هذه المعقولات»<sup>1</sup> ولما كان ديدن الغزالي الوصول الى الحقيقة la verite وهذا ما شهد فيه S-R-Shafaq في قوله بأن الهدف الأساسي عند الغزالي لم يكن تعبيراً عن الشك أو البحث عن أصول الدين إنما ليؤسس بحثاً معرفياً بناءً وحقيقياً . هذا البحث هو نتيجة لحبه للحقيقة وكان متعطشاً للتعلم وهدفه الحقيقي كان الوصول إلى الحق<sup>2</sup> وقام بمعاينة المعلومات الصادرة عن الحواس والصادرة عن العقل وصل الى نتيجة مفادها أن العقل يكذب الإحساس و الإحساس يكذب العقل. وهذه النتيجة اوقعته في حيرة دام عليها قرابة شهرين ولم يرجع الى الإيمان بحكم الضروريات والبدهييات العقلية إلا بمساعدة إلهية خارجية أي بنور قذفه الله تعالى في صدره وبالنسبة له فإن «العقل لا يمكن أن يكون مصدراً للعقيدة الدينية ولا يكون له إلا دور لاحق يتمثل بتحقيق التطور العقلي فالعقل لا يفسر الدين و لا يبرره بل الدين هو الذي يعطي العقل مشروعيته فعلياً أن نفس المبادئ العقلية انطلاقاً من الدين لا أن نفس الدين تبعاً للعقل»<sup>3</sup> وهذا هو الغزالي قد حدد لنا شرط اليقين الذي اخرجه من دوامة الشك وبعد ذلك النور الذي قذف في صدره من الله اخذ يبحث عن حقيقة فوجد إنها لاتعدو أن تكون لدى المتكلمين أو الفلاسفة أو الباطنية أو الصوفية.

من هذا يقول الغزالي بأن لا المحسوسات ولا العقليات استطاعتا ان توصلاه الى اليقين وفي ذلك يتمثل الغزالي بقوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »<sup>4</sup> ويقول بأنه لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص79.

<sup>2</sup> SR-ShafaQ-SOME Adiding teachingof al- GHOZALI Lhe M'USLIN WORLD- V- 44-1954-P44.

<sup>3</sup> الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، ص 15.

<sup>4</sup> القرآن الكريم ،سورة الأنعام ،الآية 125.

## الفصل الاول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج الشك عنده.

الشرح هنا في هذه الآية قال: نور يقذفه الله في القلب فيشرح به الصدر، فقليل وما علامته  
قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود وهكذا أرى الله الغزالي آياته في  
الافاق وفي نفسه حتى تبين له الحق الذي ينشده العلم اليقيني وهو لن يدعك تعجب من ذلك  
فهو يذكرك بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى قد خلق في ظلمة ثم رش  
عليهم من نوره. فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> الغزالي ، المتقذ من الضلال ، ص 92.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : حقيقة علم الكلام و موقف الغزالي منه ومن المتكلمين .

المبحث الاول: نشأة وأهداف علم الكلام.

ان الباحثون في الفلسفة الإسلامية إنقسموا الى فريقين ، فريق يرى فكرنا الفلسفي الإسلامي يعود الفضل في تكوينه الى الفلسفة اليونانية في حين ردها البعض الى فلسفات إسلامية أو مسيحية وهذا الرأي الأخير هو أصحهما ودليل ذلك الإجتهدات والإبداعات الفكرية التي وصل إليها الباحثون والمفكرون المسلمون في إنتاج فلسفة إسلامية يمثلها علم الكلام<sup>1</sup> . والتي عرفت بإبداعها وأصلاتها وإرتباطها بالقضايا الدينية والسياسية التي أفرزها المجتمع الإسلامي.

نشأته:

قبل أن نتبع نشأة علم الكلام إذ لا بد علينا أن نقف عند تعريفات بعض المفكرين حيث يقول التهانوي: هو علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه<sup>2</sup> . في ذلك يقول التهانوي: يجب ان تؤخذ العقائد من الشرع ليعتد بها ، وإن كانت مما يستقل العقل فيه ، و في ذلك ما يميز علم الكلام عن الفلسفة.<sup>3</sup>

ويسمى بعلم أصول الدين وسماه أبو حنيفة بالفقه الأكبر وفي مجمع السلوك يسمى بعلم النظر والإستدلال ويسمى أيضا بعلم التوحيد و الصفات.<sup>4</sup>

ومن خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن علم الكلام يستند وبشكل كلي على الدين إلا أن تسميته بإسم علم الكلام كانت هناك أقوال عديدة ويقول الإيجي: إن علم الكلام سمي بذلك إما لأنه بازاء المنطق للفلسفة وإما لأن أبوابه عنونت بالكلام في كذا... أو لأن مسألة

<sup>1</sup> علم الكلام: علم اصول الدين وعلم التوحيد و الصفات.

<sup>2</sup> محمد بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص-22-23.

<sup>3</sup> د : احمد محمود صبحي ، في علم الكلام ، مؤسسة الثقافة الاسلامية الاسكندرية ، ص16.

<sup>4</sup> انظر:د: محمد صالح محمد السيد ، مدخل الى علم الكلام ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2001 ، ص23 .

الكلام أشهر أجزائه حتى كثر فيها التشاجر أو لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات مع الخصم.<sup>1</sup>

لقد عرفت الفلسفة في بحثها عن حقائق الأشياء بعدم تقيدها بعقيدة إلا أنها في بحثها في المواضيع الإسلامية وجدت نفسها أمام بعض الأفكار التي يجب أن تقف عندها، كما تصدى المسلمون بأساليب وبراهين فلسفية مدافعين عن عقائدهم محاولين التوفيق والتنسيق بين بعض الآراء الفلسفية ونظريات الإسلام لينشأ عن ذلك علم الكلام وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذا العلم نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلامية بعدما تعرضت لهجمات الفلسفة اليونانية.

فعلم الكلام علم مستقل لا علاقة له بالفلسفة، فالفلسفة هي البحث عن الوجود وأقسامه والبحث عن الأشياء الموجودة بما هي هي ، أما علم الكلام فلا يشبه الفلسفة لأنه إنما نشأ عند المسلمين لرد عدائية الفلسفة المهاجمة خوفاً من أن تؤثر على العقيدة الإسلامية أو ما يروونه عقيدة إسلامية.<sup>2</sup>

إن قبول علم الكلام من طرف العلماء والمفكرين المسلمين لم يكون بصفة مباشرة ولم يكن أمر عادي حيث روي أن الإمام مالك نهى عن البدع وقال عن أصحاب البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ويتكلمون في المسائل التي لم يناقشها الصحابة والتابعون. وروي عن أبي حنيفة المتوفى عام 150 هـ أنه قال: لعن الله عمرو ابن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيه من الكلام.<sup>3</sup>

وكان سفيان الثوري Sufyan althawri المتوفى عام 161 هـ نهى أصحابه عن مجالسة المتكلمين ويقول: عليكم بالأثر و اياكم و الكلام في ذات الله .وقول جعفر الصادق

<sup>1</sup> الأيجي ، الموافق ، استنبول ، تركيا ، 1286 هـ.

<sup>2</sup> محمد رضا المظفر، الفلسفة الإسلامية، دار الصفة، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1993.

<sup>3</sup> مصطفى عبد الرزاق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، 1944 ، ص 155.



المتوفى عام 174هـ: تكلموا فيما دون العرش ولا تتكلموا فيما فوق العرش فإن قوماً تكلموا في الله فتأهوا.<sup>1</sup>

وعن الرافضيين لعلم الكلام يقول السيوطي: AL Suyuti تسميته بهذا الإسم بأن الكلام ضد السكوت وأن المتكلمين قد تكلموا في المسائل الاعتقادية حيث كان ينبغي الصمت وعدم الخوض فيها.<sup>2</sup>

لقد وجد علم الكلام في القرآن منطلقاً و منهجاً لا يتعارض فيه النظر مع الإيمان لأن القرآن في ذاته جاء فيه حث المسلمين على النظر والتفكير والتدبر وذلك في قوله تعالى : «ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون».<sup>3</sup>

وفي قوله : «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون».<sup>4</sup>

أما فيما يخص المواضيع التي حددها القرآن فقد التزم المتكلمون باختلاف فرقه فيها. وفي الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الاجتهاد وما يدل على ذلك عندما بعث معاذاً الى اليمن.

أما فيما يخص موضوع علم الكلام فقد وضع الشهرستاني أربع قواعد وأصول كلامية على أساسها اختلف المتكلمون أرباب المقالات وتعينت فرقه وتبين موضوع علمهم:

- القاعدة الأولى: الصفات والتوحيد وهي تشتمل على مسائل الصفات الأزلية إثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يحوز عليه وما يستحيل عليه وفيها الخلاف بين الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة.

<sup>1</sup> محمد صالح محمد السيد، مدخل الى علم الكلام ، ص ص، 21 ، 22 .

<sup>2</sup> - جلال الدين السيوطي، صوت المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ، ص 7.

<sup>3</sup> - سورة النحل الآية 11.

<sup>4</sup> - سورة النحل الآية 12.

-القاعدة الثانية: القدر والعدل وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر و الجبر والكسب في إرادة الخير والشر والمقدر و المعلوم إثباتا عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية و النجارية والجبرية والأشعرية و الكرامية.

-القاعدة الثالثة: الوعد والوعيد والأسماء والأحكام وهي تشتمل على الايمان والتوبة والوعيد والإرجاء والتكفير والتضليل إثباتا عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والواعدية والمعتزلة والأشعرية و الكرامية.

القاعدة الرابعة: السمع والعقل والرسالة والأمانة وهي تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح و الصلاح والأصلح و اللطف و العصمة في النبوة و شرائط الإمامة نصاً عند جماعة و إجماعاً عند جماعة ، وكيفية إنتقالها على مذهب من قال بالنص و كيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع و الخلاف فيها بين الشيعة و الخوارج والمعتزلة و الكرامية والأشعرية.

فإذا انفرد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهباً وجماعته فرقة وإن وجدنا واحداً انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته وجماعته فرقة.<sup>1</sup>

ولقد نشأ الجدل في مسائل الصفات والتنزيه والتشبيه والجبر والإختيار وحرية الإرادة وفي نظريات الإتحاد والحلول ووحدة الوجود والإمام المعصوم.

أما فيما يخص مقصود علم الكلام يقول الإمام « صادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة»<sup>2</sup> موضوع علم الكلام الدفاع عن عقائد ومبادئ الإسلام ضد من يهاجمونه من أعدائه يريدون نقض عراه وتوهين قواعده وصرف الناس عنه هذا هو مقصود علم الكلام فهو علم لايعتقد بصحة قضاياها إلا المؤمن بعقائدها أصلا.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الشهر شاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل و النحل ، ج1 ، دار الكتب العلمية (د-ط-ت)بيروت ، ص 6.5.

<sup>2</sup> عبد الفتاح محمد سيد احمد ، التصوف بين الغزالي وابن تيمية ، دار الوفاء ، ط1 ، 2000 ، ص58.

وهذا هو مقصود علم الكلام أما أن يخلق علم الكلام عقيدة الاسلام في انسان نشأ خاليا عنها غير مؤمن بها فهذا مالم يحاوله علم الكلام ولم يكن من مهمته أو رسالته فقد قضت عليه مهمته ان يأخذ مقدماته من هؤلاء المشككين ليؤاخذهم بلوازم مسلماتهم وهي مقدمات وهمية متهافتة.

ولقد أصبح علم الكلام أفضل الوسائل السياسية للدفاع عن العقائد الإسلامية كما تبناها اهل السنة<sup>2</sup>.

### عوامل نشأة علم الكلام :

لكل علم عوامل أدت الى ظهوره وعملت على نشأته وتطوره فنفس الشيء بالنسبة لعلم الكلام هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية ساعدت على نشأته.

العوامل الداخلية :

1-القرآن الكريم :

ان مسألة الجبر والاختيار والآيات النازلة فيها من بين المسائل التي أدت الى أعمال العقل والنظر فيها نظرا للتأويلات المختلفة التي عرفت تلك الآيات فبدأ الانسان يتسأل حول الجبر والاختيار لأن تلك الآيات لم تحسم أمرها ومن بين هذه الاسئلة :كيف يمكن أن يكون الانسان مختارا ومجبورا في آن واحد؟وهذا كان دعوة للإجتهد إضافة الى العقائد المخالفة للإسلام .

ذكر القرآن الكريم الرد على هذه الديانات والعقائد المخالفة للإسلام على نحو رده على الدهرية وعبدة الكواكب ،ومنكري النبوات ومنكري البعث وأصحاب الديانات السموية من اليهودية والمسيحية .ولقد اشتمل القرآن الكريم أيضا على المادة الأساسية التي كونت موضوعات علم الكلام ،فنحن نجد فيه عرضا للأدلة على وجود الله تعالى ،تلك الادلة التي

<sup>1</sup> انظر نفس المرجع ، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> احمد النيفر (اثير الغزالي السياسي في المغرب الموحد) مجلة المسلم المعاصر العدد 54 فبراير 1989 المحلة.

تكاد تكون بعينها الأدلة التي استند إليها المتكلمون في هذا الصدد مما يشير الى اعتمادهم على القرآن الكريم في هذا الجانب.<sup>1</sup>

القرآن الكريم في العديد من آياته دعوة الى تدبر الكون والذات الانسانية وكانت هذه الآيات عوامل مساعدة لعلماء الكلام والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكونية دليل على وجود الله سبحانه وتعالى وخلق هذا الكون طبقاً لمبدأ العلية والذي يقتضي بأن لكل حادث علة وهذا ما استند اليه المتكلمون.

وهكذا لقد كان القرآن الكريم عامل من عوامل نشأة علم الكلام نظراً لما تحمله نصوصه من دعوة الى البحث في العقيدة الاسلامية والعقائد المخالفة لها، والبحث عن اجابة الاسئلة التي شغلت الفكر الانساني من خلال تدبره في الكون.

2- مشكلة الإمامة :

الإمامة من بين المسائل التي اختلف فيها المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لانه لم يستخلف أحد بعده وبعد اجتماع السقيفة تمت مبايعة ابوبكر وعين بعده عمر وبعد عمر بدأت الشورى ليعرف بعد ذلك الفكر الاسلامي العديد من المشكلات التي انقسم المسلمين على إثرها الى العديد من الفرق الكلامية .

3- الحكم على مرتكب الكبيرة:

اثار الخوارج مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة فحكموا عليه بالكفر في حين حكمت عليه المرجئة بارجائه الى يوم القيامة ليعذبه الله وإن شاء غفر له وحكمت عليه المعتزلة بأنه لا هو مؤمن ولا هو كافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين. ذلك أنه يشبه المؤمن في عقيدته ولا يشبهه في عمله، ويشبه الكافر في عمله، ولا يشبهه في عقيدته.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الاسلامية، دار الافاق العربية، مصر، ط2001، ص1، ص20.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص22 .

لقد ساهمت مشكلة الإمامة ومرتكب الكبيرة بشكل كبير في ظهور علم الكلام والفرق الكلامية بسبب تلك المسائل التي اثيرت واختلف حولها المسلمين وتعددت ارائهم. العوامل الخارجية :

لقد كان للعوامل الداخلية الأثر البالغ في نشأة علم الكلام ، كما يمكن القول بأن هناك عوامل خارجية كان لها الشأن في تكوينه.

### 1-المسيحية:

عرفت الجاهلية اعتناق بعض القبائل الديانة المسيحية على ايدي رهبان.وانكر الاسلام الركائز التي تركز عليها الديانة المسيحية وذلك لما جاء من آيات في القرآن الكريم.قوله تعالى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير»<sup>1</sup>.

ففي هذه الآية ردا على الذين يقولون بأن الله والمسيح من طبيعة واحدة حيث يوضح الله سبحانه وتعالى بأن المسيح بن مريم بشر ورسول بعثه الله لبني اسرائيل وعن مسألة الصلب فلم يصلب وإنما خيل لهم ذلك.

جاء في قوله تعالى : «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم»<sup>2</sup>. ففي هذه الآية ينكر الله سبحانه وتعالى ما قال به المسيحيين وهو التثليث الذي يعد ركيزة من ركائز المسيحية.

ان تسرب بعض الأفكار للمسلمين من المسيحيين أدى الى تحرك بعض الفرق الكلامية وظهور بعض الآراء التي أدت الى تشكل علم الكلام وتعدد وتوسيع موضوعاته.

### 2-اليهودية :

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة المائدة الآية :16

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة المائدة الآية :75.

شكلت نقاط الاختلاف بين المسلمين واليهود موضوعات لعلم الكلام ومن هذه النقاط مايلي:

- 1- إنكار اليهود لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،فقد ذهبوا الى أن الدين لبني اسرائيل فقط وليس ثمة انبياء ،وكانت هذه من أول وأهم نقاط الجدل بين المسلمين واليهود.
- 2- التشبيه والتجسيم مال اليهود اليه نظرا للعدد الهائل من التشبيهات في التوراة.
- 3-وإذا كان الاسلام قد رفض الصورة البشرية التي أضفتها اليهودية على الله فإنه قد استنكر كذلك ما تنسبه التوراة الى معظم الأنبياء من رزائل بل كبائر ،ليس فحسب لا تليق بمقامهم،بل لا تصح ان تصدر من فرد عادي.<sup>1</sup>

لقد شكلت الاحاديث والافكار التي تحدثت عن المهدي المنتظر والمسيح الدجال والميعاد واشراط الساعة وقصص الانبياء مادة دسمة لليهودية في نسج شباكها بدخولهم مجال التفسير لنشر الاسرائليات، وتجلت مظاهر هذه الأخيرة في اعتقادهم بالرجعة بعد الموت وأدى هذا الى ظهور علم الكلام باتهام كل فرقة كلامية للاخرى التي تخالفها الرأي.

3-ديانات الفرس والهند:

تفرق الفرس على مجموعات حسب الديانة فكانت هناك المزدكية والزرادشتية والمانوية إلا أنهم يجتمعون على مشكلة واحدة وهي مشكلة الشر فكان لزاما على المتكلمين ان يجدوا لها حل ما بين ان تنسب الى الله أم الى ابليس .

لقد كانت البصرة بوابة المسلمين الى الهند عن طريق البحر وفارس عن طريق البر فتعرفوا على دياناتهم وأهم هذه الأخيرة البراهمة التي تركز على عقيدتان وهما انكارهم للنبوة وقولهم بتناسخ الأرواح فانطلاقا من هاتين العقدين وجب على المتكلمين أن يجتهدوا ويجدوا حججا مقنعة.

<sup>1</sup> انظر: جمال المرزوقي ،دراسات في علم الكلام والفلسفة الاسلامية ،ص23.

كان هذا عن العوامل الخارجية التي أدت الى ظهور علم الكلام والفرق الكلامية دفاعا عن العقيدة الإسلامية والمحافظة عليها والحفاظ على الحضارة الإسلامية .

الى جانب العوامل الداخلية والخارجية هناك عامل آخر مهم كان له دورا بارزا في نشأة علم الكلام وظهور الفرق الكلامية ويتمثل في حركة النقل والترجمة حيث كانت بدايتها عندما قام المسلمون بقهر الامبراطورية الرومانية الشرقية ،أمر المسيحيون الشرقيون الذين اعتنقوا دين الفاتحين الجدد (الإسلام).<sup>1</sup>

كان للاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين ثمرة وهي وجود مخطوطات سريانية كانت تحتوي على نقاش من قبل المسلمين للمسيحيين حول عقيدتهم .واهتم الخلفاء بالمخطوطات ودفعوا مقابلها ذهب كثير رغبة في العلم رغم انهم كانوا يلقون امتناع من قبل البيزنطيين وبعد غلق مدارس اثينا باليونان انتقلت الفلسفة اليونانية الى الشرق ثم بعدها الى العرب لتضع بصمتها في الحضارة الإسلامية بعد ترجمة السريانيين لها.

نظرا لتمكن السريانيون من اللغة اليونانية جعلهم يتمكنوا من الحضارة اليونانية ويكون لهم الفضل الكبير في تشكيل المعرفة الفلسفية عند المسلمين كما استفاد علماء الكلام من الترجمة التي قام بها الفرس.

وعن الترجمة في العصر الأموي يرى دي بور أنه يجب علينا أن نلتزم إرهابات الدراسات الفلسفية في العصر الأموي تلك الإرهابات التي نشأت من مؤثرات مسيحية مصطبغة بالفلسفة اليونانية في دورها الشرقي ومن مؤثرات فارسية.<sup>2</sup>

لقد عرفت حركة الترجمة نشاطا واسعا في العصر العباسي حيث ترجمت أهم مؤلفات ارسطو وبعض مؤلفات أفلاطون وكتب جالينوس في الطب والاسكندرانيين وترجم ابن المقفع كلية ودمنة من الفارسية وكتاب المحسبي في الفلك .وترجمت الحكم الذهبية لفيثاغورس

<sup>1</sup> عباس محمد حسن سليمان ،الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الاسلامي ،دار المعرفة الجامعية،1998،ص17.

<sup>2</sup> انظر: نفس المرجع ،ص20.

وتصانيف لأبقراط وجالينوس وعرف هذا العصر العديد من المترجمين منهم يوحنا البطريق وثابت بن قرة وحنين بن إسحاق وغيرهم من المترجمين.

وبعدما رأينا دور العقل والترجمة واثرتها في الحضارة الإسلامية وانتشار الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي فلزم عن ذلك إقبال المعتزلة على دراستها حتى يتثنى لهم الدفاع عن الدين الإسلامي، إذا فبهذا العمل الذي قام به المعتزلة فتح الباب أمام المسلمين ليطلعوا على الكتب المترجمة الى السريانية والعربية .

أما اذا نظرنا الى أفكار المعتزلة بصفة عامة لوجدنا أن العلاف والنظام قد فتحت أذهانهما لبعض آراء الفلاسفة اليونان ولم يكن معتزلة القرن الثالث الهجري أقل تأثراً وأخذاً عنها ولعل الجاحظ من أوضح الأمثلة على ذلك.<sup>1</sup>

وممن كان لهم الفضل في حركة النقل والترجمة في تطور علم الكلام معمر بن عباد السلمي وابراهيم النظام وأبو الهذيل العلاف وغيرهم اذا كان للفكر الفلسفي دورا كبيرا في توسع رقعة علم الكلام.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 34.



المبحث الثاني: ارتباطات وعلاقات علم الكلام و ظهور الفرق الكلامية.

### 1- علاقة علم الكلام:

عرفت الفلسفة اليونانية انتشاراً واسعاً فقلدها بعض العرب دون وعي وتحفظ مما أدى الى حدوث بلبلة في الفكر الإسلامي، حيث أنها كانت تبحث عن الموجودات بما هي موجودة وثابتة من حيث هي في نفس الأمر الواقع ، ولما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون الى محاولة البحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها لكن لم يكن ذلك مقصود كلامهم ولم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في إختلافات الخلق.<sup>1</sup>

وهو جدل دار بين علماء الكلام والفلاسفة، فعلماء الكلام كانت تقودهم فكرانية أشعرية معادية للفلسفة والفلاسفة ، في حين ان الفلاسفة كانوا رجال فعل ثقافي تطلعوا الى نشر الفلسفة والمنطق في ديار الثقافة العربية.<sup>2</sup>

إن طبيعة بحث الفلسفة في حقائق الأشياء دون قيد او عقيدة جعلها تصطدم في بعض الأفكار الإسلامية وهذا ما دفع بالمسلمين بالوقوف في وجه الفلسفة لينشأ علم الكلام للدفاع عن العقيدة الإسلامية من مهاجمة الفلسفة مستعملين أساليب وأدلة و براهين يقول التفتازاني: «الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية».<sup>3</sup>

وبهذا يكون علم الكلام الفلسفة الإسلامية الحقيقية التي تهدف للحفاظ على العقيدة ومن هذا المنطلق اذ لا بد أن تكون له علاقات متنوعة.

### أ- علاقة علم كلام بالفقه وأصوله:

<sup>1</sup> -د:ابراهيم أحمد الديبو(مواقف الامام الغزالي من الكلام وأدلة المتكلمين ) مجلة جامعة دمشق للعلوم لاقتصادية والقانونية المجلد7،العدد3،201، ص474.

<sup>2</sup> محمد جلوب الفرخان( حدود وساطة المنهج العقلاني الرشدي) مجلة اوراق فلسفية ، العدد 5 ، جانفي 2012 ، يصدرها مركز دريد للدارسات-كندا.

<sup>3</sup> التفتازاني ، شرح المقاصد ، تحق: عبد الرحمن عميرة ، منشورات الشريك الرضي ، ط1 ، 1989 ، ص 163.

لقد جاء في كتاب الفارابي إحصاء العلوم Ihsa-aluloom في الفصل الخامس حديثه عن الفقه وعلم الكلام. حيث كان يميز بين الفقه والكلام إلا أننا يمكننا أن نعتبر تمييزه تمييزاً إعتبارياً حيث يذهب إلى القول بأن صناعة الكلام غير الفقه لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال التي يصرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولاً من غير أن يستتبط منها أخرى<sup>1</sup>

وعن التمييز يقول الفارابي: ويمكن للإنسان أن يجمع بينهما فيصبح فقيهاً متكلماً.<sup>2</sup> لأن عالم الكلام ينتصر لعقيدته و لممارسته العملية بينما الفقيه يعود للعقائد و الممارسات التي يضعها الشرع تكون كأصل للأحكام الفقهية، فالفقيه يمكن أن يصبح عالم كلام حينما يدافع عن الدين وعقيدته الشرعية ، ويمكن لعالم الكلام أن يصبح فقيهاً حينما يستتبط أحكاماً من الأصول. وعن هذه العلاقة يقول أبو حيان التوحيدي «وبابه (أي علم الكلام) مجاور لباب الفقه والكلام فيهما مشترك وان كان بينهما انفصال وتباين فإن الشراكة بينهما واقعة... ألا ترى أن الباحث عن العالم في قدمه و حدوثه و إمتداده وإنقراضه يشاور العقل ويخدمه ويستضيء به و سيتفهمه كذلك الناظر في العبد الجاني هل هو مشابه للحال فيرى إليه أو مشابه للحر فيحمل عليه فهو يخدم العقل و يستضيء به»<sup>3</sup>

ويتضح لنا التكامل بين علم الكلام وأصول الفقه في تعريف ابن خلدون Ibn khaldoun لكل منهما في كتابه المقدمة حيث يقول: علم اصول الفقه ب أنه النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام وأصول الأدلة الشرعية هي: الكتاب الذي هو القرآن، ثم السنة المبينة له.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد صالح محمد السيد ، مدخل الى علم الكلام ، ص52.

<sup>2</sup> - الفارابي ، إحصاء العلوم ، تحقق: د: عثمان أمين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، 1969 ، ص124.

<sup>3</sup> - ابوحيان التوحيدي ، ثمرات العلوم مع كتاب لأدب ولانتشاء في الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، 1323 هـ ، ص192-193.

<sup>4</sup> - ابن خلدون ، المقدمة ، ص ص452-453.

وعلم الكلام بأنه هو: علم الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف و اهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد.<sup>1</sup>

وانطلاقاً من تعريف ابن خلدون يتضح لنا بأن علم الكلام هو العلم المدافع عن الأحكام الشرعية الإسلامية (الفقه) والمصادر الإسلامية القرآن و السنة.

وما يدل على أزلية العلاقة بين الفقه وعلم الكلام ما قال به الشيخ مصطفى عبد الرزاق: إن المتكلمين منذ القرن الرابع الهجري وضعوا أيديهم على علم أصول الفقه وغلبت طريقتهم فيه على طريقة الفقهاء فنفذت إليه آثار الفلسفة و المنطق واتصل بهم اتصالاً وثيقاً.<sup>2</sup>

كما أن الفرق الكلامية على غرار المعتزلة والماتريدية والشيعة و غيرها إهتموا بالفقه وأصوله وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الصلة الوثيقة بينه وبين مباحثهم الكلامية، حيث نجد لبعض الفقهاء آراء ومصنفات كلامية ولبعض المتكلمين آراء و مصنفات في الفقه وأصوله.

#### ب- علاقة علم الكلام بالتصوف الإسلامي:

من خلال ما عرضناه فيما سبق عن علاقة علم الكلام و الفقه عرفنا العلاقة الوثيقة بينهما وفي هذا العرض المختصر سنتعرف على علاقة علم الكلام بالتصوف الإسلامي. ويعرف هذا الأخير بأنه ظاهرة معقدة و متداخلة و عملية مركبة تستوعب الدين والإجتماع والفكر، ويعد مبحث التصوف من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإسلامي الى جانب علم الكلام.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ص45.

<sup>2</sup> - مصطفى عبد الرزاق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ط2 ، 1959 ، ص249.

ان تلك المناقشات الكلامية التي دارت في القرن الثاني عاشها الصوفية ومنها أخذوا مما قالت به الفرق الكلامية وساعدهم في ذلك إقامتهم ببغداد و البصرة و الكوفة وهناك من المتصوفة من احب علم الكلام وتأثر به على غرار المحاسبي الذي تتبع اراء المعتزلة و القشيري الذي درس علم الكلام. ومن هنا تمكن القشيري من العلم بعقيدة أهل السنة والجماعة، كما استقرت على يد الأشعري و تلاميذه، وقد كان القشيري من اكبر المدافعين عن المذهب الأشعري في عصره.<sup>1</sup>

ويقول التفتازاني إن المتأمل في الرسالة القشيرية يلاحظ بوضوح إتجاه القشيري لتصحيح التصوف على أساس عقيدة أهل السنة حيث يقول القشيري إعلموا- رحمكم الله- إن شيوخ هذه الطائفة (أي الصوفية) بنوا قواعد أمرهم على أصول السنة من توحيد: بلا تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ماهو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيدي رحمه الله التوحيد أفراد القدم عن الحدث، وأحكام أصول العقائد بواضح الدلالة ولوائح الشواهد.<sup>2</sup>

وهكذا جمع القشيري بين علم الكلام والتصوف على خطى أستاذه أبي علي الدقاق لقد عرف التصوف السني غزو من قبل المذهب الأشعري ومن بين شيوخ المذهب الأشعري المحاسبي والإمام أبو حامد الغزالي المتصوف الأشعري الذي كتب في علم الكلام. ويظهر تأثر المتصوفة بعلم الكلام جليا في تلك المصطلحات التي شاعت لدى المتكلمين وليس هذا فقط بل ان ابن عربي كبير الفلاسفة الصوفيين تأثر بقول المعتزلة بـ "شيئية المعدوم". ومن ناحية أخرى نرى ان المتكلمين تأثروا بالتصوف وهذا ما نجده عند المعتزلة في أسلوبهم المعيشي الذي يميل إلى التقشف و الزهد والانصراف إلى العبادة وكذلك

<sup>1</sup> - محمد صالح محمد السيد ، مدخل الى علم الكلام ، ص 65.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص 66.

الأشاعرة حيث يقول السبكي عن الأشعري: « كان الشيخ سيديا في التصوف واعتبار القلوب كما هو سيد في علم الكلام وأصناف العلوم ».<sup>1</sup>

### ج- علاقة علم الكلام بفلسفة فلاسفة الإسلام :

ان الفلسفة هي العلم الذي يبحث في الوجود ومجرد من كل قيد وغايتها إدراك حقائق الموجودات كما هي في واقعها بالبراهين العقلية، وهذا بصفة عامة اما اذا تتبعنا الفلسفة عند المسلمين فإن الفلاسفة المسلمين يعتمدون القياس الأرسطي ولا ينكرون الاستنباط الرياضي ولا التجربة في الموضوعات التي يمكن أن تتناولها ولكنهم لا يحصرن سبب المعرفة في التجربة أو في الاستنباط الرياضي ولا فيهما معاً .

لقد كان لعلم الكلام الدور الكبير في نشأة الفلسفة الاسلامية وما هو معروف ان علم الكلام أسبق في نشأته من الفلسفة المشائية الإسلامية وعن هذا يقول إبراهيم مذكور: « الفكر الفلسفي الإسلامي أفسح من أن يقف عند المدرسة المشائية ، فقد ظهر وعرف في مدارس كلامية قبل أن يعرف المشاعون ويستقر أمرهم في علم الكلام و الفلسفة ، و فلسفة دقيقة وعميقة أحياناً، وللمعتزلة آراؤهم و بحوثهم التي عالجت المشكلات الفلسفية الكبرى وهي مشكلة الله ، والعلم والانسان ومهدوا بذلك دون نزاع للمدرسة المشائية ومن ذا الذي يستطيع ان ينكر على رجل مثل ابي الهذيل العلاف أو النظام مقامهما بين الفلاسفة ومن كبار الأشاعرة من عد بحق فيلسوفاً ومتكلماً في أن واحد امثال الغزالي، وفخر الدين الرازي ، ومنذ القرن السابع الهجري حتى أوائل القرن الثالث عشر، اختلطت البحوث الفلسفية بالدراسات الكلامية وعاشت معها جنباً الى جنب وكتاب المواقف للايجي أو كتاب العقائد للنسفي ملئ بالآراء والنظريات الفلسفية والكلامية وكان الكتابان معاً دعامة للبحث النظري في بعض المعاهد العربية الكبرى كالأزهر ، والزيتونة، طوال القرون الستة الأخيرة».<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - السبكي ، طبقات الشافعية ، ج 2 ، ص 247.

<sup>2</sup> - د:ابراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976 ، ج 2 ، ص 11.

والمنتبع للتاريخ الإسلامي سيجد حتما أن المدارس الكلامية عرفت قبل ان يعرف فلاسفة مسلمون بل حتى القضايا التي بحث فيها المتكلم من الإسلاميون أعاد البحث فيها الفلاسفة بعدهم كما ان المتكلم من وضعوا منهج خاص بهم قبل المنهج الأوسطي، ومن الفلاسفة الذين تعرضوا للمسائل الكلامية الكندي الذي قال عنه دي بور: «إنه كتب في الاستطاعة وزمان وجودها هل توجد قبل الفعل أو تكون معه وكان يؤكد القول بالعدل والتوحيد وهما أصلان من أصول المعتزلة، ودافع عن النبوة، وحاول التوفيق بين السمع والعقل وهي من اهم المشكلات التي تعرض لها المتكلمون».<sup>1</sup>

علم الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين والفلسفة ليس فيها طابع ديني وانما تبحث عن الحقائق على ماهي عليه وهذا ما قد يحمل الفيلسوف على تبني رأي مخالف للشريعة الإسلامية. وعلم الكلام لا يشبه الفلسفة لأنه نشأ عند المسلمين للرد على الفلسفة المهاجمة والتي قد تؤثر على العقيدة الإسلامية فهدف الفلسفة معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية وهدف علم الكلام تصحيح العقائد الإسلامية. اعتبر الكثير من الباحثين علم الكلام إنه هو الفلسفة الإسلامية و المتكلمين هم فلاسفة الإسلام كما اننا إذا بحثنا في تاريخ علم الكلام نجد فيه نظريات دقيقة من صميم البحث الفلسفي.

ومن الأدلة التي تدل على التلاحم بين علم الكلام وفلسفة فلاسفة الإسلام دليل الحدوث ودليل الغائية وما يؤكد ارتباطهما ماجاء في قول مذكور: «إن المدارس الكبرى كلامية كانت أو صوفية أو فلسفية نشأت كلها تحت كنف الإسلام وعاشت في ظل تعاليمه، تعاصرت وأخذ بعضها عن بعض تلاققت أحيانا أخرى، ولا يمكن ان تدرس مشكلة عقلية

<sup>1</sup> - دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص18.

درسا مكتملا إلا إذا بحثت في ضوء المدارس على اختلافها ومن الخطأ أن يظن أن كل واحدة منها عاشت بمعزل عن الأخرى»<sup>1</sup>.

## 2- ظهور الفرق الكلامية:

إن الإختلاف الذي وقع بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إختلافا إجتماعياً سياسياً وكان حول القيادة فإنقسم الصحابة الى ثلاثة اتجاهات الأول يرى تنصيب سعد بن عبادة لرئاسة المسلمين والثاني يقول بتخصيب أبا بكر رضي الله عنه والثالث يقول بتخصيب علي بن ابي طالب. ولكن هذا الخلاف لم يدم طويلاً لتتم مبايعة أبي بكر ومن هذا نتج الانقسام الكبير الى فريقين الإسلام الرئيسين (الشيعة والسنة) اللذين نتجت عنهما الفرق الإسلامية.

**1- الخوارج:** أول فرقة كلامية سياسية دينية ظهرت في الاسلام، حيث دارت أرائهم الكلامية حول الخلافة حيث قالوا بصحة خلافة ابي بكر وعمر وبصحة خلافة عثمان إلا أن عثمان عندما غير وبدل على عكس أبي بكر وعمر وجب عزله وقالوا بصحة خلافة علي إلا أنه اخطأ في التحكيم فحكموه بكفره وبكفر أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص وعن هذا جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني مايلي: «وقد قبض على احدهم هو (عروة بن حدير أحد الخوارج الناجين من حرب النهروان الذين بقوا الى أيام معاوية) وثم اتى الى زياد بن أبيه ومعه مولى له فسأله زياد عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال فيهما خيراً وسأله عن عثمان فقال : كنت أتولاه الى أن حكم الحكمين ثم تبرأت منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر وسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحاً...»<sup>2</sup>.

وهذا إن دل على شيئاً إنما يدل على ان كلامهم يدور في الشأن السياسي والديني أي على الخلافة والإيمان وقرروا بأن الخليفة يجب أن يختار ولا يشترط من أي قبيلة كان

<sup>1</sup> - الرجوع السابق ، ص6

<sup>2</sup> الشهرستاني، الملل و النحل ، ج1 ، ص 118.

وإنما يخضع لأمر الله وبهذا الرأي يكونوا قد خالفوا الشيعة القائلة بالخلافة في بيت النبي واهل السنة القائلين بالخلافة في قريش. إن جوهر نزعة الخوارج حول امر الخلافة هو توسيع دائرة الخلافة حتى تشمل باقي المسلمين وكانت حادثة التحكيم هي الكاشف عن ماكان في نفوس الخوارج.

وفيما يتعلق بالإمامة فيرى الخوارج إنها تتم بإختيار المسلمين وعلى الإمام أن يكون عالماً زاهداً و عادلاً ولا يهم نسبه و هذه المبادئ الديمقراطية للخوارج هي المبادئ الاسلامية لكن ما أفسدها هو الإرهاب والعنف والتطرف الذي مارسه الخوارج تجاه المسلمين في الوقت الذي كانوا فيه أكثر تسامحا مع غير المسلم.

يشير التاريخ ان الخوارج انقسموا الى فرق كثيرة من أشهرها الازارقة والاباضية والصفرية والنجديات و العجاردة والثعالبة، وليس هذا فقط بل أن: بعض هذه الفرق انقسمت فيما بينها الى فرق أصغر... ومعظم فرق الخوارج قد انقرضت في غمرة احداث الزمان وكر الأيام ولم يبق منها معاصر لنا إلا الإباضية.<sup>1</sup>

وفي الحقيقة ان الخوارج هم أناس زهاداً عباداً مجاهدين في سبيل الله ولكن تشددهم في وسائلهم المستعملة في الوصول الى تحقيق أهدافهم السياسية أدى الى خلافهم في الرأي ليعتداه الى الخلاف العقائدي.

**2- الشيعة:** لقد نشأت الشيعة كأبي فرقة كلامية إلا أن نقطة بدايتها اختلف فيها فكانت هناك اراء مختلفة منها ظهورها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يذهب مؤرخوها الى أن النبي أول من وضع بذرة التشيع الأول مستدلين على ذلك ان النبي (ص) كرر نكر شيعة علي وفي هذا الصدد يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء«إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية يعني ان بذرة التشيع وضعت

<sup>1</sup> - مصطفى الشكعة ، اسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، ط8 ، 1991 ، ص133.



مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعهدا بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته»<sup>1</sup>

ومنه من يقول بان الشيعة نشأت عقب وفاة النبي صلى عليه وسلم ويمثل هذه الفرقة بعض الصحابة الذين أعلنوا ولاءهم لعلي بن ابي طالب زاعمين على انه وريث النبي (صلى) الشرعي وانه من بيت النبوة وان شيعته هي الفرقة التي افتقرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهم شيعة علي بن ابي طالب ومنهم كما يقول انبثقت صنوف الشيعة كلها.<sup>2</sup> والفرقة الثالثة التي تقول بان التشيع نشأ في خلافة عثمان بن عفان لكن لم يظهر بشكل واضح إلا بعد أن نعم فريق من الصحابة على عثمان بن عفان حين حمل أقباءه من بني أمية على رقاب المسلمين.

وهناك فرقة رابعة ترى ان التشيع ظهر بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، هذه الاتجاهات الأربعة أشهر ما قيل في نشأة التشيع وهي تبدو في ظاهرها متناقضة الى حد ما لكن هذه الإتجاهات و إن اختلفت في تحديد زمن نشأة التشيع بمعناه الاصطلاحي إلا أنها تتكامل مع بعضها البعض.<sup>3</sup>

وكغيرها من الفرق الكلامية تفرقت الشيعة الى فرق عديدة منها الزيدية والأمامية الاثني عشرية و الإسماعلية وبدورها هذه الفرق الثلاثة ظهرت فيها فروع وتيارات في داخلها وفرق انشعبت عنها.

**3- المعتزلة:** لم تكن المعتزلة أول فرقة كلامية فقد سبقتها القدرية والجهمية في النشأة إلا أنها كانت لها الأسبقية في عرض موضوعات علم الكلام في نسق مذهبي متكامل بل أصبحت مسائل علم الكلام تناقش في إطار الحدود التي وضعها رجال المعتزلة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، بيروت ، ط4 ، 1982 ، ص43.

<sup>2</sup> النوبخي ، فرق الشيعة ، تحق عبد المنعم الحنفي ، دار الرشد القاهرة ، ط 1 ، 1992 ، ص15.

<sup>3</sup> - د: احمد صبحي الزيدية ، ج 1 ، م 2 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1980 ، ص16.

<sup>4</sup> - انظر: سعد رستم ، الفرق والمذهب الإسلامية ، الأوائل للنشر والتوزيع سورية، دمشق ، ط3 ، 2005 ، ص88.

فهم أقدم من زاول علم الكلام ولاشك في انهم يؤلفون مدرسة ذات طابع ديني تأملي بعيدة الأثر وان مساعيهم ومحاولاتهم نابعة من المعطيات الدينية الأساسية في الإسلام.<sup>1</sup> يقصد بالمعتزلة جماعة من المفكرين المسلمين نشأت في البصرة منذ النصف الأول من القرن الثاني للهجرة وانتشرت حركتهم انتشاراً سريعاً حتى ان قسماً كبيراً من نخبة المفكرين المسلمين انضوا تحت لوائهم وكانت بغداد عاصمة الدولة العباسية مقراً لمدرستهم طيلة عهود عديدة كما ان مذهبهم كان في وقت من الأوقات الرسمي للإسلام السني.<sup>2</sup> لقد تميزت المعتزلة بحرية الفكر مما جعلها تبحث في التراث اليوناني الفلسفي مدعين بذلك أصولهم الإعتقادية لمواجهة المخالفين. كما استطاعوا ان يحددوا معالم العقيدة الإسلامية وتأسيس دعائم الحركة العلمية الإسلامية.

وباستخدام المعتزلة للعقل تمكنت من بناء فلسفة اسلامية أصيلة دفعت بالمسلمين لمقاومة الجمود الفكري حيث جعلت لنفسها مكانة في الحضارة الإسلامية حيث جعلت مسارها التاريخي مصاحب لمسار الحضارة الإسلامية ولقد تعرضت المعتزلة لهجومات متطرفة كالذي فعله البغدادي وابن حزم الذي هاجمها هجوماً عنيفاً. وكان هذا سبباً في ركود البحث العلمي والدراسات العقلية ويقول وات: ان الإسلام كان يمكن ان يكون اقرب الى مفهوم الأوربيين (المتسم بالتححرر الفكري والتقدم العلمي) اذا استمرت المعتزلة ولم تحل محلها الأشاعرة وأمثالهم من أصحاب المذاهب السلفية الجامدة.<sup>3</sup>

وعن اصل نشأة المعتزلة اختلفت الاراء إلا ان المعتزلة يجتمعون على خمسة أصول ومن لايقول بها ليس معتزلياً وفي هذا الرأي يقول الخياط: لسنا ندفع بلن يكون بشر كثير يوافقوننا في القول بالتوحيد ويقولون بالتشبيه وبشر كثير يوافقوننا في العدل ويقولون بالجبر،

<sup>1</sup> - هنري كوريان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، راجعه: موسى الصدر، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1998 ، ط170 .

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> - انظر : محمد صالح محمد السيد ، مدخل الى الكلام ، ص 222.

وبشر كثير يوافقوننا في التوحيد والعدل وهم يخالفون في الوعد والوعيد والأسماء والأحكام ، وليس يستحق احد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>1</sup>.

**4- الأشاعرة:** تعد الأشاعرة من أكبر الفرق الكلامية التي احدثت تحول على مستوى الفكر الإسلامي بصفة عامة وعلى مستوى علم الكلام بصفة خاصة.

وقد ظهر هذا المذهب في القرن الرابع الهجري على اثر انقلاب مفاجئ في معتقد مؤسسه الإمام ابي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ( 270 - 330 ) من الاعتزال الذي كان قد استمر عليه عشرين عاما الى مذهبه الجديد انقلابا ترافق بخصومه عنيفة للمعتزلة وقد تزامن هذا التحول مع بداية افول عصر المعتزلة مثل انقلاب روح العصر على ذاته ومن ثم اكتسب تحول الأشعري اهمية خاصة أثارت الباحثين في فكره ومذهبه قدامى ومحدثين<sup>2</sup>.

وأهم عقائد الأشعرية وجود الله تعالى ببحوثهم الطبيعية حيث يعتمدون في ذلك على دليل حدوث العالم والعالم عندهم مؤلف من جواهر وأعراض أي ذوات وصفات لها والاشاعرة هنا يتبنون نظرية الجوهر الفرد<sup>3</sup>.

وفي الصفات الإلهية اثبتت الأشعرية الصفات الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ، صفات أزلية بجانب الذات. وفي رؤية الله أوجبوا الرؤية سمعا واستدلوا عليها من القرآن والمقصود منها نفي الإدراك لأن الإدراك إحاطة والله منزه عن ذلك.

<sup>1</sup> - الخياط: الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد وما قصديه من الطعن على المسلمين تحق: نبيرج ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1925 ص 134.

<sup>2</sup> سعد رستم ، الفرق و المذاهب الاسلامية ، ص 123 .

<sup>3</sup> محمد صالح محمد السيد ، مدخل الى علم الكلام ، ص 273 .

وفي مسألة القرآن غير مخلوق يذهب الأشاعرة الى التفريق بين الكلام اللفظي والكلام النفسي. فيذهبون الى ان الألفاظ المنزلة دلالات على الكلام الأزلي والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم أزلي وهم بذلك توسطوا بين القائلين بقدم القرآن والقائلين بخلقه.<sup>1</sup>

وأفعال العباد عند الأشاعرة مخلوقة لله تعالى مكسوبة للعباد لأن السبب متعلق بقدرتهم و الفعل من صنع الله. وعن موقفهم من مرتكب الكبيرة إما ان يعذّب به الله بمقدار جرمة ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد في النار مع الكفار، أما في ما يخص الحسن والقبح الشرعيين يرى الأشاعرة أن الواجبات لها بالسمع والعقل لا يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحا ومعرفة الله تحصل بالعقل.

لقد توسعت دائرة الفلسفة في معالجات الاشاعرة للمشكلات الكلامية حيث توسعوا في استخدام المصطلحات الفلسفية *les termes philosophiques* حتى صار علم الكلام عندهم ابتداء من فخر الدين الرازي فلسفيا بشكل ظاهر ورغم هذا إلا ان الفلسفة لم تلقى قبولا عند متأخري الاشاعرة. واشتغل بعضهم بالرد عليها كالغزالي والشهرستاني وغيرهما فكلاهما هاجم الفلسفة اليونانية ومن اقتفى أثرها من مفكري الإسلام.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - نفس المرجع ، ص 274.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص 273.

المبحث الثالث: مكانة ودور علم الكلام عند الفلاسفة المسلمين .

عرف الدين الإسلامي ظهور علم الكلام و الفرق الكلامية نتيجة عوامل عديدة وكان الهدف الأساسي لهذا العلم الدفاع عن العقيدة الإسلامية حيث اشتغل فيه العديد من الفلاسفة الإسلاميين وكانت نظرتهم وشغلهم فيه حسب نظرة كل واحد منهم فما مكانة علم الكلام عند الفلاسفة الإسلاميين ؟

### 1 الفارابي<sup>1</sup>:

عرف عصر الفارابي Elfarabi العديد من الأحداث السياسية بداية من سيطرة الفرس والأتراك على الجيش وإقصاء العرب ودامت سيطرة الأتراك في الدولة العباسية حوالي قرن وازداد نفوذهم في عهد المستعن بالله .وقاموا بقتل كل خليفة يخالف أطماعهم ورغبتهم في السيطرة التي لم تنقص يوماً .

وهكذا كانت هذه الفترة من تاريخ العرب خلفاء ضعاف ،وتغلغل للنفوذ التركي في صميم الحكم وأخص خصائص الحاكم ،وتدخل للنساء في أمور الدولة وكم من خليفة قتل .وكم من خليفة مات بعد أن نال من العذاب أشده من ضرب بالدبابيس أو إقامة في وهج الشمس أو سمل العيون.<sup>2</sup>

عاش الفارابي في تلك الفترة إلا أنه لم يدخل مضمار السياسة رغم أنه كان يتصل ببعض الحكام لكن في حدود العلم حيث كان يشتغل في الفلسفة .

<sup>1</sup> الفارابي :ولد أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان بن اوزلغ الفارابي في بلدة وسيج قرب فارأب على نهر سيحون في بلاد الترك 260هـ كان والده جنديا فقيرا معدا .درس اللغة العربية وتعلم النحو ،عرف بتنقله وأسفاره توفي 339هـ عن ثمانين عاما\* .

\*مصطفى غالب ،في سبيل موسوعة فلسفية ،منشورات دار ومكتبة الهلال ،بيروت 1998 .

<sup>2</sup> سعيد زايد ،سلسلة نوابغ الفكر -الفارابي- دار المعارف ،القاهرة مصر ،ط3 .

وعلى الصعيد الاجتماعي أصبح المجتمع الإسلامي في عهد الفارابي يتألف من الأتراك و الفرس والعرب والمغاربة ،وعرفت تلك الفترة تنازع وتنافس بين السنيون والشيعة، وظهر في المجتمع النصارى واليهود وعاشوا مع المسلمين في وفاق وتسامح .

عرف نظام العمران ظهور أشكال هندسية شرقية وعرفت الدور الفخامة و الاتساع تضم حدائق وفرش ثمينة على شاكلة ديار الفرس والرمان .وأخذت مجالسهم نظام الفرس بها طرب وغناء وشعر وموسيقى .كما انتشرت عندهم صناعة النسيج والنحاس وعرفت تجارتهم نشاطا ،واختلف لباس الطبقة الحاكمة عن لباس العامة .

تعددت الحركات الدينية Les mouvements religieux في عصر الفارابي وانتعش مذهب المعتزلة وانتشرت مبادئ الشيعة وتوسيع رقعة المذهب السني ولقيت الإسماعيلية رواجاً واسعاً بين العرب .

وقد ساد الخلاف في الدولة العباسية حول قضية خلق القرآن حيث سجن ابن حنبل ونبذ كل من لا يقول بخلق القرآن وكانت هناك قضية أخرى وهي ملائمة الفلسفة اليونانية بعد ظهورها مع الدين الإسلامي ،حيث كانت هناك مناقشات وندوات بين المعتزلة والسنة.

وعلى الرغم من القوة التي كانت عليها تعاليم المعتزلة بعد أن تأثرت بالفلسفة اليونانية فإنها لم تكن الذهب الرسمي للدولة ابتداء من العصر العباسي الثاني فقد نهى المتوكل (أول خلفاء هذا العصر) عن القول بخلق القرآن ،فضعفت شوكتهم وزادها ضعفا ثورة أبي الحسن الأشعري عليهم بعد ذلك.<sup>1</sup>

هذا عن بعض الأحداث السياسية و الاجتماعية والدينية التي عرفها عصر الفارابي ولا شك أن لها أثر على حياة الفارابي وتكوينه الفكري والعلمي.

<sup>1</sup> نفس المرجع ،ص12.

### التكوين الثقافي للفارابي ومكانته الفكرية :

درس الفارابي اللغة العربية والعلوم الإسلامية والفقه والحديث والتفسير وتعلم اللغة الفارسية والتركية .درس الفلسفة وأولى دراسة الطب عناية خاصة .تنقل في بلاد الإسلام حتى دخل العراق ،والم ببغداد فتلقى طرفا من علوم الفلسفة على أستاذ نصراني وكان من زملائه في التلمذة أبو بشر متى بن يونس النصراني المشهور بترجمته للكتب اليونانية.<sup>1</sup>

كما أنه درس على يده المنطق La logique وأخذه كذلك عن يوحنا بن خيلان وقام بدراسة كتاب النفس لأرسطو وكتاب السماع الطبيعي .

لقد شهدت بغداد تأليف أكبر عدد من كتب الفارابي الذي اعرض عن المناصب الرفيعة وعمل حارس مستغلا عمله في المطالعة في الليل وهذا دليل على أنه نشأ ميسور الحال ولكنه لم يسلك سلوك أولاد القادة والأمراء الذين كثيرا ما يميلون إلى الترفه والبخ والإقبال على الملذات.<sup>2</sup>

أي أن الفارابي كان إنسان قنوع إذ لم يكن تغريه مظاهر الحياة حيث كان يكسب قوت يومه بيده ،انقطع للتأليف والتعليم واشتغل الفارابي بالقضاء في بلده إلا أن أصحاب التراجم لم يذكروا تاريخ اشتغاله فيه رغم وجود دلالاته على الفارابي والتي تتمثل في:

1- أن يكون الرجل مؤهل تأهيل علمي كاف وهذا ما نجده في الفارابي كما سبق واشترنا انه أتقن اللغة العربية ودرس العلوم الإسلامية والفقه والحديث وبعض العلوم.

2-تعرف ثقافته التكوين والتجديد والتواصل

<sup>1</sup> مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية ،ص14

<sup>2</sup> إبراهيم عاتي الإنسان في الفلسفة الإسلامية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1993،ص18.

3- إن الاطلاع على الثقافة اليونانية وإتقانه لها جاء لاحقاً للمرحلة السابقة ولكنه لم يستطع أن يسلب الفارابي شخصيته أو هويته الإسلامية. فلذا نراه يحاول القيام بعملية تطوير في نطاق الفكر اليوناني الأرسطي على وجه الخصوص كي يتلاءم مع الخطوط العامة التي تطبع شخصيته المسلمة حتى وإن جاءت تلك المحاولة على حساب الحقيقة العلمية في بعض الأحيان مثل محاولته الجمع بين الأفلاطونية والأرسطية كما سنرى.<sup>1</sup>

عندما شعر الفارابي بالمعارف أثناء اشتغاله بالقضاء نبذه وانطلق لدراسة الفلسفة بفضل باعث روحي عقلي دفعه لفعل ذلك وهذا إن دل على شيء إنما يدل على زهده وحسن تصرفه. كان الفارابي طوال حياته زاهداً في متاع الدنيا قانعا بمطالعة الكتب وتأليف المقالات والرسائل والكتب وتصنيفها، ولم تترك له هذه الحياة الفرصة للتفكير في نفسه أو حتى أن يتزوج لأنه كان مؤثراً للعزلة والتأمل في أقوال السابقين وفلاسفة اليونان على رأسهم أفلاطون وأرسطو.<sup>2</sup>

كان للأسفار التي اشتهر بها الفارابي دوراً كبيراً في تكوين شخصيته الفكرية لأنها سمحت له بالاحتكاك بالثقافات المتنوعة والتي لم يطلع عليها ومتابعته لأحوال الناس ولا شك أنه التقى بعلماء وأساتذة.

سافر الفارابي إلى آسيا الوسطى وهذه الأخيرة عرفت بوجود عدد كبير من دور العلم والتقى بالفقهاء والمتكلمين والعلماء والأدباء عندما سافر إلى فارس والتي عرفت حواضر العلم فحصل منها الفارابي ما استطاع تحصيله ويقول دي بور «الفلسفة التي تدرب عليها الفارابي يرجع أصلها إلى مدرسة مرو، والظاهر أن أعضاء هذه المدرسة كانوا يعنون بمسائل

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 19.

<sup>2</sup> عبد الحميد درويش النساج، الفارابي وفلسفة العقل، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 2014، ص 1، ص 24.



الإلهيات أكثر مما عني بها أهل حران والبصرة. فقد كان ميل هؤلاء متجها إلى الفلسفة الطبيعية<sup>1</sup>.

إتقان الفارابي للعديد من اللغات ساهم بشكل كبير في تكوينه الفكري ودخوله إلى بغداد وإلى مدينة النور التي عرفت توافد العلماء والحكماء إليها بغرض الاستفادة من علم علماء ومن كتبها ومدارسها. وعرف الفارابي بكتابته الواضحة وأسلوبه السهل ولا تخلو من جمال البلاغة كما أنه عرب منطوق أرسطو بألفاظ ملائمة للعرب.

عرف الفارابي بين أقرانه من علماء وفلاسفة عصره بأنه كان قوي التفكير يتقن العديد من لغات عصره، قيل أنها تجاوزت السبعين كان متوقد الذهن، حاد الذكاء، رياضيا شاعرا بعيد الفور، كريم النفس يحب الخلوة والانفراد فلا يشاهد إلا بقرب الينابيع الرقراقة أو بجوار الأشجار الباسقة الخضراء، يؤلف ويصنف ويعزف أطيّب الألحان وأرق الأنغام، عشق الموسيقى فبرع فيها وداعتبت أنامله الأوتار فأضحك وأبكى، اخترع القانون وعزف عليه فاستولى على سامعيه وسلب ألبابهم وحير عقولهم فحلّقوا بالأجواء مع الأنغام العجيبة الخالدة يعبون من ينائيعها الرقراقة.<sup>2</sup>

فلسف الفارابي الدين الإسلامي وقدم المنطق للعرب وشرح كتب أرسطو المنطقية بينا رموزها وكشف غموضها وسمي بذلك المعلم الثاني وشهد له ابن خلدون بأنه من كبار الفلاسفة المسلمين الذين أرخو للفلسفة الإسلامية.

يظهر المنهج العقلي L'abbroche mentale للفارابي جليا في مختلف العلوم كالمنطق والرياضيات وعلم الكلام والإلهيات والطبيعيات وغيرها، وعن انجازه في المنطق يقول ابن مبادئ: « لقد أخذ الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن جيلان فبذ جميع أهل

<sup>1</sup> انظر: إبراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية، ص 21.

<sup>2</sup> مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، ص 16.

الإسلام فيها ،وأرى عليهم في التحقيق بها فشرح غامضها ،وكشف سرها ،وقرب تناولها ،وجمع ما يحتاج إليه منها في كتب صحيحة العبارة ،لطيفة الإشارة ،منبهة على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل ،وأثناء التعاليم ،وعرف طرق استعمالها ،وكيف تعرف صورة القياس في كل مادة منها ،فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهائية الفاضلة»<sup>1</sup>.

ويقول القفطي على نبوغ الفارابي في المنطق وشرحه لكتب أرسطو « وهذا الرجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير»<sup>2</sup>.

أخذ ابن سينا المنطق عن الفارابي وهذا إن دل على شيء إنما يدل على شهرة الفارابي الذي انتهج نهج أرسطو وصحح مكان فيها من أخطاء مضيفا عليها الصبغة الإسلامية حتى لا تكون في تناقض مع مبادئ الدين الإسلامي.

ألف الفارابي العديد من المؤلفات والتصانيف إلا أن عدد منها فقد مع مرور الزمن فمنها 60 كتابا و 25 رسالة و 17 شرحا وتتنوعت الكتب بين الرياضيات والمنطق والكيمياء والفلسفة وترك مجموعة من الشروحات في (قوى النفس) (القياس) (العقل والمعقول) وغيرها ومن كتبه ما كان في الرد على ابن الرازي وجالينوس وابن الرواندي وخاصة المفقودة.

<sup>1</sup> نفس المرجع ،ص 1 .

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص 19.

### المنهج وإشكالية المعرفة:

كل علم science يقوم على منهج لا بد أن يكون متناسقا هذه نتيجة حتمية أدركها الفارابي فعلمه كلها جاءت متناسقة مرتبة منظمة وذلك لأنه استعمل العديد من المناهج حسب طبيعة كل علم تناوله.

آمن الفارابي بضرورة أن يكون للبحث العلمي منهج محدد وثابت يقوم على أسس وأدوات تمكنه من أن يصل إلى النتائج الصحيحة المطلوبة التي هي غاية كل باحث أو عالم ولتكوين مثل هذا المنهج لا بد للعالم من نظرة شاملة على مختلف العلوم السائدة في عصره حتى يتثبت من الأرضية التي ينطلق منها أولا، ولكي يعرف طبيعة كل علم والمنهج الخاص به ثانيا.<sup>1</sup>

ولما أدرك الفارابي أهمية التصنيف وصلته بالمنهج العلمي l'approche scientifique بمحاولة تصنيفها وهذا ما تقتضيه ضرورة البحث العلمي إذ يجب على الباحث أن تكون له فكرة عن علاقات العلوم والفيلسوف كذلك ضرورة معرفة الموضوع قبل أن يخوض فيه، ومعرفة علاقاته بالعلوم الأخرى والمنهج الذي يحكمه. كان الفارابي يهدف إلى وضع منهج لكل العلوم سواء كانت عقلية أو حسية.

الفلسفة عند الفارابي علما كليا يجمل صورة كاملة عن الكون عكس العلوم الأخرى. ذلك أن موضوعات العلوم وموادها لا تخلو من أن تكون: أما إلهية، إما طبيعية، وإما منطقية، وإما رياضية أو سياسية. وصناعة الفلسفة هي المستنبطة لهذه، والمخرجة لها

<sup>1</sup> إبراهيم عاتى، الإنسان في الفلسفة الإسلامية، ص 25.

حتى انه لا يوجد شيء من موجودات العالم إلا وللأسفة فيه مدخل وعليه غرض ،ومنه علم بمقدار الطاقة الإنسية (الإنسانية).<sup>1</sup>

إن منهج الفارابي ينقسم إلى تصنيف العلوم وإحصائها فتصنيفها مبني على أسس عقلية موضحة علاقات العلوم ببعضها البعض وأساسه السعادة التي تعتبر مطلب كل إنسان والتي اعتبرها الفارابي نهاية الكمال الإنساني تحصل له عند توفر مجموعة من الشروط اللازمة لحصولها.

قسم الفارابي العلوم إلى علوم نظرية science theoriques وهي فلسفة نظرية وعلوم عملية وهي فلسفة عملية وهذه الأخيرة بدورها تنقسم إلى علم الأخلاق وعلم السياسة science de politique ،وهذا ما يبين لنا أن الفارابي صنف العلوم على أسس معرفية وطبيعية وأخلاقية ودينية وثابتة .

قام الفارابي بتقسيم العلوم بعدما قام بتصنيفها وهذه العلوم هي :

1 علم اللسان Linguistiques عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أجزاء عظيمة: علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ،وقوانين الألفاظ عندما تتركب وقوانين تصحيح الكتابة وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار.<sup>2</sup>

2 -علم المنطق La logique :هو الصناعة التي من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبو نصر الفارابي ، كتاب الجمع بين رأي الحكيمين قدم له:ألبير نصري نادر دار المشرق ،بيروت، لبنان ،ط2،ص 80.

<sup>2</sup> الفارابي، إحصاء العلوم ، مركز الإنماء القومي ،لبنان، 1991، ص 10.

<sup>3</sup> نفس المصدر ،ص 13.

- 3 -علم التعاليم Theologie: هذا العلم ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى هي علم العدد وعلم الهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم وعلم الحيل وعلم الأثقال وعلم الموسيقى الذي يشتمل بالجملة على تعرف أصناف الألحان.<sup>1</sup>
- 4 -العلم الطبيعي science naturelle: هو العلم الذي ينظر في الأجسام الطبيعية وفي الأغراض التي قوامها في هذه الأجسام ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها والتي لها توجد هذه الأجسام والأغراض التي قوامها فيها.<sup>2</sup>
- 5 -العلم الإلهي La science divine: ينقسم إلى ثلاثة أجزاء احدها يفحص فيه عن الموجودات والأشياء التي يعرض لها بما هي موجودات وثانيها يفحص فيه عن مبادئ البراهين في العلوم النظرية الجزئية، وثالثها يفحص فيه عن الموجودات التي ليست بأجسام ولا في أجسام.<sup>3</sup>
- 6 -العلم المدني science civile: يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإرادية وعن الملكات والسجايا والشيم التي عنها تكون تلك الأفعال والسنن، وعن الغايات التي لأجلها تفعل.<sup>4</sup>
- 7 -علم الفقه: صناعة الفقه بها يقتدر الإنسان على أن يستتبط تقدير شيء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديدده على الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير.<sup>5</sup>
- 8 -علم الكلام science de la parole: صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان عن نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزبيف كل ما خالفها بالأقاويل.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 29.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 32.

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 36.

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 38.

<sup>5</sup> نفس المصدر، ص 40.

شغلت مشكلة المعرفة حيز كبير في أبحاث الفارابي حيث أنه قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي المعرفة العقلية والمعرفة الحسية والمعرفة الذوقية أو الإشرافية.

يُميز الفارابي Elfarabi بين ما هو حسي وما هو عقلي، كما يميز بين طبيعة كل منهما فيقول: ليس من شأن المحسوس من حيث هو محسوس أن يعقل ولا من شأن المعقول من حيث هو معقول أن يحس.<sup>2</sup>

يرى أن المعرفة لا يمكن أن تقتصر على الحواس وحدها لأنها إذا كانت كذلك فستكون ناقصة ولا يمكن تكون للعقل وحده لأن الحواس هي التي تمد العقل بالمعلومات.

### الفارابي والفلسفة:

اشتهر الفارابي بأنه فيلسوف التوفيق الأول في الإسلام ولقد عرف بقوة تفكيره وحدة ذكائه وقام بتقريب الفكر اليوناني والمنطق إلى العقل العربي وذلك عندما قام بشرح كتب أرسطو الفلسفية والمنطقية. إن مذهب الفارابي لا يختلف عن مذهب فلسفة العرب الذين شرحوا فلسفة أرسطو ومزجوها بالآراء الأفلاطونية المحورة في مدرسة الإسكندرية وقد أخذ بهذا المذهب قبله الكندي وبعده ابن سينا وابن رشد.<sup>3</sup>

ويظهر تأثير فلسفته كذلك في مؤلفات ابن مسكويه والمسعودي وإخوان الصفا لأنه كان موفقاً بين النظريات المختلفة والحقيقة الفلسفية بالنسبة إليه واحدة مهما تعددت المذاهب.

دافع الفارابي عن وحدة الفلسفة وكتب عن ذلك رسائل عديدة ما بقي منها إلا رسالة كتاب الجمع بين رأي الحكيمين وظهرت في فلسفته بعض الرموز لم يفهمها المتأخرون فهزاو

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 41.

<sup>2</sup> انظر: إبراهيم عاتى، الإنسان في الفلسفة الإسلامية، ص 152.

<sup>3</sup> مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، ص 29.

من فلسفته وهذا ابن طفيل يقول: «إن معظم ما دونه أبو نصر الفارابي كان في المنطق، وأما ما اتصل بنا من كتبه في الحكمة الصحيحة فمملوء بالريب والتناقض»<sup>1</sup>.

يرى الفارابي أن الفلسفة أخذت صورتها النهائية في فلسفة أرسطو وأفلاطون لأنهما منشأها ولأن فلسفتها واحدة وحتى أقوالهما واحدة في جوهرها «فإن من طالع كتبهما في المنطق والأخلاق والطبيعة وما بعد الطبيعة وجد إن الفلسفة في نظرهما هي العلم بالموجودات بما هي موجودة، ووجد أن الرجلين عملا بإخلاص على تفسير الموجودات من غير ما اختراع ولا محاولة تضليل وفضلا عن ذلك فتكذيب رأي الأكثرين في فلسفة الرجلين وفي تفوقهما تجوز وتهور»<sup>2</sup>.

قام الفارابي بالتوفيق بين رأي الحكيمين والتوفيق بين الفلسفة والدين وأنهما غير متناقضين ويعتبر بهذا الموقف أول من أظهر هذا التوفيق. «فيلسوف مسلم جمع بين مزيتين الإخلاص للفلسفة والإيمان بالدين وبهاتين المزيتين حاول أن يوفق بين لغتين، لغة العقل ولغة القلب، وهما عنده لغتان مفهومتان ضروريتان للإنسانية التي تريد أن تتخطى نفسها ساعية وراء الكمال، وكأن الفارابي قد جاء إلى العالم ليؤدي رسالة جليلة خلاصتها أن الفلسفة والدين هما المعين الصافي للحياة الروحية التي بها يكون المجتمع الإنساني فاضلا وبدونها يكون ضالا فويل للمجتمع إذا تنكر للفلسفة أو الدين وما أشقانا إذا طغت علينا المادة فخلت حياتنا من مشاغل الروح»<sup>3</sup>.

لقد أجمل ديبور فلسفة الفارابي في قوله: «إذا نظرنا إلى فلسفة الفارابي في جملتها وجدناها مذهباً روحانياً متسقاً تمام الاتساق، وبعبارة أدق مذهباً عقلياً وكل ما هو مادي محسوس فمنشأه القوة المتخيلة ويمكن اعتباره تصوراً مشوشاً.. كان الفارابي يعيش في عالم

<sup>1</sup> انظر نفس المرجع، ص 30.

<sup>2</sup> إبراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية، ص 57.

<sup>3</sup> انظر: مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، ص 32.

العقل ابتغاء للخلود، وكان ملكا في عالم العقل أما من حيث ما يقتنى من متاع الدنيا فكان فقيرا كان فانيا في مجردات العقل المحض وكان تلاميذه يجلونه ويرون أن الحكمة قد تجسدت فيه أما علماء المسلمين الحقيقيون فقد رموه بالزندقة فوسم بها إلى الأبد وقد يكون لرأيهم هذا ما يؤيده.. لم يجعل بين تعاليمه في الأخلاق والسياسة مكانا لأمر الدنيا أو للجهاد، ولم تكن فلسفته ترمي إلى إشباع الرغبات المادية من أي نوع»<sup>1</sup>.

فلسفة الفارابي مزيج من فلسفة أفلاطون وأرسطو والمشائيين والاسكندرانيين قام الفارابي من خلالها ببناء فلسفة إسلامية مثالية خالية من الشوائب وستبقى أفكار خالدة في العالم الإسلامي.

### الفارابي وعلم الكلام:

صناعة علم الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقويل.<sup>2</sup>

يقول الفارابي Elfarabi عن هذه الصناعة في كتاب إحصاء العلوم « وهذه الصناعة تنقسم جزئين أيضا :جزء في الآراء وجزء في الأفعال وهي غير الفقه لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولا فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها .والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط منها أشياء أخرى .فإذا اتفق أن يكون لإنسان ما قدرة على الأمرين جميعا فهو فقيه متكلم ،فتكون نصرته لها بما هو متكلم ،واستنباطه عنها بما هو فقيه»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 32 33.

<sup>2</sup> الفارابي، إحصاء العلوم، ص 43.

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 41.



يرى المتكلمين عند الفارابي أن آراء الملل لا يجب أن تمتحن بالروية والآراء والعقول الإنسانية لأن مكانتها ارفع لأنها ذات مصدر ألهي تفوق القدرة الإدراكية للعقول الإنسانية والملل تفيد الإنسان بالوحي وتعرفه بما لا يستطيع إدراكه بعقله. وهذا يعني أنه ينبغي على الملل أن تقدم من العلوم ما لا تدركه العقول وما تأتي به الملل مما تستنكر العقول وتستبشعها الأوهام ليس هي في الحقيقة منكورة ولا محالة بل هي صحيحة في العقول الإلهية والفارابي يسوق لنا المثال التالي: « فكما أن كثيرا من الصبيان والأعمار يستنكرون بعقولهم أشياء كثيرة مما ليست في الحقيقة منكورة ولا غير ممكنة ويقع لهؤلاء أنها غير ممكنة فكذاك منزلة من هو في نهاية كمال العقل الإنسي عند العقول الإلهية ».<sup>1</sup>

كما أن الإنسان من قبل أن يتأدب يستنكر أشياء كثيرة ويستبشعها ويخيل إليه فيها أنها محالة فإذا تأدب بالعلوم واحتكك بالتجارب زالت عنه تلك الظنون فيها، وانقلبت الأشياء التي كانت عنده محالة فصارت هي الواجبة وصار عنده ما كان يتعجب منه قديما في حد ما يتعجب من ضده كذلك الإنسان الكامل الإنسانية لا يمتنع من أن يكون يستنكر أشياء و يخيل إليه أنها غير ممكنة من غير أن تكون في الحقيقة كذلك.<sup>2</sup>

يرى الفارابي Elfarabi ان من أتى بالوحي من عند الله صادق و بدليل إما

بالمعجزات التي يعقلها أو بشهادات من تقدم قبلة من الصادقين المقبولي الأقاويل.

من المتكلمين من يرى بأن ينصروا ا الملة بجميع ما صرح به واضع الملة ويتبعون المحسوسات والمشهورات والمعقولات ومنهم من يرى أن ينصروا الملة ب: أمثال هذه الأشياء يعني التي يخيل فيها أنها شنعة بأن يتبعوا سائر الملل فيلتقطوا الأشياء الشنعة التي فيها: فإذا أراد الواحد من أهل تلك الملل تقبيح شيء مما في ملة هؤلاء، تلقاه هؤلاء بما في

<sup>1</sup> نفس المصدر، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، ص 177.

ملة أولئك من الأشياء الشنعة فدفعوه لذلك عن ملتهم.<sup>1</sup> وآخرون منهم لما رأوا أن الأقاويل التي يأتون بها في نصره أمثال هذه الأشياء ليست فيها كفاية في أن تصبح بها تلك الأشياء صحة تامة حتى يكون سكوت خصمهم عنهم لصحتها عنده لا لعجزه عن مقاومتهم فيها بالقول اضطروا عن ذلك إلى أن يستعملوا معه الأشياء التي تلجئه إلى أن يسكت عن مقاومتهم، إما خجلاً وحسراً أو خوفاً من مكروه يناله.<sup>2</sup>

وآخرون يدركون أن ملتهم صحيحة فأرادوا أن يحسنوها لغيرهم ويزيلوا عنها الشبهة ويبعدون خصومهم عنها دون المبالاة بالطريقة والوسيلة والتي تحتمل الكذب والمكابرة والبهت.

## 2- أبي الحسن الأشعري:<sup>3</sup>

عرف عصر أبو الحسن الأشعري ازدهار الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام في أماكن عديدة رغم وجود من يكيدون للإسلام وعرف كذلك بكثرة العلوم وتنوعها وذلك راجع للعناية التي أولها الملوك والخلفاء للترجمة حيث ترجمت العلوم اليونانية والهندية وغيرها من العلوم وذلك لأنها كانت لها علاقة مباشرة بالحياة السكانية إضافة إلى الترجمة فقد كان الخلفاء شديدي الحرص على هذه الأوضاع التي نشأ بها أبي الحسن .

كان أبو الحسن من بداية حياته سنياً وذلك راجع إلى أسرته السنوية إلا أنه كان معتزلي وكان يقول بخلق القرآن وهذا ما يوضحه القول التالي: درس الاعتزال على أبي علي

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 42.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص ص 42 43.

<sup>3</sup> أبي الحسن الأشعري: هو أبو الحسن بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري ولد سنة 260 وقيل 270 بالبصرة وفي تاريخ وفاته اختلاف منها أنه توفي سنة 333 وقيل سنة 324 وقيل 330 ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة رحمه الله تعالى\*.

\*أبي الحسن الأشعري، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، قد: محمد الولي الأشعري، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 7.

الجبائي وتبعه في الاعتزال حتى صار لهم إماما ثم تاب ورقي كرسيا في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فإني اعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا تراه الأبصار وأن أفعال البشر أنا افعلها وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعائبهم.<sup>1</sup>

هذا الموقف الذي اتخذه أبو الحسن الأشعري إن دل على شيء إنما يدل على الأخلاق العالية المتواضعة التي يتميز بها وهذه هي الحقيقة التي عرف بها إضافتنا إلى حبه للناس واحترامهم وجمع وتوحيد كلمة المسلمين.

وهذه قصة تبين إنصافه وحسن خلقه، فقد حضر الأشعري بعض مجالس المناظرة وناظره إنسان فانقطع في يده أي انقطع الأشعري عن الحجة. وكان معه رجل من العامة فنثر عليه لوزا وسكرا، فقال الأشعري: ما صنعة شيئا خصمي استظهر علي ووضح الحجة وانقطعت في يده كان هو أحق بالنتار مني.<sup>2</sup>

أبو علي الجبائي هو زوج أم أبو الحسن والذي أخذ عنه أصول المذهب المعتزلي ونشأ على يده ولازمه لمدة أربعين سنة حتى صار من كبار علماء الكلام، إلا أنه كان يناضل وينصر مذهب الصحابة رضي الله عنهم متبعا خطاهم ولم يكن مبتدعا ولا متهجما وإنما كان سنيا. « و لم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة وبيانا ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به ألا نرى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكي، ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله، وكان كثير الإتياع لهم إلا أنه لما

<sup>1</sup> نفس المصدر نفس الصفحة.

<sup>2</sup> عبد القادر محمد الحسين، إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري المشرق للكاتب، دمشق ط1، 2010 ص 19.

زاد المذهب بيانا وبسطا عزي إليه كذلك أبو الحسن الأشعري لا فرق ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وما ألفه في نصرته.<sup>1</sup>

لقد كانت مكانة أبو الحسن الأشعري في مجتمعه كبيرة حيث استفاد منه الكثير من العلماء حيث تأدبوا بآدابه وسلكوا طريقه واتبعوا أهل السنة ومنهم من دافع عنه أمثال أبو القاسم علي بن الحسن.

مدحه تاج الدين ابن الإمام قاضي القضاة تقي الدين السبكي في كتابه طبقات الشافعية مبتدئ الفصل بقوله: شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعيا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إمام حبر وتقي بر حمى جناب الشرع من الحديث المفترى وقام في نصرته ملة الإسلام فنصرها نصرا مؤزرا وما برح يدلج ويسير وينهض بساعد التشمير حتى نقى الصدور من الشبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ووقى بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس فلم يترك مقالا لقاتل وأزاح الأباطيل والحق يدفع ترهات الباطل.<sup>2</sup>

من اتبعوا طريق أبو الحسن يشهد لهم عصره بأنهم هم القائمون على نصرته دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبان فقهاء الشافعية والمالكية والحنفية كلهم يوافقون الأشعري وينتسبون إليه ويتفق أصحاب الحديث على أنه إمام أئمة الحديث وتكلم على أصول الدين على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين.

قال عنه البغدادي Elbaghdadi بأنه هو الذي استطاع أن يرد على الفرق الكلامية كل من المعتزلة والخوارج والجهمية وغيرهم .

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 8.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 9.

ولقد عدد البيهقي فضله في قوله التالي :وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته فقال كلاما أورده بطولة التاج السبكي فيه ذكر شرف آباء وأجداد أبي الحسن وحسن اعتقاده وفضله وكثرة أصحابه مع ذكر نسبه ،وفي موقع آخر قال البيهقي رحمه الله إلى أن بلغت النبوة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حدثا ولم يأت فيه ببدعة بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين.<sup>1</sup>

عرف أبو الحسن الأشعري بمؤلفاته الكثيرة التي بلغت أو تجاوزت الخمسين ونجدها في كتاب هدية العارفين لإسماعيل باشا.واتبع مذهبه في الاعتقاد الكثير من المسلمين و إن دل هذا على شيء إنما يدل على مكانته وأتباعه لمذهب الرسول صلى الله عليه وسلم. إن أبو الحسن الأشعري في بحثه عن الحقيقة وضع منهج واتبعه حيث نبذ التعصب ورغب في البحث عن الحقيقة رغم طول المدة التي قضاها في الفكر الاعتزالي وربط فكره بالبحث عن الحقيقة دون توقف وتزلزل الله سبحانه وتعالى ليرشده لها وجعل مرجعيته الكتاب والسنة.

### أبو الحسن الأشعري وعلم الكلام:

يعتمد علم الكلام على الأدلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة وأشهر الخلافات فيه مسألة كلام الله تعالى أنه قديم أو حادث فكل طائفة كان لها رأيها الخاص.

فالحشوية قالت: كلام وصوت وحرف حتى بالغ بعضهم فقال: إن هذا الصوت أزلي قديم فخرجوا عن دائرة العقل ،وقالت طائفة أخرى :إن الله تعالى متكلم بمعنى أنه خالق الكلام في غيره كالشجرة التي سمع عندها موسى كلام الله ،لا بمعنى أنه قام بذات الله كلام

<sup>1</sup> انظر: نفس المصدر ،ص 12.

هو صفة من صفاته وهم المعتزلة قبحهم الله وقال أهل السنة: إن الله متكلم بكلام ذاتي أزلي أبدي ليس حرفا ولا صوتا ولا يختلف باختلاف اللغات.<sup>1</sup>

إن موضوع علم الكلام عند أبو الحسن الأشعري هو النظر وهو أن يستدل المتكلم لإثبات وجود الله وصفاته بخلقه. والعقل عند علماء الكلام لا يمثل أصل الدين وإنما شاهد للشرع.

لقد جاء في القرآن الكريم ما يحث ويدفع للنظر في الكون وذلك ما جاء في سورة الأعراف قوله تعالى: «أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون»<sup>2</sup> وفي سورة فصلت كذلك قوله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»<sup>3</sup>.

هناك من يرى أن علم الكلام لم يكن في عهد الرسول ولا عند أصحابه من بعده فيجيب أبو الحسن بأن أولئك لم يتحدثوا في ذات الله وصفاته وإنما اقررو بها تقليدا دون اعتراضات أو مناقشات أو تشكيكات ولم يكن هناك داعي يدعوهم لعلم الكلام. ولم تظهر البدع والأهواء في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي موقف آخر يرى شيخنا أن: هذا العلم أصله كان موجودا بين الصحابة متوفرا بينهم أكثر ممن جاء بعدهم والكلام فيه بالرد على أهل البدع في عصر الصحابة فقد رد ابن عباس وابن عمر على المعتزلة ومن التابعين رد عليهم عمر بن عبد العزيز والحسن بن محمد ابن الحنيفة وغيرهما وقد قطع علي كرم الله وجهه الخوارج بالحجة قطعا دهريا وأقام

<sup>1</sup> أبو الحسن الأشعري، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، ص ص 21 22.

<sup>2</sup> القرآن الكريم سورة الأعراف، الآية 185.

<sup>3</sup> القرآن الكريم سورة فصلت، الآية 52.

الحجة على أربعين رجلا من اليهود المجسمة بكلام نفيس مطنب وفيه قوله رضي الله عنه: من زعم أن إلها محدود فقد جهل الخالق المعبود وقطع الحبر ابنا عباس رضي الله عنهما الخوارج بالحجة أيضا ،وقطع اياس بن معاوية القاضي القدرية وقطع الخليفة عمر بن عبد العزيز أصحاب شوذب الخارجي ،وألف رسالة في الرد على المعتزلة وهي رسالة وجيزة وقطع ربعة الرأي شيخ الإمام مالك غيلان بن مسلم أبا مروان القدري.<sup>1</sup>

ذم الشافعي جزء من علم الكلام أي ما جاءت به القدرية ومنهم على شاكلتها الذين تعمقوا في الأهواء الفاسدة وجانبوا القرآن والسنة ومدح أولئك الذين كان كلامهم موافق للقرآن والسنة وبدافع ابن عساكر كذلك عن أبو الحسن الأشعري وبذم أصحاب الاهوية وأرباب البدع وقد كثرت الآراء حول أبو الحسن في وقت :إن التاريخ يروي عن أبي الحسن أنه كان قليل الكلام غير راغب في الجدل إلا بيانا للحق أو دفاعا عنه.<sup>2</sup>

قال أبي الحسن :وقد بلغني عن حاتم الأصم وكان من أفاضل الزهاد وأهل العلم أنه قال: الكلام أصل الدين والفقهاء فرعه والعمل ثمره ،فمن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزدنق ومن اكتف بالعمل دون الكلام والفقه ابتدع ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسق ومن تفنن في الأبواب كلها تخلص.<sup>3</sup>

صنف أبو الحسن الأشعري مصنفات كثيرة وعظيمة في الرد على طوائف المبتدعة والمخالفين للإسلام مليئة بالحجج العقلية والنقلية وقام بالعديد من المناظرات ضد المعتزلة بالبصرة ،وحتى بعد وفاته ناب عنه أتباعه حيث ألفوا العديد من المجلدات في الرد على المبتدعة والمخالفين للإسلام منتصرين للمذهب الأشعري.

<sup>1</sup> نفس المصدر ،ص 25.

<sup>2</sup> احمد الطيب ،الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة ،دار القدس العربي ،القاهرة، ج2، ط1، 2014م.

<sup>3</sup> المصدر السابق ،ص 28.

### 3- القاضي عبد الجبار:<sup>1</sup>

#### تكوينه الثقافي:

تلقى القاضي عبد الجبار Le juge Abdeldjabar تعليمه الأول في أسد أباد ثم قزوين وهمزان وأصفهان على يد عدد كبير من العلماء والمحدثين تعلم الفقه والحديث ليرحل بعدها إلى البصرة حيث كان فيها مركز الثقافة العربية الإسلامية والعقائدية وهناك تعرف على الأشعرية واخذ بها وتعرف على المذهب الشافعي وتبنى أحد فروعها ولما عرفت البصرة بالجدل والحوار تعرف هناك القاضي على رجال المعتزلة وحدث بينهم تواصل فتعرف من خلاله على أصول المذهب وعلى أبو إسحاق بن عياش ليعتق بعدها المذهب الاعتزالي ويتمكن من أصوله على يد أستاذه البصري وتولى منصب قضاء الري.

اكتسب عبد الجبار خلال قيامه بهذه الوظيفة الشرعية لقب قاضي القضاة وأصبح مسؤولاً عن القضاة أنفسهم ولا يطلق المعتزلة هذا اللقب على أحد غيره ولا يعنون به أحد سواه.<sup>2</sup>

عرف القاضي عبد الجبار باعتداده بنفسه ويعلمه وهذا ما دفع رجال الدولة يعاملونه باحترام وأعطوه مكانة في مجالسهم وكانت معاملته مختلفة مع أصحابه والعامّة وأصحاب السلطة.

قال عنه الحاكم: « وليس تحضرني عبارة تتبىء عن محله في الفضل وعلو منزلته في العلم فإنه الذي فتق الكلام ونشره، ووضع فيه الكتب الكثيرة الجليلة التي سارت بها

<sup>1</sup> القاضي عبد الجبار: عبد الجبار بن أحمد أبو الحسين الهمداني الأسد أبادي ولد تقريبا سنة 320 هـ وتلقبه المعتزلة قاضي القضاة ويلقب أحيانا بعماد الدين حنيفا يقف على رأس الطبقة الحادية عشرة عند المعتزلة ويعد ممثلا للاعتزال البصري في اتجاه الجبائين التوفيقى ونصيرا لفكر أبي هاشم في العدل والتوحيد، توفي 415 هـ \*

\*سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 7.  
<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 71.



الركبان وبلغت الشرق والغرب وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم ينفق لأحد مثله، وطال عمره مواظبا على التدريس والإملاء حتى طبق الأرض بكتبه وأصحابه وبعد صوته، وعظم قدره واليه انتهت الرياسة في المعتزلة حتى صار عالمها وشيخها غير مدافع، وصار الاعتماد على كتبه ورسائله ونسخت كتبه من تقدم من مشايخ<sup>1</sup>»

كانت للقاضي مكانة كبيرة في الفكر الإسلامي لأنه قام بالدفاع عن الإسلام وعرف بثقافته الواسعة الغزيرة وتأثيره في تلاميذه ومدى النجاح الذي أوصلهم إليه. وأحاط بإنتاج المعتزلة حتى وصل إلى درجة التفريق بين آرائه وآراء علماء وأقطاب المعتزلة.

اعتمد القاضي المنهج التأويلي Approche عندما اشتغل مفسرا حيث عرف بحبه للمنهج العقلي ورفضه التفسير الباطني والتفسير الظاهري محدد بأن يكون التأويل مطلق في المتشابه ويظهر ذلك جليا في استخداماته العقلية في تأويلاته المتشابه وفي رده على من تمسك بالظاهر واستعماله للعقل لا ينفى ولا يلغي قيمة النقل.

حدد القاضي عبد الجبار Le juge Abdeldjabar مهام المفسر وهذا ما نجده في: أن يكون مقتدرا لحمل المتشابه على المحكم والفصل بينهما، فضلا عن شروط أخرى وهي أن يكون عالما باللغة العربية، وأن يتميز بثقافة فقهية، وأن يكون العدل والتوحيد معيارا أساسيا وشرطا لإجازة المفسر، وأن يكون أيضا عالما بصفات الله وما يجب منها وما لا يجب.<sup>2</sup>

قام القاضي بفحص ودراسة الكثير من القضايا ودعم الفقه الشافعي بالعديد من الكتب رغبة منه في ترسيخ قواعد المذهب الاعتزالي محاولا وضع أصولا اعتزالية للفقه.

<sup>1</sup> انظر: عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر العربي، مصر، ص 63.

<sup>2</sup> سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار، ص 247.

بلغت مؤلفات وكتب القاضي عبد الجبار السبعين تنوعت بين الفقه والحديث وأصول الفقه وعلم الكلام والجدل والتراجم وأصول الدين وعلوم القرآن والتفسير والسيرة النبوية إلا أن فيها كتب مطبوعة وغير مطبوعة .

### العلم وأقسامه عند القاضي عبد الجبار:

عرف القاضي عبد الجبار Le juge Abdeldjabar العلم في أماكن عديدة فهو بالنسبة له ما تسكن إليه نفس الباحث والعالم .وقد جاء في شرح الأصول الخمسة بأنه « ما يقتضي سكون النفس وتلج الصدر وطمأنينة القلب »<sup>1</sup> ويأخذ العلم والمعرفة عند القاضي نفس المعنى ،والعلم عنده هو الاعتقاد وبواقفه هذا الرأي جمهور من المعتزلة ويبرر ذلك القاضي عبد الجبار .

إذ لا يمكن ان يكون الاعتقاد مخالف للعلم لان العالم يجد نفسه معتقدا لما علمه وحجته « إن العلم لو لم يكن من قبيل الاعتقاد لصح انفصال أحدهما عن الآخر إذ لا علاقة بينهما من وجه معقول ،فكان يصح أن يكون أحدهما عالما بالشيء ،ولا يكون معتقدا له ساكن النفس إليه ،أو يكون معتقدا ساكن النفس إليه ولا يكون عالما به ،والمعلوم خلافه»<sup>2</sup>.

العلم عند القاضي عبد الجبار قسمين علم كسبي وعلم ضروري ويقصد بهذا الأخير أي ما لجأنا إليه وذلك تبعاً لقوله تعالى في سورة الأنعام « وما لكم ألا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهواهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين »<sup>3</sup> أي «فيما يحصل فينا لا من قلبنا ،بشرط أن يكون جنسه

<sup>1</sup> القاضي عبد الجبار ،شرح الأصول الخمسة ،تحق: عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة مصر، ط2، 1988، ص 46.

<sup>2</sup> يوسف محمود أصدقي، أصول العلم عند القاضي عبد الجبار ،د ت، ص 221.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة الأنعام ،الآية 119.

داخلا تحت مقدورنا ،ولذلك يقال حركة ضرورية لما دخل جنسها تحت مقدورنا «<sup>1</sup>. العلم الضروري عند القاضي لا يمكننا فيه لأنه يحصل فينا لا من قبلنا.

ويشترط في العلم بأنه لا تجوز فيه الشبهة ولا يمكن للاعتقاد الفاسد إزالته ولا يدخل تحت التكليف وهذا التكليف عند المعتزلة لا يتم إلا بالعلوم الضرورية لأنها كالأساس الذي يبنى عليه التكليف وفي هذا الشأن يقول القاضي عبد الجبار «كما لا يتم التكليف إلا بهذه الأمور فكذلك لا يتم إلا بتقديم هذه العلوم وتجري هذه العلوم في وجوب حصولها أولاً ليتهاي التكليف بباقيها مجرى العلوم أجمع في وجوب حصولها أولاً ليتهاي التكليف بباقيها مجرى العلوم أجمع في وجوب تقدمها أولاً على الأعمال ،فكما إذا لم يكن هناك علم لا يأتى الإتيان بالعمل على ما كلف فكذلك ما لم تتقدم هذه العلوم لا يمكن اكتساب العلوم الأخرى»<sup>2</sup> ومما قاله القاضي نصل إلى نتيجة مفادها أن العلوم كلها تقوم على العلوم الضرورية وهذه الأخيرة بدورها عنده تنقسم إلى قسمين بديهيات ومدركات.

أما العلوم المكتسبة فهي التي تدرك بواسطة نظرا واستدلال وتقع العلوم الاستدلالية من العلوم الضرورية موقع الفرع الذي يبنى على الأصل وهذا ما أكد عليه القاضي عبد الجبار عندما عرف العلم المكتسب بأنه لا شيء من العلوم المكتسبة إلا ويرجع أصله إلى النظر.<sup>3</sup>

إن مصادر المعرفة عند القاضي عبد الجبار تنحصر في الحس والأخبار والنظر وهذا الأخير عنده هو الطريق التي بها يتوصل الإنسان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والأخبار عنده هي الأصول العظيمة في باب التكليف .والإدراك الحسي هو أوضح سبيل للعلم بالأشياء.

<sup>1</sup> انظر: المرجع السابق، ص 225.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 226.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 234.

القاضي عبد الجبار متكلمًا:

القاضي اعتنق المذهب الاعتزالي بعدما اكتمل فكر المعتزلة فقد احدث تغيير كبير عنده في الطريقة والمنهج وهذا ما يظهر جليا في كتبه ومؤلفاته وبحوثه ومن بين هذه الكتب كتاب المجموع في المحيط بالتكليف وفيه وضع نظرية يقوم عليها علم الكلام .وهو ينطلق من كون الإنسان مكلفا فيدرسه من حيث علاقته بالعالم الإلهي وعلاقته بالعالم الأرضي المعيش وذلك لان ماهية هذه العلاقة تتحدد بالتكليف .إذن إن التركيز على الإنسان ومجال اقتدارا تجعل من مذهب المعتزلة على يد القاضي عبد الجبار يقترب كثيرا مما نسميه اليوم بفلسفة القدر التي جعلت من الإنسان ومن علاقته الدنيوية موضوعا أساسيا لها.<sup>1</sup>

قامت المعتزلة بالبحث في علاقة الإنسان بخالقه مركزة على قدرات الإنسان الحرة المودعة فيه من الله من هو المكلف وذلك الإنسان هو المكلف وهذا ما يعرف عندهم بخلق الأفعال الإنسانية.

ومن منطلق ان الحرية والاختيار منحتا للإنسان فهو المؤسس للقواعد الضابطة لأفعاله في الأرض .والعقل الإنساني ليس مستقلا عن المصدر الإلهي استقلالية تامة ويتم هذا عن طريق العلم الضروري الذي بثه الله في الإنسان وهذا ما يخص التكليف العقلي ،أما التكليف السمعي يتمثل في النبوة اي الصلة التي بين الله والإنسان.

لقد نزه القاضي عبد الجبار والمعتزلة الذات الإلهية وردوا كل الصفات إلى داخل الذات الإلهية والإنسان المكلف هو محور فلسفتهم إضافة إلى التوحيد ومعاني الألوهية وربط كل هذا بمفهوم العدل الإلهي وهذا الأخير عند المعتزلة يتمثل في المقابلة بين قدرة الله وعدله من جهة والاختيار عند الإنسان من جهة ثانية .فالعدل الإلهي يعني أن أفعال الله كلها

<sup>1</sup> سميح دغيم ،موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار ،ص 249.

حسنة إذ لا يمكن له أن يأتي فعل القبيح أو يأتي عملا عبثيا بل أن كمال ذات الله يقتضي عدم الإخلال بالواجب.<sup>1</sup>

ومن هذا نخلص إلى أن التكليف عند القاضي مبنى على أن الإنسان لم يوجد في هذا العالم إلا مخلوقا مكلفا ولكنه مع كونه كذلك فإنه حر في اختيار بما وضعه الله فيه من أدوات العقل والقدرة وكل ذلك يقتضيه مفهوم العدل الإلهي، وبهذا المعنى تتحدد ماهية الإنسان المكلف المستند إلى معنى الفاعلية الإنسانية كما تتبدى في العالم الأرضي.

للتكليف أفعال عديدة وهي معرفة وحدانية الله وبأنه منزه عن القبائح والجسمية والحواس والعلم بعدله وبالثواب والعقاب ويجب على الإنسان المكلف بأنه يعرض للثواب. وما عرضناه يوضح لنا آراء القاضي عبد الجبار الكلامية في إطار نظرية التكليف دون المرور بالأصول الخمسة التي تقول بها المعتزلة إلا أن آرائه هي آراء المعتزلة وتميزه عنهم يظهر فقط في إدراك العلاقة بين العدل الإلهي والإنسان.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 251.

## المبحث الرابع: موقف أبو حامد الغزالي من علم الكلام و المتكلمين

إن أبو حامد الغزالي في بحثه عن الحقيقة عالج طرق المتكلمين إذ في معرفة هذا الصنف كان لابد عليه من دراسة فكرهم والاطلاع عليه حيث يقول أبو حامد الغزالي: «ثم إنني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف»<sup>1</sup>.

وفي مقصود علم الكلام يقصد الغزالي هو حفظ العقيدة لكل مسلم أخذ عقيدته ومبادئه من القرآن والسنة و حفظها من كل الشكوك التي تحاك ضد اصول الدين و من الذين يهاجمونه وجاء هذا في قول الإمام التالي: صادفته علماً وافياً بمقصوده غير وافي بمقصودي، و إنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة.<sup>2</sup> أما فيما يخص إثبات هذه العقائد الدينية الإيمانية هي في غنى عن الأدلة الكلامية لأن القرآن يشمل عليها حيث يقول أبو حامد الغزالي في إجماع العوام: فادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان و ادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع و الرجل القوي وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان»<sup>3</sup>.

وفي نظر الغزالي ان علم الكلام لم يف بحاجته ولم يتمكن من اداء المهمة الموكلة اليه وفي هذا الصدد يقول: «نعم لما نشأت صفة الكلام وكثر الخوض فيه تشوق المتكلمون الى محاولة الدفاع عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور و خاضوا في البحث عن الجواهر و الأعراض وأحكامها ، و لكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه مايمحو بالكالية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق ولا ابعد ان يكون قد حصل ذلك لغيري بل اشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض

<sup>1</sup> - الامام الغزالي ، فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، ص339.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص87.

<sup>3</sup> - الغزالي: إجماع العوام عن علم الكلام ، المكتبة الأزهرية للتراث مصر ، 1998 ، ص 35.

الأمر التي ليست من الأوليات و الغرض الآن حكاية حالي لا الإنكار على من استشفى به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويتضرر به آخر<sup>1</sup>. وأدلتهم الأخرى لأنها تشوش قلوب العوام ويقول إن ادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به أحاد الناس و يستقر به الأكثرون.<sup>2</sup>

و ما يثبت صحة قول الغزالي في علم الكلام حيث قال عنه إنه غير واف هذا ولأنه ألف كتباً كلامية متعددة منها (الإقتصاد في الاعتقاد) و(الدرة الفاخرة) وهذا يعني انه موضوعياً كما انه لا ينكر بان يستفيد البعض من علم الكلام مثل الدواء الذي قد ينفع مريض ويضر آخر.

كان الغزالي خبيراً بعلم الكلام يعرف سائر مسائله ومدى نفعته يقول: «وإما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهي عليه، وهيئات فليس في الكلام و فاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي، ربما خطر ببالك ان الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علو اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود»<sup>3</sup>.

اما عن تعلم علم الكلام فإن الغزالي لم ينكر ذلك بل بالنسبة إليه تعلمه والبحث فيه فرض كفاية وفي هذا الصدد يقول «اذا حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن و السنة ونبغت لها جماعة لفقوا لها شبهات ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً فصار المحذور بحكم الضرورة

<sup>1</sup> - الغزالي، المنقذ من الضلال تحق: محمود بيجو ، دار النقوى ، دمشق ، ط2 ، 1992 ، ط 34.

<sup>2</sup> - 1- د حسام الالونسي ، ابو حامد الغزالي واثره على الفكر الانساني ، بيت الحكمة ، العراق ، ط 1 ، 2011، ص26.

<sup>3</sup> - انظر: عبد الفتاح محمد سيد احمد ، التصوف بين الغزالي ابن تيمية ، ص 59.

مأذونا فيه ، بل صار من فروض الكفاية وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود»<sup>1</sup>.

وكذلك شبه المتكلم بالطبيب فقال «ينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه، وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة»<sup>2</sup>.  
ومن خوف الغزالي على عقيدة المسلم يرى بان علم الكلام علم للنوازل اذ لا ينبغي للكل ان يشتغلوا فيه بل يكتفوا بالاطلاع عليه والتمرس بادلته ويشتغل فيه بعض العلماء رفعا للخرج عن الأمة وحراسة عقيدتها يقول «إن دين عوام الناس ينبغي ان يكون صافياً نقياً بعيداً عن تعقيدات الجدليين والمتكلمين ولهذا ينبغي الجام العوام عن علم الكلام»<sup>3</sup>.  
لكنه اجازته للخواص بشروط أهمها:

-ان يكون كامل العقل

-أن يكون راسخ القدم في الدين والعقيدة ، أي قوي الإيمان.

-ان يكون في قلبه نور من نور الإيمان الذي يوصله الى اليقين

-أن يكون قد وقعت له شبهة لا يمكن ان تزول إلا بالدليل العقلي.<sup>4</sup>

وفي الأخير نصل الى خلاصة وهي ان الغزالي درس علم الكلام وألف فيه وافر ان مهمته هي الدفاع عن العقيدة و الرد على شبهات المبتدعة، وانه يجب على بعض العلماء ان يتمرسوا بعلم الكلام وان يحرروا أدلة المتكلمين لحفظ العقيدة بينما عامة الناس لا يطالبون إلا بالإيمان الجازم. وفي نظره ان علم الكلام هو إقامة البرهان على وجود الله وصفاته وأفعاله وصدق رسله، ومنهج المتكلمين لا يؤدي الى يقين la certitude إذ لا يخلق عقيدة الإسلام في إنسان خالي منها.

<sup>1</sup> - الغزالي : إحياء علوم الدين ، المطبعة العثمانية ، ط 1 ، 1933 ، ص 22.

<sup>2</sup> - نفس المصدر ، ص 130.

<sup>3</sup> - الغزالي ، الجام العوام عن علم الكلام ، ص 38.

<sup>4</sup> - عبد الفتاح محمد سيد احمد ، التصوف بين الغزالي ابن تيمية ، ص 61.



اللَّهُ

الْقَلْبِ

الفصل الثالث: موقف الإمام الغزالي من الفلسفة والفلاسفة.

المبحث الاول: دراسة ابو حامد الغزالي للفلسفة.

إن ابو حامد الغزالي في بحثه عن اليقين بدا بعلم الكلام فدرسه دراسة معمقة وألف فيه إلا انه لم يصل الى اليقين الذي يبحث عنه فانطلق في دراسة الفلسفة فقال فيها «انه علم يقينا: ان ما ذكر في كتب المتكلمين من الرد على الفلاسفة انما هي كلمات معقدة مبددة ، ظاهر التناقض والفساد»<sup>1</sup>.

«وعلم يقينا- ايضا- انه لم يقف باحث على فساد هذا العلم -علم الفلسفة- وكذا أي علم آخر إلا إذا حصله وعرف مغاوره وتفصيلاً وتدقيقاً حتى يساوي فيه اعلم الناس بأصله بل يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب هذا العلم، وإذا ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساد حقا وصحيحاً»<sup>2</sup>.

« وعلم يقينا كذلك: إن رد هذا المذهب - مذهب الفلسفة- قبل فهمه والإطلاع على كنهه، رمي في عماية»<sup>3</sup>.

قرأ الغزالي كتب الفلسفة في أوقات فراغه بغرض ال مطالعة من دون أي أستاذ وكان ذلك عندما ما كان يدرس فعرف علم الفلسفة في اقل من سنتين ثم واطب على التفكير فيه لمدة سنة فتمكن من التعرف على ما فيه من تحقيق وتخيل وخداع وتلبيس.

ووصل الغزالي في الأخير الى: آمنت بأنهم مع كثرة أصنافهم يلزمهم سمة الكفر والإلحاد حيث ان الكل بجانب للحق الذي ينشده بعيد عن الإيمان الذي يبحث عنه و ان تفاوت الأوائل و الأواخر في القرب منه والبعد عنه «<sup>4</sup>.

1 - ابو حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص21.

2 - نفس المصدر ، نفس الصفحة.

3 - نفس المصدر، نفس الصفحة.

4 - نفس المصدر ص 21.

وفي العديد من المرات كان الغزالي يكرر في جولاته الدراسية انه باحث عن الحقيقة وما يثبت ذلك ماجاء في المنقذ انه «ولما لم يجد ذلك في بيدا علم الكلام اتى الى هضاب الفلسفة ليبحث عنها (الحقيقة)»<sup>1</sup>.

وفي هذا الشأن يقول دي بور De Boer «إن الغزالي درس الفلسفة ليجد طريقا للخروج من الشكوك التي اعتورته وإنه أراد طمأنينة القلب وتذوق الحقيقة العليا»<sup>2</sup>.

قيل إن الغزالي درس الفلسفة ليهدمها لكن في بحثنا عن الحقيقة الأكيدة نجد في كتابه مقاصد الفلسفة عكس هذا القول: «إني التمسيت كلاماً شافياً في الكشف عن تهافت الفلاسفة و تناقض آرائهم قبل بيان تهافتهم ان اقدم كلاماً وجيزاً مشتملاً على حكاية مقاصدهم من غير تمييز بين الحق و الباطل، وأورده على سبيل الحكاية مقرونا بما اعتقده من أدلة»<sup>3</sup>.

لكن في المقابل وفي درستنا لكتاب التهافت إن الغزالي درس الفلسفة ليهدمها ويسفه الفلاسفة وذلك في قوله: « ونحن لم نلتزم في هذا الكتاب إلا تكذيب مذهبهم والتغيير في وجوه أدلتهم بما نبين تهافتهم، فلذلك لانخرج عن مقصود الكتاب، اذ غرضنا إبطال دعواهم، أما إثبات المذهب الحق فسنصنف فيه كتاباً بعد الفراغ من هذا ان ساعد التوفيق إن شاء الله وسنسميه (قواعد العقائد) ونعتني فيه وبالإثبات كما اعتنينا في هذا الكتاب بالهدم»<sup>4</sup>.

الامام الغزالي قرأ الفلسفة باحثاً عن الحق كما سبق وان اشرنا إلا انه لم يجده عندهم فاضطر الى نقدهم وتبيين تهافتهم لكن قبل ذلك بينا لهم انه فهم كلامهم ووعاه وعرف لفظهم ومعناه حتى لا يقال عنه انه سفها الفلاسفة وهو جاهل للفلسفة.

ومن مجهودات الغزالي في الفلسفة كونه متكلم مدرس وتلميذ إمام الحرمين انه قام بمجهودات ثلاث:

<sup>1</sup> - نفس المصدر ص 20.

<sup>2</sup> - De Boer, in Ceschichte les philosiphie in islam, 1901 p138.

<sup>3</sup> - انظر د: عبد الدائم أبو العطاء أبقري الأنصاري, اعترافات الغزالي, دار النهضة العربية, القاهرة, 1971, ص74.

<sup>4</sup> - الغزالي, تهافت الفلاسفة, ص20.

- بداء بدراسة هذا العلم دراسة إستعاب وتحصيل وتحقيق وتفصيل وتوج هذا المجهود بكتاب مقاصد الفلاسفة .
- ما جاء في كتاب التهافت انه قام بالتشويش على الفلاسفة وتسفيهم والرد عليهم وإبطال أرائهم
- ألف كتاب قواعد العقائد الذي ذكر فيه كل المسائل التي هدمها في تهافته ونقضها، وكان حلقة ختامية لبحثه الفلسفي.

## المبحث الثاني: أصناف الفلاسفة وأقسام علومهم.

بعد أن درس الغزالي آراء الفلاسفة قال فيهم «فإني رأيتهم أصنافاً ورأيت علومهم أقساماً وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم سمة الكفر والإلحاد وان كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه»<sup>1</sup>.

أصناف الفلاسفة:

**الدهريون les secularistes:** هذا الصنف من الفلاسفة هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع، العالم القادر كما انهم زعموا ان العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا يصانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابداً وهؤلاء هم الذين قال عنهم الغزالي انهم الزنادقة.

**الطبيعيون les naturalistes:** هؤلاء صنف يبحث في عالم الطبيعة وفي عجائب الحيوان والنبات، كما أنهم أكثروا الخوض في تشريح أعضاء الحيوانات فرأوا فيها عجائب الله سبحانه وتعالى وبدائع حكمته وهذا ما دفعهم للاعتراف بالقادر الحكيم. ومبدأ الطبيعة هو الحركة والحركة معناها التغيير في الأشياء أي الانتقال من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل وتعني الحركة في الكائنات الحية وجود النفس ومراتبها في الوجود تتوقف على مراتب الصورة.<sup>2</sup> ونظراً لكثرة بحث هذا الصنف عن الطبيعة ظهر عنهم تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا ان القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضاً. وهذا الصنف ينكر الحياة الثانية والجنة والنار والحساب والعقاب وذلك قول الغزالي: « فذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود فجدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبقى عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك

<sup>1</sup> - الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، قدم له احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988 ، ص 35.

<sup>2</sup> - د: احمد ملاح ، المختصر في تاريخ الفلسفة الغربية ، رياض العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 ، ص 30.

الأنعام»<sup>1</sup> و مادام اصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر فيسميهم الغزالي بالزنداقة.

**الإلهيون les celestes**: هذا الصنف يضم الفلاسفة المتأخرون منهم سقراط ، أفلاطون وأرسطو الذي هذب العلوم ورتب المنطق كما أنه حرر وانضج بعض العلوم، أما الإلهيون بصفة عامة: هم بحملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعة ووردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به غيرهم.<sup>2</sup>

وكان هذا ردهم الخارجي إلا أن في داخل مذهبهم لا يوجد تفاهم بشكل كبير ودليل ذلك هو ان أرسطو طاليس قام بالرد على الإلهيين الذين كانوا قبله بما فيهم سقراط وأفلاطون في بعض المسائل إلا انه ابقى من ردائل كفرهم. ويقول الغزالي يجب تكفير اتباعهم من الفلاسفة المسلمين كابن سينا والفرايبي.

#### اقسام علومهم :

اما بالنسبة لأقسام علومهم فقسمها ابو حامد الغزالي الى ستة أقسام وهي:

**الرياضية Mathematique** : تتعلق بعلم الهندسة والحساب والفلك وهي علوم دقيقة دفعت بالبعض لحسن الظن بالفلاسفة ولا يتعلق منها بشئ من الدين فهي في نظر الغزالي امور برهانية وليست متصلة بالدين وهذا لا يمنع من معرفتها لأنها قد تشكل خطرا لذلك الاحتياط واجب عنده ،ولقد نتجت عنها آفتان.

1\_ الآفة الأولى : من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم.<sup>3</sup>  
اعتبر الغزالي هذه آفة خطيرة وعظيمة أي انها رغم عدم تعلقها بامور الدين إلا أن شرهم يسري اليها لانها من مبادئ علومهم فالفلاسفة اخترعوا الرياضة وظفرو بثقة الناس

<sup>1</sup> المصدر السابق ، ص36.

<sup>2</sup> نفس المصدر، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> ابو حامد الغزالي ،ميزان العمل ،تحق: سليمان دنيا ،دار المعارف مصر ،ط1،1964، ص65.

فاصبح من الصعب رميهم بالغباء واشتغال الفلاسفة بامور الدين اصبح من الصعب اقناع الناس بأنهم مخطئون ،ومع ذلك فهو يحذر من اخطاء الفلاسفة في الامور الدينية حيث أنهم جعلوا العقل يقوم بدور الخالق لا بدور الفاهم حيث ارادوا ان تأخذ عقولهم ونتائج عقولهم مقاما اسمى من مقام رسالات السماء وهذا ليس غباء منهم بل غرورا .

2\_ الآفة الثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم فأنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ورغم أن ما قالوه ،هو خلاف الشرع.<sup>1</sup>

**المنطقيات la logique** :إنها تتعلق بالنظر في المقاييس وطرق الأدلة وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وتتنظر كذلك في شروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه. وإن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد وإما التصديق وسبيل معرفته البرهان.<sup>2</sup>

وهذا مما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة وإنما الإختلاف يكون فقط في العبارات والاصطلاحات.حيث تنعكس الكلية الموجبة الى جزئية موجبة:

كل إنسان حيوان ← بعض الحيوان إنسان

وعلم الفلاسفة في المنطق لا يتعلق بها شيء من الدين اذاً لا ينبغي أن تنكر بل تقيدنا في معرفة صحيح الفكر من فاسده.

كما أن المنطق يعد طريق للمعرفة في عصرنا هذا كما كان كذلك في القديم وبالنسبة للفلاسفة يرى الغزالي بأنهم اخضعوا علومهم الرياضية للمنطق ولم يتثنى لهم ذلك في العلوم الدينية وهذا ما ذكر الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ،إلا أن الفلاسفة برهنوا على صدق علومهم الدينية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية .

<sup>1</sup> نفس المصدر ، ص 68.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، نفس الصفحة.

**الطبيعات la physique:** بحث في العالم وما يحتويه من سموات و أرض وأجسام مركبة كالحيوان والنبات والمعادن.<sup>1</sup> وأجسام مفردة الماء والهواء والنار والتراب.

وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهاى بحث الطبيب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسية والخادمة وأسباب استحالة مزاجه.<sup>2</sup>

وليس من شرط الدين إنكار علم الطبيعة وهذه الأخيرة مصخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعمله من جهة فاطرها. وهذا الكلام لا يمكن ان ينكره أحد على الغزالي لأنه لا يخالف الدين بل امر تشهد به نصوص القرآن.

**الإلهيات la theologie:** يقول ابوحامد الغزالي في الإلهيات كثرت اغاليطهم فلم يستطيعوا أن يوفوا بعهودهم التي قطعوها في المنطق فكثرت الإختلاف بينهم فيها. وقد كفرهم في ثلاثة مسائل وبدعهم في سبعة عشر مسألة في كتابه التهافت وهذه المسائل الثلاث هي:

- قولهم بقدوم العالم وأزليته.

- قولهم ان الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات.

- أن الأجساد لاتحشر وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة و المثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية.

**السياسيات les politiques:** فجميع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية و الايالة السلطانية وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء.<sup>3</sup>

**الخلقية morals:** جميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها و مجاهدتها و إنما أخذوها من كلام الصوفية، وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى

<sup>1</sup> - د: عامر النجار ، نظرات في فكر الغزالي ، ص99.

<sup>2</sup> - المصدر السابق ، ص41

<sup>3</sup> - الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، ص44



بالإعراض عن ملاذ الدين. وقد انكشف لهم مجاهداتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها فأخذها الفلاسفة و مزجوها بكلامهم.<sup>1</sup>  
وعن المتألهين يقول الغزالي بان الله لا يخلي العالم منهم فهم أوتاد الأرض و ببركتهم تنزل الرحمة.

---

<sup>1</sup> - نفس المصدر ، نفس الصفحة.

## المبحث الثالث: دور وموقف الفلاسفة الإسلاميين من الفلسفة

في هذا المبحث سنتعرف على دور الفلاسفة الإسلاميين في الفلسفة لكن إرتئينا أن نتعرف على الفلسفة الإسلامية وبداياتها بصفة عامة.

## بدايات الفلسفة الإسلامية :

إن المتتبع لحياة العرب الفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية سيجد حتما إنهم كانوا يعيشون حياة بسيطة فحظهم في العلم كان قليل إذ إنهم لم يخلقوا آثار فنية ولا معمارية وإنما ما وجدناه كان للشعوب الأخرى مثل الصينيون ،الهنود والفرس وغيرهم. لقد عبد العرب الأصنام رغبة في القرب من الله وهذا إن دل على شيء إنما يدل على محدودية الفكر العربي La pensee Arabic حيث لم يكن لديهم نظام فكري يسمى فلسفة وإنما كانت لهم بعض الأقوال المأثورة والحكم.

بعد مجيء الإسلام تغير حال العرب واتسعت ثقافتهم الفكرية لان الإسلام عرف شعوب كثيرة فكل واحد وثقافته وحدثت الاحتكاكات بينهم وهذا ما عبر عنه جميل صليبا في قوله:«هي ظاهرة من ظواهر الحضارة ،كالعلوم والفنون والآداب والقدرة التقنية وغيرها وهي لا تزدهر في المجتمع إلا بعد بلوغه درجة معينة من التقدم الثقافي ،وسبب ذلك أن الفلسفة تاج العلوم والرباط الذي ينظم أقسامها ،فإذا لم يتقدم العلم لم تتقدم الفلسفة ...ومعنى ذلك كله أن الفلسفة والعلم يسيران جنبا إلى جنب وإذا كان ظهورهما في تاريخ الحضارة متأخرا عن ظهور الشعوب فمرد ذلك إلى أنهما يتطلبان نضجا عقليا لا قبل للمجتمع به في سنى حدائته»<sup>1</sup>.

إن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كان لها الأثر البالغ في تنوير الفكر العربي وجعلته يفكر تفكيرا فلسفيا نظرا لبعض القضايا التي كانت معاشة ،فقد دعى الرسول صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويرجع أصل

<sup>1</sup> أنظر :عمر محمد التومي الشيباني ،مقدمة في الفلسفة الإسلامية ،الدار العربية للكتاب ،ط3 ،1982 ،ص49.

دعوته هو القرآن الكريم ليكون معلم لهذا الشعب : «جماعة يخصصها التعبير القرآني باسم أهل الكتاب ،شعب له كتاب مقدس ،أي ديانته مبنية على كتاب منزل من السماء كتاب أوحى إلى نبي وشعب تعلمه من هذا النبي»<sup>1</sup>.

القرآن الكريم وضع الخطوط العريضة للفكر العربي ليدخل حيز الفكر الفلسفي La pensee philosophique واثار بعض المواضيع التي بدأت تشغل فكر الإنسان العربي وتجعله ينتج أفكار فلسفية ومن هذه المواضيع حدوث العالم وحدث وقدم المادة وفكرة الخلق وأعطى العقل الإنساني الثقة La confiance بنفسه بأنه مسؤول عن الأفعال الصادرة عنه.وبهذا نجد أن القرآن الكريم تضمن قضايا تحولت إلى جدل فكري ونقاش فلسفي. ومن الآيات التي يتضمنها القرآن الكريم وجعلت الفكر العربي يدخل مضمار الفكر الفلسفي ما يلي: قوله تعالى : «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ،والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب»<sup>2</sup>.

قال تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب»<sup>3</sup>. ولقد جاءت في القرآن آيات تدعو إلى وحدانية الله أنه الأجدر بالعبادة منها: آية الكرسي قوله تعالى : «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يوده حفظهما وهو العلي العظيم»<sup>4</sup>

<sup>1</sup> هنري كريان ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،قد:موسى الصدر،عويدات للنشر والطباعة ،بيروت ،لبنان ،ط2، 1998، ص 38.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة ق الأيت 6 7 8.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة آل عمران ،الآية 190.

<sup>4</sup> القرآن الكريم ،سورة البقرة ،الآية 253 254.

وسورة الإخلاص قوله تعالى: «قل هو الله أحد ،الله الصمد ،لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»<sup>1</sup>.

إلى جانب القرآن الكريم السنة النبوية التي أمدت الفكر العربي بالعديد من الأفكار التي تحولت فيما بعد إلى إنتاجات وأفكار فلسفية ،ورغم ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية إلا أن الفكر العربي ظل متحفظاً من الخوض في المسائل العميقة خوفاً على عقيدته.

La لقد عرف العصر الإسلامي الأول الفلسفة اليونانية من خلال الترجمة traduction: اتجهت حركة الترجمة الإسلامية ،فيما اتجهت إليه نحو الحكمة والفلسفة فاتصلت بالثقافة الهندية الفارسية ونقلت عن البراهمانية والسمنية ،عن الزرادشتية والمزدكية والمانوية وعنيت خاصة بالفلسفة اليونانية ،فعرفت بعض السابقين لسقراط والسقراطيين الكبار والصغار والسفسطائيين والرواقيين ،والشكاك ورجال مدرسة الإسكندرية عرفتهم مباشرة في ضوء ما كتبوا ،أو عن طريق من أرخوا لهم وترجموا ،فنقل سبع من محاورات أفلاطون وفي مقدمتها الجمهورية ،النواميس ،وطيماوس ،ولم يفت العرب من كتب أرسطو إلا القليل ،وأضفوا إليها ما ليس منها ،وترجموا معها كل ما وقفوا عليه من شروحيها ،ووصل إلى المسلمين قدر من فكر أفلوطين»<sup>2</sup>.

إلى جانب الكتب المترجمة كان هناك التأليف والبحث من قبل المترجمين ووضعوا ما سموه بالمداخل فأنصب بعضها على الفلك ،الطب ،الفلسفة ،الكيمياء... فكانت بداية الكتابة الفكرية والفلسفية الإسلامية.

لقد تخوف المسلمين من الكتب اليونانية المترجمة من أن تفسد عقيدة الناس . «و اشتد ببعضهم الخوف من الكتب الدخيلة حتى أشفقوا من ترجمتها على سلامة العقيدة في

<sup>1</sup> القرآن الكريم سورة الإخلاص.

<sup>2</sup> إبراهيم مذكور ،في الفلسفة الإسلامية ،ج2 ،ص 78.

نفوس المؤمنين بها ،ومن دلالات ذلك أن عمر بن عبد العزيز لم يأذن بترجمة كتاب أهرن إلى العربية إلا بعد أن استخار الله في أمره أربعين يوماً<sup>1</sup>.

Les مهد لازدهار الفكر الفلسفي العديد من التطورات والظواهر الكلامية phenomenes langagieres التي اتخذت من الدفاع عن العقائد الإيمانية ذريعة لترد على المنحرفين وأثار مشكلة الجبر والاختيار. تفرعت عنها في القرن الثاني مشاكل أخرى، وخاصة على أيدي المعتزلة الذين فلسفوا العقيدة الإسلامية ،وعرضوا بسببها مشكلة العالم والإنسان ففرقوا بين الوجود والعدم ،بين الجوهر la substance والعرض le phenomene ،بين الذات والصفة ، بين الجسم والنفس بين الخير والشر وبحثوا في السبب والعلة وقالوا بالمعاني والأحوال لكي يفسروا صفات الباري تفسيراً عقلياً<sup>2</sup>.

عرف العصر العباسي العديد من التغيرات التي أدت إلى زيادة التفاعل بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى وازداد ثراء الحضارة الإسلامية مما جعل المسلمون يقبلون الأفكار والفلسفات الأخرى ويتفاعلون معها ،كما أنهم استطاعوا أن يتنبهوا إلى بعض ما نقل إليهم مما فيه من انتحال وأخطاء لأن الفلاسفة المسلمون يعتبرون مبتكرين في فلسفتهم حتى وإن تشابها تفكيرهم وإنتاجهم مع الفلسفة اليونانية لأن هذه الأخيرة ما جاء فيها يتوافق مع الدين الإسلامي « ولا غرور فالإسلام دين الفطرة بأكمل معاني هذه الكلمة، وذلك ما أتى اتفاق كل الأفكار الفلسفية القديمة الناشئة عن الفطرة مع أسرار هذا الدين الجليل وبالتالي مع الحقائق الكونية التي لم يشبها خطأ أو انحراف »<sup>3</sup>.

إضافة إلى هذا ما يثبت جدارة الفكر الفلسفي الإسلامي la pensee philosophique islamique هو أن المسلمون أثاروا قضايا لم يطرقها الفكر الفلسفي

<sup>1</sup> توفيق الطويل ،العرب والعلم ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،1978 ،ص 77.

<sup>2</sup> أنظر: إبراهيم مدكور ،في الفلسفة الإسلامية ،ص 78.

<sup>3</sup> محمد غلاب ،المعرفة عند مفكري المسلمين ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1966 ،ص 310.

اليوناني *la pensee philophique greque* وفصلوا فيها دون اللجوء إلى هذا الفكر الأخير وإنما تبقى « الفلسفة اليونانية إحدى العوامل التي دعت إلى نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام»<sup>1</sup>.

عرف الفكر الفلسفي الإسلامي نوع من الركود بعد وفاة ابن رشد واشتد عليه الهجوم والنقد من قبل أبو حامد الغزالي ولم يعرف انتعاشاً إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فحققوا بعض النصوص ونشروها وترجموا بعض الكتب.

### دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي :

كما رأينا تكامل العديد من العناصر أدى إنتاج فلسفة إسلامية *la production d'une philosophie islamique* ومما لا شك فيه هو أن للإسلام دوراً في تكوين وتطوير الفكر الفلسفي وهذا ما سنتعرف عليه في هذا العنصر.

انطلاقاً من قوله تعالى «أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الامثال»<sup>2</sup>. القرآن الكريم يبين لنا بأن المسلمون يأتمرون لأوامره وينتهون لنواهيه فهذا يعني أنهم كانوا يحتفظون بالثقافات الإيجابية ويرفضون السلبية منها. رغم أنهم في موقف يحتمل القبول والرفض وهذا الموقف منحه لهم الإسلام لأنه عرف بقدرته على المواجهة لكل ثقافة. فالإسلام بتعاليمه يستطيع أن يواجه أية ثقافة فكرية إنسانية دون أن يخشى عليه طالما وجد من المنتسبين إليه من يستطيع فهمه في أصوله وغاياته<sup>3</sup>

<sup>1</sup> علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط9، ص62.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 19.

<sup>3</sup> أنظر: محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة، ص30.

عمل الإسلام على تطوير الفكر حيث اتخذ مبدأ الاجتهاد le principe de la jurisprudence أي الاعتماد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية وهذا المبدأ اعطاء حركية وديناميكية للفكر ، وفكرة الوسطية التي وفق بها بين مطلب الروح ومطالب الجسم تبعاً لما جاء في قوله تعالى في سورة القصص «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين»<sup>1</sup>. ومثال الروح والجسم ينطبق على الدين والعقل لأنهما مخلوقان من الله لهداية العبد فلا يناقض أحدهما الآخر.

استطاعت الثقافة الإسلامية la culture islamique دمج حضارة الفرس وحضارة الروم بفضل تلك الصيغة الحضارية الإسلامية الجديدة التي أخرجها الإسلام لتسع كل إنسان أينما كان. وذلك راجع إلى ما في الإسلام من تهيئة للإنسان في استقبال أي ثقافة إيجابية نافعة.

إن المتتبع والمتدبر لسور وآيات القرآن الكريم سيجد فيها حتماً أخبار الأمم السابقة والعودة إلى الاعتبار بتجاربيهم وهذا دليل على اهتمامه بالتاريخ لأنه مصدر من مصادر المعرفة الإنسانية ، كما أنه يوجه نصيحة لكل راوي تاريخ لابد أن يتحقق ويدقق قبل أن يروي وذلك بدليل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»<sup>2</sup>.

لقد عمل العلماء المسيحيون على ترجمة الفلسفة العربية إلى اللاتينية خاصة بريموند الذي كان رئيس أساقفة طليطلة إضافة إلى تيار ابن رشد في أوروبا الذي يعرف بالرشدية

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة القصص ،الآية 77.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة الحجرات ،الآية 6.

وتيار ابن سينا الذي يعرف بالسينائية، ولقد أثر كتاب إحصاء العلوم للفارابي في أوروبا وأثرت آرائه في ألبرت الكبير Albertus Magnus.

إضافة إلى التأثيرات التي ذكرناها هناك تأثير آخر وهو تأثير الغزالي الذي يظهر جليا على توماس الاكوينى thomas d'Aquin وديكارت Rene Descartes في العصر الحديث، واسبينوزا الذي تأثر بابن ميمون والأفكار الإسلامية، وما قام به إخوان الصفا من تأثير في فرنسا في عصر التنوير.

كل ما ذكرنا دليل على أن للإسلام دورا كبيرا في تطوير الفكر الفلسفي ودليل قاطع لمن يقول بأن المسلمين مقلدين ومترجمين غير مبدعين ومفكرين ومنتجين.

### نماذج فلاسفة إسلاميين:

#### 1- الكندي<sup>1</sup> :

استقى الكندي Alkendi معارفه من الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية ودرس العديد من العلوم وبرع في العديد منها مثل الطب والفلك وغيرها وعن الفلسفة فقد تميز في عصره عن البقية كما أنه أستطاع أن يقوم بترجمة بعض الكتب وما ساعده على ذلك تمكنه من اللغة اليونانية والسريانية.

<sup>1</sup> الكندي: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحرث الأكبر بن معاوية بن كور بن مرتع بن كندة بن غفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن شجب بن يعرب بن قحطان، ولد بالبصرة 801م يتم الكندي من أبيه باكرا وكانت نشأته الأولى في البصرة ثم انتقل إلى بغداد، توفي الكندي في بغداد سنة 866 م\*.  
\*محمود عقيل بن علي المهدي، دراسات في الفلسفة الإسلامية دار الحديث، القاهرة، ط2، ص ص 12 13.



تمكن الكندي من اللغة العربية جعله يصلح العديد من الترجمات الفاسدة وهذا من العوامل التي ساعدت على انتشار الفلسفة وإضافة إلى هذا العامل هو اهتمامه بالفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو.

ومن ناحية أخرى فإن الكندي Alkendi بجهده البكر هذا قد حدد مسار الفلسفة الإسلامية ورسم لها الطريق ووضع المنهج وكون له تلاميذ بث فيهم من روحه وفكره ما يساعدهم على نشر الفلسفة وإقبال الناس على دراستها ولقد تم ذلك كله تحت لواء الإسلام<sup>1</sup>.

ترجم الكندي كتاب بطليموس الجغرافيا في المعمور من الأرض إلى العربية وما ساعده على ذلك تلك الرغبة الجامحة التي كان يمتلكها والمتطلعة لاكتساب العلوم واللغات حتى بلغت مؤلفاته مائتين وثمانية وثلاثين كتابا ورسالة. وانتشرت كتب الكندي في الغرب باللغة اللاتينية والتي تشمل المادة والصورة والمكان والزمان والحركة.

قسم ابن النديم Ibn Nadim مؤلفات الكندي إلى أنواع بحسب موضوعاتها وهذا يدل على أن فيلسوف العرب لم يكن عالم رياضيات وهندسة وإنما كان كذلك فيلسوف ودليل ذلك اهتمامه بالماورائيات والحساب والهندسة والفلك والموسيقى وهذه الأخيرة كان يعرفها معرفة نظرية وتطبيقية حتى استطاع أن يمزج الموسيقى بالطب.

نال الكندي المكانة التي تليق به سواء كان من ناحية نسبه أو علمه رغم أنه لم يكن يطمح لنيل منصب سياسي أو تولي ولاية دولة إسلامية ولكن ما ألفه وما ترجمه أعطاه هذه المكانة كما أنه لم يكن من طلاب المال والجاه، وتجمله وحبه للكتابة والبحث جعله يبتعد عن ذلك.

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق، ص 14.

إن أساس المعرفة عند كل فيلسوف يكون حسب توجهه ونظرته للوجود فمن كان عنده أساس هذا الأخير مادي فإن المعرفة عنده حسية ومن كان أساسه معنوي فإن المعرفة عنده عقلية.

إنطلاقاً من هذا نستنتج أن المعرفة عند الكندي عقلية وهي اليقينية لأن موضوعها المدركات الكلية وثابت بينما المعرفة الحسية عنده لا يمكن أن تكون يقينية لأنها متغيرة وأصحاب الإتجاه الثالث في المعرفة هم أولئك الذين حملوا الرسالة الإلهية.

وهؤلاء الذين اصطفاهم الله فعلمهم خصائص تبعدهم عن العلم الكسبي إنه: بلا طلب ولا تكليف ولا بحيلة بشرية ولا زمان .. إنه بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ولا بحيلة الرياضيات والمنطق ولا زمان بل مع إرادته جل وتعالى بتطهير أنفسهم وإنارتها للحق بتأييده وتسديده وإلهامه ورسالاته فإن هذا العلم خاصة للرسل صلوات الله عليهم دون البشر وأحد خوالجهم العجيبة ، أعني آياتهم الفاصلة لهم من غير البشر...<sup>1</sup>

إن هذه المعرفة الثالثة التي قال عنها الكندي أنها خاصة بالرسل أي أنها خاصة بالصوفية مصدرها القلب وهذا الأخير يقوم على التصديق والإيمان من ناحية تحصيل المعارف.

يقول الكندي عن معرفة العقل La connaissance mentale أنها عندما تكون مقرونة بمعرفة الحواس أي الملاحظة والتجربة وهذا ما يعرفنا على حقيقة الواقع ، وعن معرفة الغيبات فإن العقل بمقدوره فقط إثبات وجودها.

بالرغم من أن الكندي أولى اهتمام كبير لفلسفة أرسطو إلا أنه اختلف عنه في مصدر المعرفة فعند أرسطو مصدرها هو العقل وليس الحواس لأن معرفتها ظنية والقلب لا وجود له

<sup>1</sup> انظر: نفس المرجع، ص 44.

في فلسفته أو الفلسفة عامة. إذا عند الكندي المعرفة متوقفة على العناصر الثلاثة والتي هي الحواس والعقل والقلب لأن كل واحد منها يكمل الآخر.

اعتنى الكندي بالفلسفة اليونانية بصفة عامة وبفلسفة أرسطو بصفة خاصة إلا أن هذا لم يؤثر على عقيدته الدينية خاصة في نظرية المعرفة إذ أنه لم يأخذ منها إلا ما يوافق دينه كما كانت له الجرأة على اقتحام مجال الموضوعات الفلسفية والعلمية ويعالجها باللغة العربية.

الكندي لم يكن مقلدا لأرسطو لأنه خالفه في العديد من النقاط، المعارف منها أنه يقول بحدوث العالم وأثبت بأن الله خلقه من عدم ويثبت تدبير الله للعالم وعنايته به وتصرفه فيه وعلمه بالجزئيات والكليات. وبأن النبوة والوحي دليل على عناية الله بالعالم.

كفر الغزالي الفلاسفة القائلين بقدم العالم وبعدم علم الله بالجزئيات وبالبعث الروحاني فقط إلا أن الكندي فيلسوف العرب خارج عن دائرتهم لأنه لم يأتي بما يعارض أصول الدين الإسلامي.

### الكندي والفلسفة :

مما لا شك فيه أن الكندي قد تأثر بفلسفة الفلاسفة اليونانيين وعلى وجه الخصوص أرسطو ويظهر ذلك جليا في تعريفه للفلسفة «علم الأشياء الأبدية الكلية، أنياتها ومائيتها وعلها، بقدر طاقة الإنسان»<sup>1</sup>.

الكندي يشدد على أهمية الفلسفة وضرورة الأخذ بها من قبل كل مفكر وينبغي الابتعاد عن تلك النظرة التشاؤمية التي عرفتها العصور الأولى للإسلام.

<sup>1</sup> أنظر: عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص 71.

لقد برهن الكندي على حضور الفلسفة من خلال إنكار أولئك الذين ينكرونها. يرى أن الذين ينكرون الفلسفة يقعون في تناقض فاضح لأنهم في نظره يجب أن يقيموا الدليل على رأيهم في إنكار الفلسفة وهم في هذا الأمر يحتاجون إلى الفلسفة، فكأنهم يستندون في دعواهم على الموضوع الذي ينكرونه ومن ثم فإنهم يقعون في التناقض<sup>1</sup>.

كتب الكندي رسالته المعروفة برسالة الحدود Rissalat Alhodod كانت كموسوعة جامعة لكل ما يعني كلمة فلسفة عند الفلاسفة. ومن معاني الفلسفة التي ذكر فيلسوف العرب الكندي في هذه الرسالة مايلي:

- 1- إذا نظرنا إلى الاشتقاق، فمعناها حب الحكمة.
- 2- وإذا نظرنا إليها من جهة السلوك الإنساني، فإنها التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة.
- 3- ويمكن أن ينظر إليها من جهة السلوك الإنساني أيضا فيقال إنها العناية بالموت ويقصدون إماتة الشهوات لأن إماتة الشهوات السبيل إلى الفضيلة.
- 4- وحدوها من جهة العلة فقالوا صناعة الصناعات وحكمه الحكم.
- 5- وحدها من جهة معرفة الإنسان لنفسه فقالوا هي معرفة الإنسان نفسه وأرادا بذلك أن الإنسان جسم ونفس وعرض.
- 6- أما حدها التقليدي فهو أنها علم الأشياء الأبدية الكلية أنياتها ومائيتها وعللها بقدر طاقة الإنسان<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد علي أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعة، 1980، ص 342.

<sup>2</sup> عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، ص 222.

من خلال التعريفات التي ذكرناها نرى أن الكندي أراد أن يضع الفلسفة في أعلى وأشرف منزلة وأن كل فلسفة تأخذ مكانتها حسب موضوعها: فالفلسفة الطبيعية غير الرياضية، غير اللاهوتية، وكل فلسفة إنما تقاس على ضوء مادتها أعني موضوعها ومشاكلها.<sup>1</sup>

وعن دراسة الفلسفة فيخبرنا الكندي بأن هناك من يقدحون في الفلسفة ويثرون ضدها وينفرون الطلبة من دراستها فيطلب من الطلبة أن لا يعيروا هذا الموقف اهتماماً ويلزم دراستها ومن يقولون أن دراستها لا تجب فعليهم أن يحضروا العلة ويقدموا برهان على ذلك.

لقد وضع الكندي شروط لطالب الفلسفة وهي تحديد معنى الألفاظ حتى لا يسيء فهم الآخرين فهمه من جهة أخرى كما يجب عليه دراسة الرياضيات إذ أن دراسة الرياضيات مقدمة لا بد منها لدراسة الفلسفة وأن طالب الفلسفة مطالب بدراسة فلسفة أرسطو فبدون هذه الدراسة لن يستطيع فهم الفلسفة وعلى طالب الفلسفة أن يسعى إلى نيل الحقيقة بكل جهده مهما كلفه ذلك وعليه أن يعظم شكره لمن سبقه في هذا المجال حتى وإن اختلف مع السابقين les premiers، بل حتى وإن أخطأ هؤلاء السابقون لأنهم يوقعهم في الخطأ إنما هم قد جنبونا نحن ما وقعوا هم فيه.

ومن جهة أخرى ينبغي أن نعظم السابقين لأن من غير الممكن أن يصل المرء إلى ما وصل إليه بجهده الخاص لأن الثقافة والحضارة ليست بنت يوم وليلة، وإنما هي وليدة ماض بعيد وليدة جهود بشرية كثيفة بعضها أدى إلى بعضها الآخر، ومن الجحود بمكان أن ينكر المرء فضل السابقين عليه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمود عقيل، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص 22.

<sup>2</sup> أنظر نفس المرجع، ص ص 23.

على طالب العلم أن ينتبه جيدا إلى المنهج الذي ينبغي أن يتبعه لنيل مطلوبة، فهناك علوم طبيعية وهناك علوم رياضية وأخرى لاهوتية وغيرها. وعلى طالب الفلسفة أن يؤمن بأنها ليست علما فقط وإنما هي أيضا عمل. فالفلسفة علم من جهة النظر ونستطيع أيضا أن نقول: إنها فن من جهة التطبيق، فلا علم بلا عمل ولا ينبغي أن يكون هناك عمل إنساني بدون العلم لأنه حينئذ يكون أشبه بطاقة حيوانية مبدولة، لهذا كان حد الكندي للفلسفة أنها علم الحق والعمل بالحق.<sup>1</sup>

يعتبر الكندي أول فيلسوف إسلامي طرق باب العلاقة بين الدين والفلسفة بدافع الدين الإسلامي والرغبة في المحافظة على عقيدته وعقيدة إخوانه لأن الفلسفة اليونانية عندما وفدت للمسلمين تحمل أفكار تتعارض وعقيدة المسلمين وليس هو لوحده فقط بل حتى الفارابي وابن سينا وغيرهم من فلاسفة المشرق.

من هذا نستنتج أن الفلاسفة المسلمون سواء كانوا من المشرق أو فلاسفة المغرب كابن طفيل وابن رشد حاولوا أن يوفقوا بين الفلسفة والدين لأنهم يرون أنهما متكاملان متساندان فيما بينهما، وعن الكندي بصفة خاصة أنه مادام مسلم فحتمًا أنه سينطلق من القرآن الكريم فوجد فيه آيات تدعو إلى البحث في الكون منها قوله تعالى: «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون».<sup>2</sup>

إن المتدبر لهذه الآية فحتمًا أن موقفه لن يخرج عن موقف الكندي وغيره من الفلاسفة الإسلاميين ويصل إلى نتيجة مفادها أنها تحت المفكرين والفلاسفة على البحث في الكون.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 24.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 163.

ومن الأسباب التي دفعت بالكندي للتوفيق بين الفلسفة والدين كذلك هو أن يدافع عن نفسه لأنه أودي بسبب اشتغاله بالفلسفة، وليغير نظرة الناس للفلسفة بعدما شككوا في دراستها.

عمل الكندي على الدفاع عن الفلسفة والفلاسفة وذلك في قوله: ينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وأين أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق وليس ينبغي بخص الحق، ولا تصغير قائله ولا بالآتي به ولا أحد بخص بالحق، بل كل يشرفه الحق.<sup>1</sup>

عند الكندي تتفق الفلسفة مع الدين في كون كل منهما علم الحق وأن الحقائق التي تأتي بها الفلسفة غير مناقضة للدين. وفي المقابل هناك اختلاف جوهري بينهما ويظهر ذلك جليا في علوم الفلسفة وعلوم الأنبياء، فالعلوم الأخيرة تكون إرادة الله تعالى دون تكلف أو طلب بينما علوم الفلسفة تأتي عن طريق التجربة والتدريب أي أنها علوم مكتسبة. تظهر لنا فلسفة الكندي جلية في فلسفته الطبيعية وفلسفته ما بعد الطبيعة. ففي فلسفته الطبيعية أن العالم حادث وأن الذي أحدثه هو الله أي أنه أوجده من العدم ويقول الكندي: «إن الفعل الحق الأول تأسيس الإيسات عن ليس»<sup>2</sup>.

هذا يعني أن إيجاد الموجودات من العدم من خاصية الله سبحانه وتعالى لوحده ويسمي الكندي هذا الفعل بالإبداع، وحتى هذا النسق والنظام الذي يسير عليه الكون عند الكندي دليل على إثبات وجود الله وهذا يتجلى للناظر في العالم منتظم ومقدر ومرتبب ومرتب.

<sup>1</sup> محمود عقيل، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص 28.

<sup>2</sup> عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، ص 227.

وعن وحداني الله ومحدث العالم سبحانه واحد لا شريك له ،ولا تركب في ذاته ،ذلك أنه لو كان آلهة متعددون لكانوا مركبين من صفة تعميم جميعا وهي أنهم فاعلون ومن صفات تميز بعضهم ،فهم إذن «مركبون مما عمهم ومن خواصهم»<sup>1</sup>.

وفي فلسفة ما بعد الطبيعة أو ما يعرف بفلسفة الأولهية تحدث الكندي عن الصلة بين الله والعالم في حدود ما تسمح له به عقيدته الإسلامية لأن الإله عند الكندي هو المؤسس والخالق والمبدع والحاكم والأمر والناهي عكس أرسطو الذي لا علاقة له بالعالم وهذا دليل كاف على أن الكندي لم يأخذ الفلسفة اليونانية كما هي بثقة عمياء إلا بعد فحصها وتمحيصها واخذ ما يطابق الدين الإسلامي.

ومن الموضوعات التي بحث فيها الكندي في فلسفة ما بعد الطبيعة البحث في طبيعة الله ووجوده وصفاته.

## 2- ابن سينا:<sup>2</sup>

عرف ابن سينا Ibn Sina بثقافته الواسعة والشاملة بداية من دراسته للقرآن وأصول اللغة والفيزياء والهندسة والطب في سن مبكرة ،درس كتاب أرسطو قام بتأسيس مدرسة عامة ليلقي فيها دروسه وألف قانونه الكبير في الطب ،وعرفت حياته العديد من الحوادث مما ساعده على تأليف العديد من الكتب إلى أن وصلت 243 كتابا وهذه المؤلفات شملت العلوم والفلسفة واشتهر باسم الإنسان الشامل للثقافة في العصر الوسيط ،كما له كتاب ضخام اسماء الشفاء وفيه أربعة أقسام هي المنطق ،الطبيعيات والرياضيات والإلهيات.

<sup>1</sup> نفس المرجع ،ص 229.

<sup>2</sup> ابن سينا :هو أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا ولد في أصفهان قرب بخارى في شهر صفر من عام 370هـ الموافق لآب من عام 980م كان له والده موظفا كبيرا في دولة السامانيين ويعود الفضل في معرفتنا للتفاصيل المهمة من حياته إلى تلميذه الجور جاني توفي سنة 428هـ الموافق ل 1037م .

-هنري كوربان ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،ص ص 254 257.



عن المعرفة يخبرنا ابن سينا أنها فطرية أي أنها مبادئ أولية عند الإنسان «الأوليات هي قضايا ومقدمات تحدث في الإنسان من جهة قوته العقلية من غير سبب يوجب التصديق بها إلا ذواتها... إلى أن قال: يجب أن يصدق بها الذهن ابتداء بلا علة أخرى، ومن غير أن يشعر أن هذا مما أستفيد في الحال بل يظن الإنسان أنه دائما كان عالما به ومثال ذلك: أن الكل أعظم من الجزء وهذا غير مستفاد من حس ولا استقراء ولا شيء آخر نعم قد يمكن أن يفيد الحس تصورا للكل ولأعظم وللجزء وأما التصديق بهذه القضية (يريد أن الكل أعظم من الجزء) فهو من جبلته»<sup>1</sup>.

العقل عند ابن سينا نوعان عقل عملي وآخر نظري وهذا الأخير هو الذي يوجه الأول وعن الأول تصدر حركة الإنسان ومهمة العقل النظري كذلك يجرّد الصور من المادة ليحصل على مبادئ التصور.

القوة العقلية إذا اطلعت على الجزئيات Les molecules التي في الخيال وأشرف عليها نور العقل الفعال L'esprit effective فينا، استحالت مجردة عن المادة وعلائقها وانطبعت في النفس الناطقة.. وهذا يعني أن مطالعتها تعد النفس لأن الفيض عليها المجرد من العقل الفعال.<sup>2</sup>

إذا تتبعنا العقل النظري بصفته الأمر والموجه وجدنا له أربعة مراتب وهي: العقل الهيلواني هو استعداد محض يوجد عند كل الناس والعقل بالملكة وهو المحطة الأولى للمعقولات أي بداية التصور والعقل بالفعل هو الذي تحصل فيه المعقولات الثواني التي تستند في حصولها على المعقولات الأولى والعقل المستفاد وهو أعلى وأرفع مراتب العقل ويعقل المعقولات بالفعل.

<sup>1</sup> أنظر: أحمد فؤاد الأهواني، في عالم الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ص ص 95 96.

<sup>2</sup> محمود عقيل بن علي، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص 109.

وفي الحقيقة العقل العاشر هو العقل الفعال حيث يخرج المعقولات من القوة إلى الفعل وهو همزة الوصل بين الإنسان وعالم المعقولات العليا وأساس كل إدراك عقلي وبه يعرف الإنسان الغيب.

وعن النفس يقول عنها ابن سينا بأنها واحدة وتعددتها متوقف على الأجسام التي تحل فيها وهذا لا يعني أنها تجزأت لأنه إذا تجزأت فستتطبق وهذا يتنافى مع الواقع وإنما في الأصل أن كل جسم له نفس خاصة به والعكس.

ومادام الجسد ليس علة للنفس فهي لا تفسد بفساده فابن سينا يرى أن النفس الناطقة واحدة ولا يميز بين ما هو فان وما هو غير فان عكس أرسطو الذي يرى بأن النفس تقنى بفناء الجسد ويبقى فقط العقل الفعال، وهذا عن خلودها أما عن ترتيبها فقد رتبها ابن سينا إلى نفس نباتية وحيوانية وإنسانية.

النفس الحيوانية L'esprit animale تزيد على النفس النباتية L'esprit vegetale بالحركة وتترك الجزئيات والنفس الإنسانية L'esprit humaine تزيد على الحيوانية ويعرفها ابن سينا بأنها كمال أول لجسم طبيعي. وعن طبيعة النفس يقول ابن سينا بأنها جوهر عقلي une substance mentale مختلف عن الجسد ولا يتحرك إلا بها وهي التي تحافظ على بقائه وبإمكانها أن تدرك المعقولات لأنها جوهر روحاني.

### فلسفته:

عرف ابن سينا الفلسفة: أنها العلم بالوجود بما هو موجود، أي العلم بالوجود المطلق دون النظر إلى نوع هذا الوجود، كما أنها أيضا علم المبادئ التي تقوم عليها العلوم الجزئية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص76.

لقد وردت تعريفات عديدة للفلسفة عند ابن سينا في كتبه ورسائله .ولقد أجمل الدكتور توفيق الطويل تعاريف الفلسفة وأقسامها ومحتوياتها عند ابن سينا في النص الآتي ذهب...ابن سينا...في رسائله التسع في الحكمة la sagesse والطبيعيات إلى تعريف الفلسفة بأنها استكمال النفس البشرية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه على قدر الطاقة البشرية ،أي التماس العلم بطبيعة الموجودات بما هي كذلك عن طريق النظر العقلي وفرع الفلسفة إلى حكمة نظرية تتناول الأمور التي لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها،وقسم الحكمة العميلة إلى حكمة مدينة تعرض لما ينبغي أن يكون عليه التشارك بين أفراد المنزل لتنظم به المصلحة المنزلية وحكمة خلقية تهدف إلى معرفة الفضائل وكيفية مزاولتها والردائل وكيفية اتقائها .وتستفاد هذه الحكمة العلمية بفروعها الثلاثة من الشريعة الإلهية ،وان كانت قوانينها وتطبيقها على الجزئيات إنما تعرف بالنظر العقلي.

أما الحكمة النظرية عنده فتتفرع إلى حكمة طبيعية تتعلق بما من شأنه أن يجرده الذهن عن التغيير إن كان وجوده مخالطة التغيير،وان خالطها فبالعرض لأن ذاتها مفتقرة في تحقيق الوجود إليها وهذه هي الفلسفة الأولى (ما بعد الطبيعة) أو (الميتافيزيق (1) والفلسفة الإلهية جزء منها ،ويراد بها معرفة الربوبية .

ومبادئ الفلسفة النظرية La philosophie theorique بأقسامها الثلاثة مستفادة من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبية ولكن تحصيلها بالكامل إنما يكون بالنظر العقلي على سبيل الحجة...<sup>1</sup>.

إن المتتبع لكتابات ابن سينا فإنه سيقف على نوعين من الفلسفة فلسفة عامة وفلسفة خاصة فأما العامة هي الفلسفة المشائية الذائعة والفلسفة الخاصة هي التي يوصي بسترها - الحكمة- عن العامة وعدم إذاعتها.

<sup>1</sup> أنظر :نفس المرجع ،ص ص 76 77.

قسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين قسم نظري والذي فيه الموجودات مالا يتعلق وجودها بفعلها واختيارنا والقسم العملي وهي التي فيها الموجودات وجودها يتعلق بفعلها واختيارنا فالأول يسمى فلسفة نظرية والثاني يسمى فلسفة عملية.

الفلسفة النظرية تنقسم إلى ثلاثة علوم أولها العلم الطبيعي والذي فيه موضوعه لا ينفصل عن المادة في الحقيقة والذهن أي أن المادة جزء من تصوره للموجودات الطبيعية في الحقيقة والذهن. وثانيها العلم الرياضي والذي موضوعه لا ينفصل عن المادة في الحقيقة ولكن ينفصل عنها في الذهن وثالثها العلم الإلهي وموضوعه هو الله تعالى وهو منزه عن المادة إذا في هذا العلم مفارقة المادة للحركة. هذه هي أقسام الفلسفة النظرية الثلاثة العلم الطبيعي ويسميه ابن سينا العلم الأسفل، والعلم الرياضي ويسميه العلم الأوسط، والعلم الإلهي ويسميه العلم الأعلى.<sup>1</sup>

هذا التقسيم الذي ذكرناه لابن سينا هو نفسه تقسيم أرسطو إلا أن ابن سينا لم يكتفي بهذا وأضاف أقسام أخرى لهذه الفلسفة فأضاف علم الفراسة وعلم الطلسمات والطب وعلم أحكام النجوم علم الكيمياء وعلم العبير.

أما الأقسام الفرعية للعلوم الرياضية التي يضيفها ابن سينا فهي علم المساحة، والحيل المتحركة، وجر الأثقال وعلم الأوزان والموازين وعلم المناظر والمرايا وعلم نقل المياه.<sup>2</sup>

أقسام العلم الإلهي عند ابن سينا هي:

1- النظر في المعاني العامة التي تخص جميع الموجودات مثل الهوية والوحدة والكثرة، والقوة والفعل، والعلة والمعلول.

<sup>1</sup> أنظر: فتح الله خليف، ابن سينا ومذهبه في النفس، دار الأحد البحري، بيروت، لبنان، 1974، ص 42.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 43.

2-النظر في أصول ومبادئ العلوم الأخرى كالعلوم الطبيعية والرياضية فإن هذه العلوم تقوم على مبادئ ومسلمات نضعها وضعا دون مناقشة فكان لابد من مناقشتها وفحصها في علم آخر.

3-النظر في واجب الوجود وإثباته وتوحيده.

4-النظر في إثبات الجواهر الأولى الروحانية التي هي مبدعته وأقرب مخلوقاته منزلة عنده، وتلك هي رتبة الملائكة الكروبيين أي الأوائل، ثم إثبات الجواهر الروحانية الثانية، أو الطبقة الثانية من الملائكة الموكلة بالسماوات وحملة العرش ومدبرات الطبيعة ومتعهدات ما يتولد في عالم الكون والفساد.<sup>1</sup>

وضع ابن سينا أقسام للفلسفة العملية وهي:

1-علم الأخلاق L'ethique وينظر في تدبير أفعال الشخص الواحد أو في ذكاء نفسه كما يقول ابن سينا أي تصريف نفسه.

2-تدبير المنزل وينظر فيما ينبغي أن تكون عليه المشاركة الخاصة الضيقة ويقصد بها ابن سينا العلاقات بين الرجل وزوجته وأولاده وخدمته ثم ينظر أيضا في مسألة تدبير الرزق والمعاش للأسرة.

3-العلم السياسي La science politique وينظر فيما ينبغي أن تكون عليه المشاركة العامة ويقصد بها ابن سينا علاقات الناس بعضهم ببعض في المدينة الواحدة وعلاقات المدن بعضها مع بعض، ثم علاقاتها مع الدول الأخرى وكذلك ينظر هذا العلم فيما ينبغي أن تكون عليه أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والرذيلة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 44.

<sup>2</sup> انظر: نفس المرجع، ص ص 46 47.

وبعدما عرضنا تقسيمات ابن سينا وظهر لنا جليا تأثره بأرسطو بعدما قرأ كتابه ما وراء الطبيعة ولكن الفضل في فهم ابن سينا لهذا الكتاب إلى الفارابي وهذا ما لا ينكره ابن سينا ولقد تجاوز ابن سينا تقسيم أرسطو.

يرى ابن سينا Ibn Sina أن المنطق ضروري للذين لا يميلون للفلسفة وذلك لأنه يعصم الذهن من الوقوع في الخطأ وهذا يتضح بالمثال التالي: إن وضع الحدود (التعريفات) للأشياء يقتضي دقة ومعرفة بجوهر هذه الأشياء وماهيتها فمن الخطأ أن تقول مثلا أن السيف حديدة تقطع وأن الكرسي خشب يجلس عليه، لأننا بذلك نكون قد نظرنا إلى ناحية واحدة من السيف والكرسي وأمثال هذه الأقوال إنما هي شروح ناقصة لا حدود صحيحة. وكذلك قولنا: الشمس كوكب يطلع نهارا فهذا حد ناقص، ومادام الوقت لا يسمى نهارا إلا إذا طلعت فيه الشمس، وإذا أردنا أن نضع حدا لشيء ما فيلزمنا أن نأتي في التعريف على ذاته وجنسه وفعله وماهيته حتى لا ينصرف الذهن إلى غيرها ما يقصده واضع التعريف.<sup>1</sup>

### 3- ابن رشد:<sup>2</sup>

عرف المشرق الفلسفة في وقت مبكر على المغرب بفضل العمل الجبار الذي قام به السيريان من خلال نقل الفلسفة اليونانية إلى السريانية بفضل تشجيع الخلفاء والأمراء وعلى العكس من ذلك نجد انتقال الفلسفة إلى المغرب عرف تأخير كبير حتى أواسط القرن الرابع الهجري وكانت الأندلس مهد لظهور الفلسفة ومن بين الفلاسفة الذين ظهوروا في المغرب ابن رشد وأبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل وأبو بكر محمد بن يحيى وغيرهم.

<sup>1</sup> أنظر: مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1998، ص 399.

<sup>2</sup> ابن رشد: أبي الوليد محمد بن رشد ولد في قرطبة في سنة 520هـ درس في صغره الفقه والأصول وعلم الكلام وأخذ هذه العلوم عن أبي القاسم بن بشكوال وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر بن سمحون وأبي جعفر بن عبد العزيز توفي 595هـ. -فرج أنطون، ابن رشد وفلسفته، تقديم: طيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 56.

ابن رشد ومصادره الثقافية:

نشأ ابن رشد Ibn Ruchd في كنف أسرته التي عرفت بالعلم والدين ولقد درس الفقه في بداية حياته عند أبيه وأبي بكر بن سمحون وأبي جعفر وأبي القاسم وأبي عبد الله المزري ودليل تحكمه في الفقه هو أخرجه لكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه" وما قام به من نقد وتقنيد لآراء علماء الكلام دليل على تمكنه ودراسته العميقة لهذا العلم، درس الطب والرياضيات والفلسفة .

درس الطب عند أبي جعفر هارون والفلسفة عند ابن باجة، وعرف ابن رشد بصحبته لعلماء عصره. وعمل ابن رشد طبيب السلطان إلى جانب أبو مروان بن زهر وفي تلك الفترة كتب كتابه (الكليات) في أمراض الجسم البشري. جمع الخليفة الذي نشأ في الأندلس قبل ابن رشد العديد من الكتب حيث اعتنى بجمع الكتب القديمة والحديثة، وعنى قصر الحكم عناية خاصة بالعلم إلى أن وصل عدد كتب مكتبته أربعمئة ألف كتاب.

فهذا الانصراف إلى العلم والأدب أدى إلى نتيجة من أبداع النتائج التي يجب أن نتنرم بذكرها الأقلام فان العناصر الثلاثة اليهود والمسلمين والمسيحيين تصالحو في الأندلس تحت كنف العلم والفلسفة والسلطة الأندلسية تصالحا أزال كل ما كان بينهم من أسباب الشحناء وكان هواء الأندلس الجميل واختلاط تلك العناصر بعضها ببعض من أقوى العوامل التي ساعدت على هذا الصلح الجليل، فصار اليهود والمسلمون والمسيحيون في أرض الأندلس يتكلمون بلغة واحدة وهي اللغة العربية الجميلة ويدرسون في نسخ كتاب واحد ويجتمعون للاستتارة بنور الفلسفة الإلهية والعلم الإلهي تحت سقف واحد.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 59.

اجتمع ابن رشد Ibn Ruchd وأعظم فلاسفة عصره مع الأمير الخليفة عبد المؤمن بعد الاضطهاد والحرق الذي عرفه المشتغلين في حقل الفلسفة وأباح هذا الأمير الكتب على أنواعها . عمل ابن رشد مساعد للأمير في مراكش قام بإنشاء المدارس وأثار مصباح العلم . بعد وفاة الأمير خلفه الأمير يوسف وهذا الأخير قرب له ابن طفيل وهو بدوره لم يترك ابن رشد فصار من المقربين للأمير وقام بشرح كتاب أرسطو بعدما وجد فيه الأمير غموض .

تولى ابن رشد قضاء اشبيلية وبعدها عمل في منصب الطبيب الخاص للأمير يوسف وولاه منصب قاضي القضاة في قرطبة وبعد وفاة الأمير يوسف ازدادت مكانة ابن رشد بعد مجئ الأمير الجديد يعقوب المنصور بالله الذي عرف بحبه للعلم والعلماء . وكان ذلك بتقديم ومدح ابن طفيل لابن رشد وذلك في قول ابن رشد : «لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب ،وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما فأخذ أبو بكر يثني علي ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضلته إلى ذلك أشياء لا يبلغها قدرتي فكان أول ما فاتحني فيه أمير المؤمنين بعد أن سألتني عن اسمي واسم أبي ونسبي أن قال لي: ما رأيهم في السماء -يعني الفلسفة-أقديمة أم حديثة؟ فأدركني الحيا والخوف وأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم أكن أدري ما قرر معه ابن طفيل ففهم أمير المؤمنين مني الروع والحياء فالتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألتني عنها ويذكر ما قاله أرسطو وأفلاطون وجميع الفلاسفة ويورد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام عليهم . فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له ولم يزل يبسطني حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عاطف العراقي ،ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،2002 ،ص ص 13 14 .



تميز ابن رشد بثقافته الواسعة وما ذكرناه عن حياته العلمية والعملية والثقافية يوضح ذلك بالإضافة إلى المؤلفات التي وضعها بنفسه فمنها: الفلسفية والكلامية

1-تهافت التهافت

2-المقدمات في الفلسفة وهو في اثنتي عشر مقالة معظمها في المنطق

3-مقالتان عن اتصال العقل الفعال بالإنسان وموجز في المنطق

4-رسائل أخرى بقيت لنا ترجماتها العبرية

5-فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

6-الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة.<sup>1</sup>

وله مؤلفات في الفقه والفلك والطب وهي:

1-بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

2-رسالة عن حركة الفلك.

3-كتاب عن استدارة فلك السماء والنجوم الثابتة.

4-مختصر لكتاب "المجسطي" ولدينا ترجمة غيرية له.

5-كتاب الكليات.

<sup>1</sup> محمود عقيل، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص ص 173 174.

6- وضع ابن رشد شروحا على أرجوزة ابن سينا في الطب، وشروحا على بعض مؤلفات جالينوس.<sup>1</sup>

لابن رشد شروحات لمؤلفات أرسطو وقام بتلخيص كتاب الجمهورية لأفلاطون وأسماء جوامع سياسة أفلاطون.

### نظرية المعرفة عند ابن رشد:

كما سبق وأوردنا أن ابن رشد قام بشرح لأرسطو فمن خلال قيامه بهذا العمل فإن ابن رشد يعتمد طريقة البرهان وهذا ما يدفعنا إلى الاعتماد على شروحه دون مؤلفاته وقد اتبع ابن رشد أرسطو إلى حد كبير إلا أنه اختلف عليه أو بمعنى آخر أنه أضاف عليه في نظرية المعرفة «أما الشيء الجديد الذي أضافه أبو الوليد إلى نظرية المعرفة الأرسطو طالسية فليس إلا نظريته الشهيرة التي يطلق عليها مؤرخو الفلسفة عادة اسم نظرية الاتصال بالعقل الفعال أو اسم نظرية اتصال العقل الهيلولاني بالعقل الفعال»<sup>2</sup>.

إن أساس المعرفة عند ابن رشد هو المعرفة العقلية بدليل تدرج المعارف العقلية ويتجاوز بذلك المعرفة الحسية كما ينقد كل من يقول بوجود كلييات مفارقة وذلك بناء على رأيه الذي يذهب فيه إلى أن المعقولات تستند إلى المحسوسات.

ابن رشد إذا يصعد من الحسي إلى العقلي ومن الجزئي إلى الكلي لأن العلم علم الجزئيات وعن طريق الاتصال يقول بأنه يبدأ بالمحسوسات حتى يصل إلى حصول المعقولات في عقلنا «وذلك طبقا لمذهبه في تدرج المعرفة الإنسانية من المحسوسات حتى تصل إلى المعقولات أي يقول بتطور طبيعي للمعرفة منكرًا طريق التصوف وذلك يتمثل في

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 174.

<sup>2</sup> محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد، مكتبة الانجلو المصرية، ص 11.

إعلانه أنه لا سبيل إلى الاتصال إلا بالعلم أي عند النقطة التي تصل فيها ملكات الإنسان إلى أقصى قوتها»<sup>1</sup>.

### فلسفة ابن رشد:

اهتم ابن رشد بالفلسفة فألف فيها العديد من المؤلفات وكان هذا الاهتمام كبيراً رغم بروزه ونبوغه في العديد من العلوم على غرار الفقه والطب ولقد عرفها بأنها: «النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع أعني من جهة أنها مصنوعات وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم»<sup>2</sup>.

إن فلسفة ابن رشد مخالفة لغيرها من الفلسفات فقد شغلته -ابن رشد- مسألة أصل الكائنات عكس فلسفة المتكلمين الذين بنو فلسفتهم على حدوث المادة في الكون ووجود خالق مطلق.

إمتاز ابن رشد عن غيره من الفلاسفة سواء كان في المشرق أو المغرب بمنهجه النقدي أي أن له حس نقدي دقيق وشامل ودليل ذلك: إننا قد لا نجد فيلسوفاً من الفلاسفة أو اتجاهات من الاتجاهات التي سبقت ابن رشد إلا وقام فيلسوفنا العملاق ابن رشد بتوجيه سهام النقد إليه نقد المتكلمين ومن بينهم الغزالي، ونقد أهل الظاهر ونقد الفارابي وابن سينا ونقد الصوفية... إلى آخر الاتجاهات الفكرية والفلسفية<sup>3</sup>.

لقد زاعت فلسفة ابن رشد في أوروبا تحت اسم الرشدية اللاتينية حيث تأثر بفلسفته الكثير من المفكرين وذلك راجع إلى الحس النقدي الذي يملكه ومواكبة فلسفته للعقل حيث يمثل هذا الأخير عنده ملكة وليس عضو من أعضاء جسم الإنسان «فالعقل ليس هو شيئاً

<sup>1</sup> عاطف العراقي، ابن رشد فيلسوفاً عربياً بروح غربية، ص ص 21 22.

<sup>2</sup> عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص 78.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 27.

أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها ،وبه يفترق من سائر القوى المدركة ..إن العقل لا ينتسب إلى عضو مخصوص من الإنسان ..وليس يكون قولنا في الإنسان أنه عالم كقولنا إنه يبصر..فهو يبصر بعضو مخصوص ..وأما إذا لم يكن للعقل عضو يخصه فتبين أن قولنا فيه عالم ،ليس من قبيل أن جزءا منه عالم ..وذلك أنه ليس يظهر أن ههنا عضوا خاصا من الأعضاء كالحال في قوة التخيل والفكر والذكر ،وذلك أن مواضع هذه معلومة من الدماغ»<sup>1</sup>.

لقب ابن رشد بفيلسوف العقل في الإسلام وذلك لأن فلسفته تعد تعبيرا عن ثورة العقل وانتصاره وفي نقده لاتجاه أو فيلسوف فإنه يقوم بذلك على أساس العقل وهذا دليل على تمسك ابن رشد بقواعد التفكير الفلسفي ولم يكن فيلسوفنا يوما مقلدا وإنما كان مجددا.

إن المنهج النقدي La method critisisme الذي اتبعه ابن رشد كان معبرا عن فكره مخالفا للآخرين وهذا ما جعل أفكاره خالدة وما ساعده على ذلك توليه مهنة القضاء ونبوغه في الفقه بشهادة معاصريه كابن طفيل ومن الأدلة الملموسة كتابه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد".

حاول ابن رشد التوفيق بين الفلسفة والدين كسابقه من الفلاسفة الإسلاميين مؤكدا على التشابه القوي بينهما . «فكلاهما يرمي إلى تحقيق السعادة عن طريق الاعتقاد الحق وعمل الخير وكلاهما يعطي المبادئ القصوى للموجودات»<sup>2</sup>.

يعتمد ابن رشد أدلة من القرآن الكريم على أن الفلسفة والدين غير متعارضان وأن الدين يدعو إلى دراسة الفلسفة ومنها قوله تعالى : «أو لم ينظروا في ملكوت السموات

<sup>1</sup> انظر: محمد عمارة ،ابن رشد بين الغرب والإسلام ،نهضة مصر ،مصر 2004 ،ص ص 28 29.

<sup>2</sup> عمر محمد التومي الشيباني ،مقدمة في الفلسفة الإسلامية ،ص 77.

والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلمهم فبأى حديث بعده يؤمنون»<sup>1</sup>.

نقد ابن رشد الصوفية على أساس العقل وذلك أن في منهجهم يعرفون الله والموجودات عن طريق ما يلقى في النفس بعد أن تتجرد من الشهوات والنزوات ومن هذا فإن طريق الفلاسفة وطريق الصوفية عنده لا يلتقيان وإنما هما متضادان أي أن الطريق الصوفي يتنافى مع الطريق العقلي.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الاعراف، الآية 185.

المبحث الرابع: موقف أبو حامد الغزالي من الفلاسفة.

لقد قام المسلمون بالدفاع عن الإسلام وعقائده والاعتذار عنه من الهجمات التي كانت تشنها عليه الفلسفة فكانوا ينفون التهم عنه محاولين تبرير موقفه لكن كانت حججهم ضعيفة ماداموا اتخذوا موقف المدافع الا ان الغزالي اتخذ موقف المهاجم فاستطاع ان يحقق مالم يحققه غيره، نظراً لتنوع أبحاثه وافكاره العقلانية. ولقد كانت له تصانيف كبيرة من أهمها كتابه (تهافت الفلاسفة).

«وقد ألفه في الرد على الفلاسفة وتبيين تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق

بالإلهيات وكان قد دفعه الى ذلك مارآه من انصراف (طائفة من النظار) عن وظائف الإسلام وإعراضهم عن الدين جملة مقلدين في ذلك شذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة والآراء المعكوسة ممن هالهم سماع أسماء ضخمة كسقراط و بقراط وأفلاطون وأرسطو.»<sup>1</sup>.

لقد ألف الغزالي كتاب تهافت الفلاسفة للرد عليهم وفي هذا الشأن يقول «فلما رأيت

هذا العرق من حماقة نابضا على هؤلاء الأغبياء انتدبت لتحرير هذا الكتاب ردا على الفلاسفة القدماء مبينا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالإلهيات وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء وعبرة الأذكياء اعني ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء من فنون العقائد والآراء»<sup>2</sup>.

كفر الغزالي الفلاسفة في ثلاثة مسائل وهي :

1 - قولهم بقدوم العالم وفي ابطاله لهذه المسألة انطلق الغزالي من الإختلاف المذهبي

حولها وذلك في قوله «اختلف الفلاسفة في قدم العالم فالذي استقر عليه راي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين، القول بقدمه وإنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوقاً له غير متأخر عنه الزمان، مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس وان تقدم الباري عليه

<sup>1</sup> - د: مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية (الغزالي) ، ص 107.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص108

كتقدم العلة على المعلول وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان وحكي عن أفلاطون انه قال: العالم مكون ومحدث ثم منهم من أول كلامه، وأبى أن يكون حدوث العالم معتقداً له، وذهب جالينوس في آخر عمره في الكتاب الذي سماه ( ما يعتقد جالينوس رايًا) الى التوقف في هذه المسألة وانه لا يدري: العالم قديم او محدث؟ وربما دل على انه لا يمكن ان يعرف، وان ذلك ليس لقصور فيه بل لاستعصاء هذه المسألة في نفسها على العقول ولكن هذا كالتشاذ في مذهبهم وإنما مذهب جميعهم انه قديم و انه بالجملة لا يتصور ان يصدر حادث من قديم بغير واسطة أصلاً<sup>1</sup>. و ادلتهم في ذلك هي :

- يستحيل صدور حادث من قديم مطلقاً لأنه اذا فرضنا القديم و لم يصدر منه العالم مثلاً فإنما لم يصدر لأنه لم يكن الوجود مرجع بل كان وجود العالم ممكننا امكان صرفاً. « و بالجملة فأحوال القديم اذا كانت متشابهة فإما أن لا يوجد عنه شيء قط و إما أن يوجد على الدوام فأما أن يتميز حال الترك عن حال الشروع فهو محال»<sup>2</sup>.

- العالم متأخر عن الله و الله متقدم عليه ، و ليس يخلو إما أن يريد به أنه متقدم بالذات لا بالزمان كتقدم الواحد على الاثنين فإنه بالطبع ، مع أنه يجوز أن يكون معه في الوجود الزماني .

- وجود العالم ممكن قبل وجوده إذ يستحيل أن يكون ممتنعاً ثم يصير ممكناً و هذا الإمكان لا أول له أي لم يزل ثابتاً و لم يزل العالم ممكناً وجوده .

- كل حادث فالمادة التي فيه تسبقه إذ لا يستغني الحادث عن مادة فلا تكون المادة حادثة ، و انما الحادث الصور و الأعراض و الكيفيات الطارئة على المواد .

2 - القول بأن الله يعلم الكلّيات و لا يعلم الجزئيات :

<sup>1</sup> - الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، تحق: سليمان دينا ، دار المعارف مصر ، ط4 ، 1966 ، ص ص88 89

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 90

و في هذه المسألة يقول الغزالي انهم متفقون على ان الله لا يعلم الجزئيات . «وقد اتفقوا على ذلك فإن من ذهب منهم الى أنه لا يعلم إلا نفسه فلا يخفى هذا من مذهبه ، ومن ذهب الى انه يعلم غيره وهو الذي اختاره ابن سينا فقد زعم انه يعلم الأشياء علماً كلياً لا يدخل تحت الزمان ولا يختلف بالماضي والمستقبل والآن ومع ذلك زعم انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، إلا أنه يعلم الجزئيات بنوع كلي ولا بد أولاً من فهم مذهبهم ثم الإشتغال بالإعتراض»<sup>1</sup>.

بالنسبة لهاتين المسألتين ناقشهما الغزالي مناقشة فلسفية مسألة الزمان والمكان ولم يجعل بينهما فرق « كما أن البعد المكاني تابع للجسم فالبعد الزماني تابع الحركة وهو إمتداد للحركة كما أن ذلك إمتداد أقطار الجسم... فلا فرق بين البعد الزماني الذي تنقسم العبارة عنه، عن الإضافة إلى فوق وتحت»<sup>2</sup>.

فمن خلال هذا النص نصل الى نتيجة وهي أن الغزالي لم يفرق بين الزمان والمكان كالفلاسفة إذ أن الزمان و المكان عبارة عن العلاقات بين تصوراتنا أو الأجسام.

3- قولهم لبعث الأجساد ورد الأرواح: يقولون برد الأرواح الى الأبدان و وجود النار الجسمانية ووجود الجنة و الحور العين وأدلتهم في إثبات هذه المسألة مايلي:

- النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً اما في لذة لا يحيط الوصف بها لعظمتها وإما في الم لا يحيط الوصف به لعظمه. ثم قد يكون ذلك الألم مخلداً وقد ينمحي مع مرور الأيام.

- من مات فقد قامت قيامته، وما ورد في الشرع من الصور الحسية المراد به ضرب الأمثال لقصور الإفهام عن إدراك هذه اللذات.

وعن هذه المسائل الثلاثة يقول الغزالي انها لا تلائم الإسلام ومعتقدتها معتقد كاذب.

« فإما ما عدا هذه المسائل الثلاث من تصرفهم في الصفات الإلهية واعتقاد التوحيد فيها،

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 206.

<sup>2</sup> - انظر: عامر النجار ، نظرات في فكر الغزالي ، ص100.



فمذهبهم قريب من مذهب المعتزلة ومذهبهم في تلازم الأسباب الطبيعية هو الذي صرح به المعتزلة في التولد وكذلك جميع مانقلناه عنهم، قد نطق به فريق من فرق الإسلام إلا هذه الأصول الثلاثة»<sup>1</sup>.

ان الغزالي في نقده للفلاسفة اتصف بالنزاهة العلمية بعيداً عن العصبية حيث كان يريد البحث عن الحقيقة في أرائهم ويبين الخطأ فيها وفي هذا الصدد يقول بلاسيوس « ان الغزالي حينما سمى كتابه (تهافت الفلاسفة) كان يريد ان يمثل لنا ان العقل الإنساني يبحث عن الحقيقة ويريد الوصول اليها كما يبحث البعوض على ضوء النهار فإذا أبصر شعاعاً يشبه نور الحقيقة انخدع به فرمى نفسه عليه وتهافت فيه و لكنه يخطئ مخدوعاً بأقيسة منطقية خاطئة فيهلك كما يهلك البعوض فكان الغزالي يريد ان يقول أن الفلاسفة خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا إعمال روية فتهافتوا وهلكوا الهلاك الأبدي»<sup>2</sup>.

وفي الحقيقة ان الغزالي يمثل عقلية الفيلسوف المسلم فأفكاره صبغت بعقلية فلسفية متميزة، ومن خلال عرضنا لهذه العناصر في هذا الفصل الخاص بعلاقة الغزالي بالفلاسفة نصل الى نتيجة وهي ان ابو حامد الغزالي لم يجد الحقيقة (اليقين) المنشودة عند الفلاسفة فسفهم وكفرهم في بعض المسائل.

وبعدما بحث الغزالي عن ضالته عند الفلاسفة فلم يجدها اتخذ دورا دفاعيا عن الاسلام خدمة له محاربا الفلسفة الالهية الاغريقية ومبعدا عنها العلوم الأخرى التي كانت منضوية تحتها فجعلها وحيدة من هذه العلوم الرياضيات ،الفزياء ،السياسية. كما أنه رفع عنها الحصانة التي كانت تتمتع بها مثبتا في الأخير انها مجرد تخمينات وتخييلات ومجموعة أفكار.

<sup>1</sup> - الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، ص 309.

<sup>2</sup> - انظر : عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي ، ص 103.

لقد انقسم العلماء الى قسمين حول موقف الامام الغزالي من الفلسفة منهم من رأى بأن الغزالي انتصر على الفلسفة ودافع عن الاسلام رغم الظروف التي عرفت تلك الفترة ليستحق بذلك لقب حجة الاسلام وهؤلاء قال عنهم تقي الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى « جاء الغزالي والناس الى رد فرية الفلاسفة أوج من الظلماء لمصاييح السماء وأفقر من الجذباء الى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بحلاوة ما قاله ويحمي حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نضاله حتى أصبح الدين وثيق العرى وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثا يفترى »<sup>1</sup>

في حين نقم الفريق الثاني على الغزالي اشتغاله في الفلسفة وهؤلاء اصحاب النظرة الضيقة لانهم انطلقوا من ذاتهم أي موقفهم اتجاه الفلسفة فحكموا من خلاله على الغزالي وفي هذا الشأن يقول تقي الدين السبكي : «...وأما ما ذكره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري فما أشبه هؤلاء الجماعة -رحمهم الله- إلا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم قد ركنوا الى الهوينا فرأوا فارسا عظيما من المسلمين قد رأى عدوا عظيما لأهل الاسلام فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم ومازال في غمرتهم حتى فل شوكتهم وكسرهم وفرق جموعهم شذر مذر ، وقلق هام كثير منهم فأطبه يسير من دمائهم وعاد سالما، فرأوه وهو يغسل الدم عنه ، ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم ، فتوهموا أيضا أثر الدم عليه ، فأنكروا عليه هذا حال الغزالي وحالهم...»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> انظر :صالح احمد الشامي ، الامام الغزالي ، ص 89.  
<sup>2</sup> نفس المرجع ، نفس الصفحة.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي وموقف الغزالي منها.

المبحث الأول: نشأة الباطنية ووصولها للعالم الإسلامي.

نشأتها:

لقد اختلف في الأصل التاريخي للباطنية فمنهم من يرجعها الى المجوس ومنهم من يرجعها الى الصابئة لكن اذا تتبعنا وصولها لاعرفنا بأنها نابعة من الفلسفة اليونانية التي تغذت بأفكارها جميع فرقها فسيزول الإختلاف على أن الباحث في نشأة الباطنية في العالم الإسلامي لابد ان يلم بنشأة الشيعة لان التشيع كان ثوبا يتستر وراءه كان من يريد أن يبذر الفتن ضد الإسلام و المسلمين و مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بإدخال تعاليم أبائه وأجداده من يهودية و نصرانية وهندوسية وأفلاطونية.<sup>1</sup>

ولقد كانت فكرة الشيعة التي تظهرها للعامة هي الدفاع عن حق آل البيت في الخلافة وهذه الفكرة ليست هدف بل وسيلة لنشر مذاهب دينية تحيك مؤمرات ضد الإسلام. « و الراجح ان اليهودية الموتورة التي لاتستطيع الإنتقام بحد الحسام لجأت الى الحلية والمؤامرة لإيجاد الفرقة بين المسلمين ليضربوا بعضهم ببعض»<sup>2</sup>.

لقد عرف المجتمع الإسلامي في بداية ظهور الفكر الباطني العديد من الفتن والإضطرابات حيث كان سببها عبد الله بن سبا الذي كان يثير الناس ضد عثمان، وليس هذا فقط بل كان اليهود يخططون لهدم الإسلام. « وذلك عن طريق ابتداع مناهج الباطنية في تأويل الشريعة على نحو يقضي إلى نسخها والاستعاضة عنها بخليط عجيب من الحكمة، يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعقائد اليهود الذين حرفوا دينهم من قبل»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - د: الحمد احمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، مكتبة الأقصى ، عمان ، 1986 ، ص 20 .

<sup>2</sup> - محمد كرد علي ، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1969م ، ص 5.

<sup>3</sup> - د: محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، ط 5 ، 1973 ، ص 254.

ان اليهود زرعوا عقائدهم بصبغة إسلامية خادعة إلا انها انكشفت تلك النوايا الخادعة لهم. وحتى التوراة لم يسلم من مكرهم حيث أولوا التوراة على أسس الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وقامت طائفة منهم بتشويه التوراة بالتلفيق بين الأفلاطونية الحديثة والفلسفة الإغريقية، متخذين الأفراد الذين يملكون رصيد إسلامي ضعيف لتمير رسائلهم. وما يثبت تمكنهم في المجتمع هو: أن عليا أرد ان يحرق معهم رأس الفتنة ابن سبا، ولكن الناس صاحوا بعلي: يا أمير المؤمنين أنتقل رجلا يدعوا الى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك.<sup>1</sup> وبقي ابن سبا Ibn Saba ينفث ثمه وينخر العقيدة من داخلها.

#### مصادر الفكر الباطني:

وكما رأينا في نشأة الباطنية أن اليهود زرعوا عقائدهم بصبغة إسلامية خادعة جعل هذا يترك اثر في فكر مفكري الحركات الباطنية مما دفعهم للبحث عن مصدر تلك الأفكار. فوجدوا ضالتهم في الفلسفة اليونانية بما فيها الأفلاطونية الحديثة وكانت النزعة الباطنية التي تميزت بها هذه الفلسفات دافعا قويا لأخذ المزيد من أفكارها.<sup>2</sup> وكان لترجمة المؤلفات الفلسفية اليونانية وانتشارها في القرن التاسع الميلادي اثر واسع في تبلور فكر هذه الحركات.<sup>3</sup>

وكانت لدرسه الفلسفة العديد من البلدان منها مصر و سوريا حيث كانت مصر (الإسكندرية) مهد لانتاج مذاهب فلسفية. ولقد كان للفلسفة الأفلاطونية اثر واضح في الحركات الباطنية في العالم الإسلامي الى جانب الهرمسية والصابئة و الديسانية إضافة الى المذهب الفيثاغوري. فالنزعة الباطنية التي تميزت بها الفلسفة الفيثاغورية انسجمت مع ميولهم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - البغدادي عبد القاهر ، الفرق بين الفرق ، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة، ص 234.

<sup>2</sup> - محمد احمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص36

<sup>3</sup> -- ماجد فاخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، قر: د كمال اليازجي ، دار المتحدة بيروت ، 1979 ، ص71

<sup>4</sup> - نفس المرجع ، ص225

والى جانب هذه الفلسفات التي عدناها والتي كان لها الأثر الكبير في تكوين الفكر الباطني نجد مذاهب أخرى تكيد للإسلام داعمتا للفكر الباطني منها الصابئة. ومن خلال عرضها لمصادر الفكر الباطني نستطيع ان نقر بان هذه الأفكار لاتمت للإسلام بصلة وإنما هي دخليه يهدف أصحابها لهدم المجتمع الإسلامي.

### حيلهم:

وضع الباطنية حيل ليتغلغوا في المجتمع الإسلامي وهي:

- 1- **الزرق و التفرس:** هو انهم قالوا ينبغي أن يكون الداعي فطنا ذكيا صحيح الحدس صادق الفراسة متفطنا للبواطن بالنظر الى السمائل.
- 2- **التأنيس:** وهو أن يوفق كل من هم بدعوته في أفعال يتعاطاها هو ومن تميل اليه نفسه وأول ما يفعل الأئس بالمشاهد على ما يوافق اعتقاد المدعو في شرعة.
- 3- **التشكيك:** معناه أن الداعي ينبغي له بعد التأنيس ان يجتهد في تغيير إعتقاد المستجيب بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه.
- 4- **التعليق:** ان يطوي عنه جوانب هذه الشكوك إذا استكشفه عنها ولا ينفس عن أصلاً بل يتركه معلقاً ويهول الأمر عليه ويعظمه في نفسه.
- 5- **التدليس:** هو ان بعد اليمين وتأكيد العهد لا يسمح ببث الأسرار إليه دفعة ولكن يتدرج فيه ويراعي أموراً.
- 6- **التلبيس:** هو ان يواطئه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة الظاهر مشهورة عند الناس ذائعة ويرسخ ذلك في نفسه مدة ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة.
- 7- **الخلع والسلخ:** الخلع يختص بالعمل فإذا أفضوا بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون وصلت الى درجة الخلع، أما السلخ فيختص بالإعتقاد الذي هو خلع الدين.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أخذت الحيل من كتاب: الغزالي فضائح الباطنية ، نحق: عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت.

ألقابهم:

للباطنية ألقاب تداولتها الألسنة على مر العصور والأزمنة وهي:

**الباطنية:** لقبوا بها لدعواهم ان لظواهر القرآن و الأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية وهي عند العقلاء و الأذكياء رموز وإشارات الى حقائق معينة.

**القرامطة و القرمطية:** لقبوا بها نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط وكان احد دعائهم في الابتداء فاستجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة و قرمطية.

**الخرمية والخرمدينية:** لقبوا بها نسبة لهم الى حاصل مذهبهم وزيدته، فإنه راجع الى طي بساط التكليف وحث أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات وقضاء الوطر من المباحات و المحرمات.

**البابكية:** اسم لطائفة منهم بايعوا رجلاً يقال له بابك الخرمي وكان خروجه في بعض الجبال بناحية أذربيجان في أيام المعتصم بالله استفحل أمرهم واشتدت شوكتهم.

**الإسماعلية:** نسبة لهم الى ان زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر ويزعمون ان ادوار الإمامة انتهت به اذ كان هو السابع من محمد صلى الله عليه وسلم وادوار الإمامة سبعة عندهم فأكبرهم يثبتون له منصب النبوة وان ذلك يستمر في نسبه وأعقابه.

**السبعية:** لقبوا بها لأمرين احدهما اعتقادهم ان ادوار الإمامة سبعة وان الانتهاء الى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وان تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها. والثاني قولهم ان تدابير العالم السفلي اعني ما يحويه مقعر فلك القمر منوطة بالكواكب السبعة.

**المحمرة:** لقبوا به لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك ولبسوها وكان ذلك شعارهم، وقيل سببه أنهم يقررون ان كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير.

**التعليمية:** لقبوا بها لان مبدا مذهبهم إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق الى التعليم من الإمام المعصوم وانه لا مدرك للعلوم إلا التعليم.<sup>1</sup>

### وصول الباطنية للعالم الإسلامي وأثرها عليه:

منذ ان نشأت الباطنية وهي تهدف الى التغلغل في العالم الإسلامي وزعزعة العقيدة الإسلامية ولتحقيق هذا اتخذت التأويل وسيلة لها موهمين الناس باتفاق ارائهم مع القرآن، حتى أصبحت أحكام القرآن في رأي أتباعهم غير واجبة الاتباع.

وهم في تأويلهم للقرآن يعتقدون بأن هناك وراء المعنى الحرفي للآيات وهو معنى لا اهمية له في نظرهم حقائق فلسفية تستخلص بالتفسير المجازي، ولكي يضيفوا على هذا التفسير الباطني مسحة شرعية زعموا بان محمد صلى الله عليه وسلم أفضى لوصية علي بالمعنى الباطني لآيات القرآن.<sup>2</sup>

وبهذا جعلوا من أتباعهم منف ذ لأقوالهم وأوامرهم حيث أهملوا التفسير الصحيح وصارت احكام القرآن عندهم غير واجبة الاتباع . والمتتبع لهذا التأويل فحتمًا سيرده الى الأفلاطونية الحديثة، كما عمل اليهود على إقامة أدلة فلسفية على صحة الدين وجعل تأويل الروايات الدينية لا يخالف الفلسفة.

قام فيلون اليهودي بشرح التوراة شرحاً رمزياً ونفى الصفات عن الله التي وصفته بها التوراة واقتفى أثره تلميذه أوريجانوس الذي قام بتفسير الإنجيل تفسيراً رمزياً وبهذا يكون أحفاد فيلون استطاعوا « ان يورثوا الإسلام تركة فيلون اليهودي »<sup>3</sup>.

وذلك في محاولتهم تفسير القرآن تفسيراً رمزياً بعيداً كل البعد عن معناه الحقيقي، ليستطيعوا ان يسيروا في مؤامرتهم نحو الهدف المنشود، وطبقوا في سبيل ذلك مبادئ الفلسفة

<sup>1</sup> اخذت الألقاب من كتاب: الغزالي ، فضائح الباطنية ، راجع: محمد على قطب ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، 2001م.

<sup>2</sup> انظر: محمد احمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص 30 .

<sup>3</sup> أجانس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر:محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، دار الكتب الحديثة، مصر ، ص 156 .



الافلاطونية الحديثة على اكثر عقائد وشرائع الإسلام، وأوهموا الإنسان العادي ان في فهمه الباطني لشرائع الإسلام ارتقاء الى المعرفة والسمو.<sup>1</sup>

ان المتتبع لسيرة هؤلاء اليهود يرى بأنهم يسيروا على درب واحد عاملين على تأويل وتحريف العقائد الاسلامية واتخذت الباطنية قوله تعالى: « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا»<sup>2</sup>. ذريعة لتفسيرها الرمزي ووسيلة لتشر مبادئها ، و هذه التفسيرات لاعلاقة لها بالإسلام وإنما هي نوايا خبيثة تهدف الى تشويه العقائد الشرعية.

فالإسلام دين واضح سهل لا رموز فيه ولا الغاز، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك المسلمين على المحجة الواضحة ليلا كنهارها، فكل من حاد عن هذا السبيل فإنما اعرض عن الصراط المستقيم، وتفرقت به السبل، حتى خرج بعضهم عن طريق الإسلام، ومن ذهب هذا المذهب او قريباً منه فلا يمكن ان يعد من المسلمين ولا ان ينسب قوله الى أقوال أهل الإسلام.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الرجوع السابق، ص32.

<sup>2</sup> - القرآن الكريم: سورة نوح الآيات 10 11 12.

<sup>3</sup> - انظر: المرجع السابق ، ص 35 .

المبحث الثاني: الأثر الفكري والسياسي والاجتماعي للحركات الباطنية في العالم الإسلامي.

### 1 اثر الحركات الباطنية على الناحية الفكرية:

لقد جعلت الباطنية نفسها إتجاها دينيا وفكريا ساتراً لتوجهها السياسي الهادف لإسقاط وطمس الخلافة الإسلامية وحل محلها الإمامة الشيعية ووسيلتهم هي انهم جعلوا لانتمهم من نسل علي بن ابي طالب صفات تجعلهم في رتبة الجلال والتقديس والالوهية وأضافوا ركنا سادسا لأركان الإسلام الخمسة وهو الولاية أي موالات الأئمة وعدم مخالفتهم. وهكذا نشأت انظمة سرية تعمل على نشر الآراء الدينية الفكرية الجديدة بين الناس.<sup>1</sup>

وبهذا تكون تلك الحركات الباطنية الشيعية «عبارة عن دعاية خفية مستترة أكثر مما هي مقاومة مكشوفة وهذا ما جعلها مخالفة لغيرها من الفرق، وهي دعاية يحيط بها جو من الاسرار و تغشاها اساليب من المكر و المراوغة».<sup>2</sup>

عندما ظهر المذهب الشيعي في القرن الرابع الهجري جلب معه الكثير من الأفكار الشرقية القديمة ليجعلها في مكان الأفكار الإسلامية» فالضلال لم يتفشى في العالم الإسلامي بقدر ومثل ما تفشى بسبب الفرق الشيعية وما غير السنن الا الم شيعيون الذين دخلوا الإسلام لهدمه وتقويض أركانها».<sup>3</sup>

عملت الباطنية على شحذ نفوس أولئك الذين نافقوا الإسلام بان يظهروا عقائدهم ومذاهبهم و يفتحوا الطريق للزندقة والفلاسفة و الصابئة، كما كان للباطنية أثر على الصوفية من خلال أفكارها و عقائدها الفلسفية.

بالإضافة الى ذلك فان من اقوى المؤثرات الفكرية التي ساعدت الفكر الباطني على الانتشار، دعوى الاسماعيلية وأتباعها بوحدة الأديان، فهم في سبيل الوصول الى غايتهم المرية كانوا يظهرون للناس في اثواب مختلفة و يكلمون كل شخص بلغة خاصة، مما

1 - المرجع نفسه، ص438.

2 - أجناس جولد تسيهير ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ص180.

3 - المجذوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بأفريقية الى القيام الدولة الزيرية الدار التونسية ، 1976 ، ص183.

صادف هوى في نفوس بعض افراد وجماعات تبغض الاسلام و المسلمين فوجد هولاء في الباطنية الإسماعيلية كل ما يهدفون اليه من هدم للإسلام وتقويض لأركانه.<sup>1</sup> ان غاية الحركة الباطنية هدم الفكر الإسلامي واستبداله بالفكر الوثني وهذا ليس في القرون القديمة فقط بل حتى في وقتنا الحالي و دليل ذلك ما تقوم به الإسماعيلية في المراكز التي تدعو للإسلام ظاهراً وهدمه باطناً.

## 2 اثر الحركات الباطنية على الناحية السياسية:

ان نتيجة الجهود التي قامت بها الحركة الباطنية على المستوى السياسي تمثلت في ميلاد الدولة الفاطمية التي زعم حكامها بأنهم من آل البيت ولهم الأحقية في الإمامة، ولكن بسبب اثارهم للفتن بين السنة والشعية انكشف امرهم.

لقد استطاعت الحركات الباطنية من جعل فجوات داخل النظام السياسي للعالم الإسلامي تمكنا من خلالها الصليبيين النفاذ الى داخله» ولما تحرك الصليبيون صوب الجنوب كانت سياستهم التقليدية تقوم على مخالفة الفاطميين الشيعة بمصر لمناهضة الخلفاء العباسيين والترك السنينين<sup>2</sup>.

تحالف الصليبيين والحشاشين ضد المسلمين لان الحشاشين عرفوا بالقتل وهذا ما كان يبحث عنه الصليبيين و ما يدل على ذلك قتل مودود قائد الجيش الإسلامي.

وزاد من نفوذ الباطنية interne في بلاد الشام اعتناق رضوان ملك حلب للمذهب الباطني و عطفه على أتباعه فاستغل الباطنية تلك المكانة و اخذوا يباشرون أعمالهم الإجرامية ضد زعماء المسلمين.<sup>3</sup>

وما اتسمت به سياسة رضوان الباطنية أسهمت الى حد كبير في توطيد ملك الفرنج

في الشام.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الرجوع السابق ، ص439.

<sup>2</sup> - ستيفن نيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، تر: د السيد الباز ألعريني دار الثقافة و بيروت ، 1968 ، ص33.

<sup>3</sup> - انظر: محمد احمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص446.

ان النزعة التي عرف بها نور الدين وصلاح الدين اللذين عملا على توحيد الاسلام ومناهضة الباطنية جعل هذه الأخيرة تتحالف مع الصليبيين ضدهما وانضم اليهم الحشاشين اللذين هاجموا نور الدين و حاولوا في مرات عديدة اغتيال صلاح الدين الأيوبي، وهذا يدل على الفتن السياسية التي أحدثتها الحركة الباطنية في العالم الإسلامي.

عرف العالم الإسلامي العديد من الثورات التي كان يمهد لها الشيعة ومن بينها ثورة القرامطة الإرهابية التي أحدثت فراغا في صفوف المسلمين وما كان يحدث في القديم يحدث الآن « فقد جهد الاستعمار الأوروبي ليجد أسلحة يهد بها الإسلام و يسيطر على المسلمين ويبدو ان الإسماعيلية كانوا احد هذه الأسلحة فإذا بإمام اسماعيلي يظهر من جديد يساعد الانجليز ويساعده الانجليز، يتيح له الانجليز أن ينشر مذهبه بين مسلمي مستعمراتهم ويضمن لهم هو ان يخضع أتباعه لهم»<sup>2</sup>.

### 3- اثر الحركات الباطنية على الناحية الاجتماعية

ان الثورات التي عرفتها الخلافة العباسية بسبب الحركة الباطنية جعلت أخطار كبيرة تنتخر المجتمع الإسلامي والتي تتمثل في الارتباك الفكري الذي خلف انحلال اجتماعي وانعدام الثقة بين افراد الأسرة وبين أفراد المجتمع، ولعب الدور الكبير في هذه الاخطار القرامطة و الحشاشين اللذين سيطروا بافكارهم على عقول الشباب، كما ان حالة الفقر التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي ساعدت الحركة الباطنية على استغلالهم. «فعملت على إشباع شهواتهم الجنسية و المالية و خاصة لذوي النفوس المريضة منهم مما سهل الامر على الحركة الباطنية ان تستغلهم ابشع استغلال وهذا ما هو واضح عند القرامطة والحشاشين على وجه الخصوص»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص206.

<sup>2</sup> - د: احمد شبلي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج2 ، ص ص 189 190 .

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص441.

« بلغ التعفن الاجتماعي اقصى مداه حيث عمد الشيعة الى انزال الويلات بالناس فجاروا عليهم جوراً شديداً و تعللوا على اموال الناس من كل جهة و قد أصاب الناس على ذلك طاعون شمال إفريقيا، وما والاها الى مصر سنة 307هـ، نشأ قصعا عما يعاني الناس من انهيار اجتماعي زاده الفقر استفحالا والمجاعة تعفنا<sup>1</sup> .

لقد تمكنت الباطنية من سلب عقول الناس وساد المجتمع الهلع والخوف واصبح الأب لا يثق في ابنه ولا الأخ في أخيه و انتشار محاولات الاغتيال في صفوف العلماء والمفكرين حيث قاموا بقتل زين الإسلام ابا سعد محمد بن نصر الهروي و قتلوا سنجر بن ملكشاه صاحب خراسان، وهدف الباطنية بكل فرقها السيطرة على المدن الإسلامية و تبقى مصدراً خطيراً للانحلال الاجتماعي. *decadence sociale*.

<sup>1</sup> - عبد العزيز المجذوب ، الصراع المذهبي في إفريقيا، ص 237.

### المبحث الثالث: تأثير الحركات الباطنية على المذاهب.

إن نشأة الباطنية في العالم الإسلامي عرفت ظهور العديد من الفرق منها ما يتفق مع الشيعة ويتستر ورائها لكي يذر الفتن ضد الإسلام والمسلمين ويدخل إليه تعاليم أفلاطونية وهندوسية ونصرانية ويهودية، ومنها ما لا يتفق مع الشيعة وهي الفرقة الإسماعيلية.<sup>1</sup>

#### 1- الإسماعيلية :

دارت حول الإسماعيلية العديد من الدراسات التي جعلت منها موضوعا معقدا تعددت وتنوعت حوله الآراء حيث أصبح من الصعب رسم صورتها «بعض المؤرخين يذهبون إلى أن الحركة الإسماعيلية حركة إصلاحية اجتماعية اقتصادية سياسية تنطلق من الدين وتستمد عقائدها الباطنية وفلسفتها من القرآن الكريم ومن تعاليم النبي (ص) وإرشادات الأئمة الأطهار من آل البيت نرى في الوقت نفسه هولاء ينسبون إليها تعاليم وآراء وأفكار يستحيل أن يطمئن إليها الباحث المنصف، كما أنهم يذهبون إلى أن الإسماعيلية حركة إباحية تعمل على تحليل ما حرم الله وتهدف إلى تقويض دعائم وأركان الدين الإسلامي لأنها تتادي برفع التكاليف الدينية، تدين بالتناسخ والحلول والتلاشي وشيوعية المرأة واللواط»<sup>2</sup>.

إن العديد من الباحثين يرجع أساس الإسماعيلية لأبي الخطاب حيث وصل بهم التأكيد إلى درجة أنهم لا يفرقون بين الخطابية والإسماعيلية، وكان لميمون القداح وابنه عبد الله دورا بارزا في نشأة الإسماعيلية وكانت بداية نشأة هذه الحركة في العراق. الحقيقة أن جذور الإسماعيلية نجدها في شخصيتين قياديتين خطيرتين شخصية إسماعيل بن جعفر

<sup>1</sup> الإسماعيلية: سميت هذه الفرقة بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي يعتبرونه أحد أئمتهم وقد توفي في حياة أبيه، وهنا اختلفت الإسماعيلية مع الشيعة اثنتي عشرة فالإسماعيلية اعتبروا إسماعيل الأحق بورثة أبيه في الإمامة كونه الابن الأكبر وأنكروا موته، أما الإثني عشرية فقد نقلوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى (الكاظم) وهو الإمام السابع عندهم.\*

\*أسامة شحادة، هيثم الكسواني، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص102.  
<sup>2</sup> مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص65.

وشخصية أبي الخطاب اللذين سعيا معا لتأسيس حركة تتخذ من التشيع طريقا سهلا للخروج عن تعاليم الإسلام وهدمها<sup>1</sup>.

ومما قال به الباحثين أن الإسماعيلية امتداد للخطابة مستدلين بتحول أتباع أبا الخطاب بعد وفاته إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر معلنين ولأنهم له. كما لا يمكننا أن نهمل أو ننسى الدور الذي قام به القداح في قيادة الحركة الإسماعيلية في دورها الأول وقال به القداح في قيادة الحركة الإسماعيلية في دورها الأول وقال البعض بأن القداح هو اسم مستعار لمحمد بن إسماعيل لتضليل العباسيين حيث اضطر أئمة الإسماعيلية إلى التستر في هذه الفترة خوفا من بطش أعدائهم.

عرف تأسيس الدولة الإسماعيلية العديد من المحاولات منها من باءت بالفشل ومنها من نجحت كالتي قامت ببلاد اليمن «فقد كان أحد أئمتهم وهو الحسين بن أحمد بن عبد الله يتحين الفرص لنشر دعوته، وقد رأى أن اليمن والمغرب هما خير البلاد التي يمكن أن يستجيب أهلها، والتي يجوز للدعوة أن تنتشر بين ظهرانيتهم وذلك لبعدهما عن أنظار الخلفاء العباسيين من جهة ثم لا مكان تأثر أهلها بهذه الدعوة من جهة أخرى، وكان الحسين بن فرج بن حوشب من كبار شيعته خير من يتوسم فيه للقيام بهذا الأمر وكان أن قدم إلى العراق خلال ذلك علي بن الفضل الخنفرى، فرأى من تشيعه وبكائه فوق قبر علي ما يضمن نجاح الدعوة أن هو ضمه إلى الحسن بن فرج، ولهذا تمكن من استمالته وتكليفه بالقيام بالدعوة مع الحسن بن فرج للإمام الإسماعيلي المنتظر»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص 58.

<sup>2</sup> أحمد حسين شرف الدين، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ط2، 1400هـ، ص 81.

لقد كان للإسماعيليين ما أراود في تأسيس دولة اليمن كما عرفت حركة إسماعيلية بالبحرين والكوفة لكن كانت تعرف باسم القرامطة إلا أن تعاليمها كانت تعاليم ومفاهيم الإسماعيلية وكانوا أسباب الفتن في تلك الفترة وخلعوا الطاعة عن الأئمة الإسماعيليين.

كانت الإسماعيلية تشكل خطر على الإسلام فاتخذتها بريطانيا وسيلة لوقف انتشاره حيث: أن الإسماعيلية منذ سنة 1233 هـ يحاولون الامتداد والدعوة لمذهبهم على حساب الإسلام في كثير من البلاد التي يجهل أهلها تعاليم الإسلام الصحيحة، وكل هذا كان بتشجيع من الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا، الذين رأوا في الإسماعيلية وسيلة توقف خطر الإسلام عنهم، لذلك نرى الإسماعيلية تتوغل في بلاد أفريقية وآسيوية عديدة أهمها: كينيا وأوغندا وسيلان وبورما مفتحة في سبيل ذلك المراكز الضخمة في دار الإسلام عاصمة كينيا وفي كمبالا عاصمة أوغندا<sup>1</sup>.

لم تكن الدول الإفريقية لوحدها التي عرفت غزو الإسماعيلية بل حتى الدول العربية عرفت الدعاية الإسلامية حيث كان يروج إليها كتاب عرب بأن هي التي تحمي الإسلام.

كان علماء الإسماعيلية يدركون بان الباحثون سيجدون مشقة في فهم فلسفتهم ورموزهم ومصطلحاتهم فقالوا: «إن لنا كتبا لا يقف على قراءتها غيرنا، ولا يطلع على حقائقها سوانا، ولا يعلمها الناس إلا من قبلنا ولا يتعلم فك رموزها ومدلول إشاراتها إلا من علمناه ولا يعرف صور حروفا إلا من عرفناه»<sup>2</sup>.

إن ما قال به الإسماعيليين دليل على صعوبة دراسة رموزها ودراستها هي في ذاتها نظرا للغموض والصعوبات التي تكتنفها فهي تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير لفهم أصولها

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 82.

<sup>2</sup> مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، ص 67.



وفروعها كما ذكر علماء الإسماعيلية في كتبهم الفلسفية بأن مذهبهم قديم قدم الوجود ومنهم من يرى بأنها من عهد إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

ومما عرف عن الإسماعيلية الذكاء والدهاء وهذا ما ساعد على اتساع رقعة حركتهم «إن المطلع على أساليب الإسماعيلية وطرقهم السيكلوجية الدقيقة التي كانوا يستعملونها إما لاستمالة الناس إلى مذهبهم وإما للتسلط على إرادتهم وإبقائهم تحت طاعتهم التامة ليعجب جدا من مهارة هؤلاء الناس ومعرفتهم الكاملة للنفس الإنسانية»<sup>1</sup>.

هذه هي الطرق التي كان يستعملها الإسماعيليون في استدراج الناس كما أنها ساعدتهم في نشر مذهبهم ومبادئهم وسخروا الناس لقضاء أغراضهم ومصالحهم بكل فرح وسرور مضحين من أجل الزعيم .

إن الكتب التي ألفها الإسماعيليون كان لها الفضل الكبير على فلاسفة الإسلام وغيرهم لأنهم أخذوا منها نظرياتهم وأفكارهم. «الفلسفة مديونة لهم برسائل إخوان الصفا وهي أول دائرة للعلوم والمعارف فظهرت في العالم وقد حاولوا أن يبنوا فيها مبادئهم العلمية ونظرهم الخاص إلى الطبيعة والإنسان وينشروا فيها آراء فلاسفة اليونان الذين كانوا في نظرهم من درجة الأنبياء أو أعلى»<sup>2</sup>.

في المقابل نجد خصوم الإسماعيلية يقولون عنهم بأنهم استعملوا القسوة والقتل ووسائل عديدة للإبادة من أجل الوصول إلى غاياتهم ودليلهم في ذلك بأن بعض الإسماعيليين الذين استعملهم الأمراء والسلاطين في أعمالهم الانتقامية البشعة «إن ضرر الإسماعيلية على الإسلام أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر

<sup>1</sup> بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط2، 1981، ص 125.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 150.

أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان.. ولأن فضائح الباطنية أكثر من عدد الرمال والقطر»<sup>1</sup>.

### عقائد الإسماعيلية :

يذهب بعض المؤرخين إلى أن الإسماعيلية تأخذ تعاليمها من القرآن الكريم والسنة النبوية وفي المقابل هناك من يرى بأنها تحل ما حرم الله وذلك عن طريق رفع التكاليف الدينية ولكن ربما يرجع ذلك إلى الصعوبة التي يجدها المؤرخ والباحث في فهم فلسفتهم وإشاراتهم الباطنية، وسنقف على حقيقتها من خلا عقائدها.

### 1- عقيدتهم في الألوهية والتوحيد:

نفث الإسماعيلية صفات الله سبحانه وتعالى الواردة في القرآن الكريم متحججين بعجز العقل الإنساني عن إدراكها. إذ هو قاصر عن إدراكها نظرا لعظمته وجلاله وفي هذا الشأن يقول أحمادي : «فلا يقال عليه حي ولا قادر ولا عالم ولا عاقل ولا كامل ولا تام ولا فاعل لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات»<sup>2</sup>. من هذا القول للحمادي فإننا نراه ينفي الصفات الإلهية السالفة الذكر وغيرها عن الله سبحانه وتعالى.

لقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»<sup>3</sup>. وهذه الآية تتخذها الإسماعيلية حجة ودليل على أن تلك الصفات هي مجرد حدود روحانية وقام الله سبحانه وتعالى بإبداع العالم ولم

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 156.

<sup>2</sup> أنظر: محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص 85.

<sup>3</sup> القرآن الكريم سورة الأعراف، الآية 180.

يخلقه (رأي الإسماعيلية) وهذا ما يتفق مع الفلسفة الأفلاطونية الحديثة حيث يستبدل الإسماعيلية الفيض بالإبداع.

وانطلاقا مما عرضناه نصل إلى نتيجة وهي أن: معرفة الله عند الإسماعيلية تقوم على اعتبارين الأول تجريد الله وتنزيهه عن أسمائه وصفاته والثاني أن توحيده يعني معرفة حدوده<sup>1</sup>.

ويظهر جليا تأثر الإسماعيلية بالفلسفة اليونانية حيث اقتبس الإسماعيليين نظرية الفيض وترجموها في نظرية مراتب الموجودات ونفس الشيء بالنسبة للأعداد التي صبغوها بالصبغة الإسلامية حسب عقيدتهم.

## 2- عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة :

إن ما يجمل لنا عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة ما يلي: «الوحي عند الإسماعيلية بعيد كل البعد عن الحقائق والأخبار التي وردتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قائم على اعتقادهم بأن العقل وليس الله هو مدبر هذا الكون وهو مرسل الوحي إلى الأنبياء، وعلى هذا فهم يزعمون أن الوحي هو ما قبلته نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من العقل وقبله العقل من أمر باريه والنبوي عندهم عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق - بواسطة التالي - قوة قدسية صافية وينبغي على النبي - كما يزعمون - قبل أن يصل إلى مرتبة النبوة أن يمر بمرتبة الولي أو (الولاية) لأنه يجمع في نفسه الصفات الثلاث: الولاية والنبوة والرسالة»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 86.

<sup>2</sup> أنظر نفس المرجع، ص 96.

## 3- عقيدتهم في الولاية وأئمة الستر وأئمة القيامة وعصمتهم:

جعلت الإسماعيلية الإمامة محور عقائدها وولاية الإمام أولى دعائم الإسلام وأساس أركان الدين وألّفوا فيها كتب كثيرة لأنها عندهم أقوى دعائم الإسلام وطاعة الإمام أمر واجب على كل واحد فهم أعلى خلق الله وطاعتهم من طاعة الله ورضاهم من رضاه وسخطهم من سخطه وهذا لا يقتصر فقط على الإسماعيلية بل حتى الشيعة لأن الإسماعيلية ما هي إلا فرقة من فرق الشيعة.

جعل الإسماعيلية مكانة عالية ومرموقة لئلا يدرجهم إلى درجة أنهم أخرجوهم من دائرة البشرية وصفاتهم ليست من صفات البشر رغم أن من داخل الإسماعيلية هناك من ينادي بإعطائهم مكانتهم الحقيقية كغيرهم من البشر.

حصر الإسماعيليين الدين في زمرة الأئمة فقط دون غيرهم وعلوم الباطن من اختصاصهم لوحدهم ومعرفة الإمام شرط من شروط الولاية ومرتبته الإمامة يسمونها مرتبة الاستقرار، ونظرا لتغير الظروف الاجتماعية والسياسية جعل الإسماعيليين الإمامة تتغير بين الأشخاص.

## 4- عقيدتهم في اليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار:

اختلف العلماء حول إيمان وإنكار الإسماعيلية بالتناسخ ويوم القيامة فمنهم من قال بأنهم ينكرون يوم القيامة ويؤمنون بالتناسخ وهذا ما نجده عند شيخنا أبو حامد الغزالي في قوله الذي أورده في كتاب فضائح الباطنية «وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الإنسان من نطفة والنطفة من إنسان، وتولد النبات. وأولو القيامة وقالوا إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد. ولا الجنة والنار ولكن قالوا: معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله وزعموا

أن نفوس المعاندين لمذهب الإسماعيلية تبقى أبد الدهر في النار، على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان فلا تزل تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسدا إلا ويتفاجأ آخر»<sup>1</sup>.

وهناك علماء أنكروا على الإسماعيلية إيمانها بالتناسخ مستدلين في ذلك بكتب بعض دعاة الإسماعيلية حيث كانوا يخفوا أرائهم في هذا الموضوع حتى لا يكون مصيرهم مثل مصير الذين قاموا بتأليه الحاكم بأمر الله. وموقف الإسماعيلية الحقيقي في هذه المسألة هو «من يطلع على الكتب الإسماعيلية التي كتبت في دور الستر يجد أن الإسماعيلية قالت بالتناسخ وأنكرت البعث والجنة والنار»<sup>2</sup>.

وما يثبت إيمانهم بالتناسخ كذلك هو نظرية الدور التي يقولون بها والتي في أصلها تقوم على التناسخ وذلك في قولهم بفناء الأنبياء وانتقال أرواحهم إلى أجسام أخرى.

## 2- الدور<sup>3</sup>:

عرف العصر العبيدي بداية اشتقاق الدور عن الإسماعيلية في بلاد الشام بأفكار ومبادئ مختلفة عن مبادئ وأفكار الإسماعيلية وهذا المذهب عرف انتشار كبير على يد أحد دعاة تأليه الحاكم بأمر الله محمد ابن إسماعيل الدرزي الذي يقوم عليه المذهب .

إن طائفة الدور قامت بتأليه الحاكم بأمر الله الذي تولى الحكم في سن مبكرة والذي قام بإعداد مركز الاعداد وتوجيه دعاة الإسماعيلية واتخذ فيه الاتجاه الفلسفي، والتف حوله العديد من دعاة الإسماعيلية الملاحدة مادحيه بالاولوهية حتى أخذ مكانة كبيرة بينهم حيث

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي فضائح الباطنية، ص ص 44 46.

<sup>2</sup> المرجع الأسبق، ص 112.

<sup>3</sup> الدور: فرقة إسماعيلية باطنية ادعت ألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وهم يعتبرون أنفسهم ومنذ ألف سنة مضت في دور الستر وهم شديدي التكم على عقائدهم ولا يعبرون عنها إلا بطريقة الرمز والكتابة كأسرار الماسونية وطريقة الجمعيات السرية، حفظا على كتم أسرارها من الافتضاح.

قال عنه ابن تغري بردي « وكانت خلفته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء وكان الغالب عليه السخاء، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط، وأقام يلبس الصوف سبع سنين وامتنع عن دخول الحمام، وأقام سنين يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة وقتل من العلماء والكتاب والأمثال ما لا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعوية وعمر بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وتلثمائة ثم محاه في سنة سبع وتسعين»<sup>1</sup>.

من خلال وصف ابن تغري للحاكم وغيره من المؤرخين يجمعون على أن الحاكم كان شاذًا نفسيًا ظالم ميالًا قاسيًا ذو سيرة عجيبة ورغم قساوة شخصيته إلا أن ابن المشجر زرع قلبه عندما قرأ عليه قوله تعالى «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولوا اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز»<sup>2</sup>.

إن سلوك الحاكم المتناقض والشاذ إنما كان بتأثير فكرة الألوهية وإن كل ما صدر عن الحاكم بأمر الله من أعمال وأقوال إنما كان بدافع واحد هو تأليهه، لذا فإن ارتباط الحاكم بهذه الدعوة أمر غير قابل للنقاش لا من الناحية التاريخية ولا من الناحية الموضوعية.<sup>3</sup>

رغم انشقاق الدروز عن الإسماعيلية إلا أن المتفحص لمبادئ الدروز سيجدها في الباطن إسماعيلية وحتى الحاكم وأتباعه كتموا ذلك بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولتهم فكانوا يتظاهروا بأنهم مع المسلمين في حضرتهم ومع اليهود في حضرتهم كذلك وإنما في حقيقة الأمر كانوا لا يحبون أحد من أبناء الأديان.

<sup>1</sup> أنظر محمد احمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 202.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 71 72.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 211.

وعن تناسخ الأرواح فهم يؤمنون به وينكرون الجنة والنار ويقولون بأن القرآن هو ليس من عند الله بل من عند حمزة .وهذا النوع من الاعتقاد بقي لفترة طويلة.

عقائد الدرور:

### 1- دعوى ألوهية الحاكم عندهم ونظرتهم للاهوت والناسوت :

تدعوا طائفة الدرور إلى تأليه الحاكم لأنه لا يمكن لأي إنسان إدراك حقيقته وهذا ما نجده في كتب الإسماعيلية ،والإله عند الدرور واحد لا يتغير واطهر ناسوته في الأدوار السبعة التي تقول بها الإسماعيلية في الأئمة عشر مرات .وهذا اعتقاد واجب عندهم على كل من ينتمي لطائفة الدرور وما يثبت ذلك القول التالي:«ويجب معرفته تعالى في المقامات العشرة الربانية وهم العلي والبار وأبو زكريا وعليا والمعل والقائم والمنصور والمعز والعزير والحاكم وكلهم اله واحد لا إله إلا هو فالعلي الأعلى ...لم يكن قبله شيء وظهر في أول الدنيا ثم البار ...وظهوره في أواخر أدوار الدنيا ...ثم بعد غيبة مقام البار سبحانه وتعالى ظهر آدم ألجزي ...وأما ظهور أبي زكريا وعليا والمعل ،وكان بإمامة مستورة في دور محمد بن إسماعيل ،ثم بعد سعيد المهدي ظهر البار سبحانه في مقام القائم والمنصور والمعز والعزير وذلك في الخلافة الظاهرة والإمامة الباطنة .وأما مقام الحاكم فظهر بالثلاث منازل المذكورة ،ثم تجرد بالوحدانية وكشف توحيد مدة من السنين»<sup>1</sup>.

وفي اعتقاد الدرور أن الناسوت لا ينفصل عن اللاهوت ولا يمكن للإنسان يدرك اللاهوت لذلك يتجلى الله في الناسوت فيدركه الإنسان وهذا دليل على أن الدرور يؤمنون بظهور الله في شخص إنسان لأن هذا الأخير هو أسمى المخلوقات وبالتالي يتجلى الله في

<sup>1</sup> انظر :محمد احمد الخطيب ،الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،ص 225.

صورته .والفائز عندهم من يقر بأن الإله المعبود لا يوجد في السماء ولا في الأرض وإنما هو مولانا الحاكم.

إن الحاكم عند الدروز ليس له أب أو أم فهو بعيد أن يكون ابن فلان أوعلان وهذا ما توضحه إحدى رسائل حمزة في التوحيد والتي جاء فيها ما يلي:«فالحذر الحذر أن يقول واحد منهم بأن مولانا جل ذكره :ابن العزيز أو أبو علي ،لأن مولانا سبحانه هو في كل عصر وزمان يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية كيف يشاء حيث يشاء ...إلى أن يقول وهو سبحانه لا تغيره الدهور ولا الأعوام ولا الشهور وإنما يتغير عليكم بما فيه صلاح شأنكم وهو تغيير الاسم والصفة لا غير...وأما من قال واعتقد بأن مولانا جل ذكره سلم قدرته ونقل عظته إلى الأمير علي<sup>1</sup>...فمن منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه ويستقل منه ويستغفر المولى جل ذكره...فلا يجوز لأحد يشرك في عبادته ابنا ولا أبا ولا يشير إلى حجاب يحتجب مولانا جل ذكره فيه إلا بعد أن يظهر مولانا جل ذكره أمر...فحينئذ لا مرد لقضائه»<sup>2</sup>.

إن هدف الدروز من كل هذه الاعتقادات وغيرها وهذا التشديد على الناس المنتمين لمذهبهم هو الإسلام لكن هيهات أن يكون لهم ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم في سورة الأنفال «و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»<sup>3</sup>.فقد كسر الله شوكتهم وأضعف قوتهم وشتت شملهم في العديد من البلدان التي نشروا فيها مذهبهم ومعتقداتهم.

## 2- عقيدتهم في تناسخ الأرواح :

<sup>1</sup> الأمير علي هو ولي عهد الحاكم وابنه والذي تسمى ب الظاهر .

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص 234.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة الأنفال ،الآية 30.



الدروز يؤمنون بتناسخ الأرواح حيث تنتقل الروح من جسم إلى جسم والنفس البشرية لا تموت وإنما الذي يموت هو الجسم، وفي المقابل طائفة الدروز لا تؤمن بالمشخ أي أنهم ينكرون بأن تنقل روح إنسان إلى حيوان.

العذاب عند الدروز يأخذ منحى تنازلي أي ينتقل الإنسان من درجة إلى درجة أدنى والثواب يأخذ منحى تصاعدي حيث يرتفع من درجة إلى درجة، والنفس تتطهر أثناء دورانها والنفس الشريرة تبقى معذبة بنزولها من منزلة إلى منزلة وهذا جاء بعد فهمهم الخاطيء للآيات القرآنية التالية: قال تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم يرجعون»<sup>1</sup>. وقوله تعالى: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون»<sup>2</sup>. وقوله تعالى: «إن الذين كفروا بائتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم، بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما»<sup>3</sup>.

إن التناسخ كان سائد في الديانات التي كانت قبل الإسلام إلا أنه عندما جاء نفى وجود تناسخ الأرواح لأن الله سبحانه وتعالى يرسل الملكين للإنسان بعد وفاته يسألانه في قبره وأصحاب الدروز أساء فهم تلك الآيات القرآنية واتجاهه بعد مسألته وضحه الله تعالى في سورة الواقعة في قوله: «فلولا إذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا أن كنتم غير مدنين ترجعونها إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 27.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 18.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 55.

<sup>4</sup> القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآية 86-99.

وليس هذا فقط بل أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن كل عضو من أعضاء جسمنا شاهد علينا وينطقه الله فيقدم شهادته فينا وذلك في سورة فصلت وذلك في قوله تعالى: «يوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون»<sup>1</sup>.

إن التناسخ باطل من الناحية الدينية وهذا بدليل ما أجمعت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن الناحية العقلية فهو باطل كذلك بدليل أدلتهم قامت على حدوث العالم والحادث له نهاية أما من الناحية الأخلاقية فهو باطل كذلك بدليل تنوع الأخلاق وهذه الأخيرة محمولة على النفس وهذه الأخيرة متنوعة بدورها وهذا ما يبطل انتقال النفس من بدن إلى بدن وهذا دليل على بطلان التناسخ من كل الأوجه.

### 3- عقيدتهم في اليوم الآخر والثواب والعقاب:

وما دام الدروز لا يؤمنون بموت الأرواح والبعث ويؤمنون بالتناسخ فهم لا يؤمنون بيوم القيامة وليس هو اليوم الآخر وإنما اليوم الآخر ويوم الحساب هو في ظهور الحاكم بأمر الله وله علامات خاصة محددة له وهذه العلامات يصورها مصحف الدروز «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصارهم أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين لقد نسي هؤلاء هذا اليوم وقد وقع لهم، ووقعوا فيه وهم لا يشعرون وككبوا على وجوه قبلتهم حتى غشيتهم الغاشية أو لم ير هؤلاء كيف مدلهم مولانا الحاكم الحياة أمد الآن حصص الحق»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية 18-21.

<sup>2</sup> انظر: محمد احمد الخطيب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص 249.

إن رسائل طائفة الدروز تحمل الكثير من السخرية للجنة والنار معتبرين الغيبيات أمور معنوية لذلك لا يمكنهم أن يؤمنوا بها وإنما اليوم الآخر عندهم محدد بالتاريخ وذلك ما ورد عندهم في العديد من الرسائل المخطوطة، وهذا اعتقاد خرافي دخيل على الإسلام الهدف من ورائه زعزعة أركان الإسلام لأنهم يدركوا جيدا الترابط بين الإيمان بالله واليوم الآخر وذلك ما نجده في قوله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین واتى المال على حبه ذوی القربى والیتمی والمسکین وابن السبیل والسائلین وفي الرقاب وأقام الصلوة واتى الزکاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصبرین في البساء والضراء وحين البأس أولئک الذین صدقوا وأولئک هم المتقون»<sup>1</sup>. وعن الثواب والعقاب في اليوم الآخر يقول «اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»<sup>2</sup>.

#### 4- إسقاطهم أركان الإسلام :

قامت طائفة الدروز بتشويه صورة الإسلام بكل الوسائل المتاحة لها انطلاقا من تأليه الحاكم والتشكيك في الشريعة وأركان الإسلام الخمسة مستدلين بخصال سبعة توحيدية وهي «...أولها وأعظمها صدق اللسان وثانيها حفظ الإخوان وترك ما كنتم عليه تعتقدون من عبادة العدم والبهتان ثم البراءة من الأبالسة والطغيان ثم التوحيد لمولانا جل ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان ثم الرضى بفعله كيف ما كان ثم التسليم لأمر في السر والحدثان

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 177.

<sup>2</sup> القرآن الكريم سورة الحديد، الآية 19.

فيجب على سائر الموحدين والموحدين حفظ هذه السبع خصال والعمل بها وسترها عن من لم يكن من أهلها»<sup>1</sup>.

إن الباحث في باطن هذه العقيدة فحتمًا سيجدها مما تقول به عقائد الإسماعيليين وقاموا بربط أركان الإسلام بالحاكم ورضعهم من ذلك هدم الشريعة الإسلامية وحتى في العصر الحالي لم تتغير أهدافهم وهذا ما نجده عند جنبلاط الذي لا يعترف بالقرآن الكريم وينكره.

المنتبع لرسائل الدروز سيلاحظ حتمًا أنهم يرسمون هدف واحد وهو تشويه الإسلام وإنكار الرسل زاعمين بأن الإسلام هو عدوهم.

#### **5- عقيدتهم في الأنبياء:**

أنكر الدروز وجود الأنبياء لأنهم يدعون إلى عبادة إله لا تراه أعينهم كما أنهم ينسبون إليهم الجهل وأجازوا محاربتهم وقالوا - الدروز - بأن ما يأتي به الأنبياء عقائد فاسدة وديانات مضلة باعتبار أن الناطق والأساس هو إبليس والشيطان ويطلقون على الأنبياء أسماء شنيعة يستحي اللسان من ذكرها .ولم يسلم رسولنا صلى الله عليه وسلم من الكلام الفاحش في رسائلهم ووصل بهم الكذب إلى أن قالوا بأنه لم يبلغ الرسالة وأنه كافر مشرك منكرين نبوته.

لقد فهم الدروز الآية الكريمة من سورة المائدة التي يقول فيها الله تعالى «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعنكم

<sup>1</sup> المرجع الأسبق ،ص 276.

تلقون»<sup>1</sup> فهما خاطئاً حيث يقولون بأنها تقصد الخلفاء الأربعة فأطلقوا عليهم أشنع وأشنع الأوصاف والسب والشتائم.

ينكر الدرور بأن يكون آدم هو أول الخلق وأول البشر وأنه خليفة الله في أرضه لأن الله لا يمكن أن يخلق خليفته من تراب وإنما لابد أن يخلقها أسمى شيء في الوجود وحواء بالنسبة لهم ليست زوجة آدم.

بهذه النظرة الشريرة ينظرون إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نظرة الحقد والكراهية ويخصون بها نبي الإسلام وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم لأن رايته التي رفعها حطمت أحلام دعاة الإلحاد والوثنية، فلم يجدوا مفراً من الاحتماء تحت رايته ظاهراً ليتحينوا الفرص في نيل من هذا الدين الرباني<sup>2</sup>.

#### 6- شريعتهم في الأحوال الشخصية:

يعتبر الإسلام المصدر الأول والأساس الأول الذي أخذت منه شريعات الدرور ويظهر ذلك جلياً فيما حرفه حمزة فلمه فتوة خاصة في الطلاق عكس ما يقول به الدين الإسلامي ونفس الشيء بالنسبة للزواج حيث لا يجوز زواج الدرزي من غير الدرزية ولا زواج الدرزية من غير الدرزي ولا يجوز تعدد الزوجات، وعن المال المكسوب يجوز لصاحبه أن يوصي به لمن يشاء، والمال الموروث فلأولاده نصيب فيه.

#### 7- موقفهم من الأديان والفرق الأخرى:

عمل الحاكم بأمر الله على اضطهاد اليهود والنصارى مهدم كنائسهم رغبة منه ومن أهل الدرور في إجبار اليهود والنصارى على الإيمان بالدين الدرزي موهمين اليهود بأن

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 92.

<sup>2</sup> محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص 305.

المسيح هو حمزة بن علي وسيكون الفرج على يديه . وهم يعتقدون أن المسيح الذي صلب هو المسيح الكذاب .

اعتمد حمزة بن علي العديد من الطرق والوسائل ليتوحد لليهود والنصارى منها عن طريق الدولة الرومانية إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل .

### حكم الإسلام في الدروز:

إن ما يقول به إتباع هذا المذهب يجعلهم بعيدين كل البعد عن الإسلام والمسلمين لأن كل أعمالهم التي يرسمون عليها صورة سلمية في داخلها تكن الحقد للإسلام والمسلمين وهذه الحقيقة لا تعرفها العامة من المسلمين إلا الخاصة وقد أفتى شيخ الإسلام بن تيمية بأن الدروز كفار وليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى فهم مرتدون عن الإسلام لأنهم تركوا عبادة الله وأنكروا فرائض وشرائع الإسلام .

### 3- النصيرية<sup>1</sup>:

إن النصيرية تقول بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعتقدون بتناسخ الأرواح والتأويل بالباطن ففي نظرهم «أن الألوهية لها اسم ومعنى أي ظاهر وباطن فالظاهر هم أحرف معدودة تشير إلى أشخاص معلومة والمعنوية قد استقرت أخيرا في علي بن أبي طالب... فيجعلون حرف الميم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ويسمونه السيد الميم وحرف السين هو الباب وهو سلمان الفارسي والألف هو المقداد بن أبي الأسود

<sup>1</sup> النصيرية: هي إحدى الحركات الباطنية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري وهي تنسب إلى محمد بن نصير البصري النميري وهو فارسي الأصل ويكنى بأبي شعيب وكان محمد بن نصير من أصحاب الحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية الأثني عشرية وزعم ابن نصير أنه الباب إلى محمد بن الإمام الحسن العسكري أي وكيلًا وممثلاً له مرجعا للناس من بعده، ثم ادعى أنه رسول الله ونبي من قبل الله تعالى وأنه أرسله علي بن محمد بن الرضا ووجد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه وادعى بعد ذلك الربوبية وقال بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضا ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه أحد الشهوات والطيبات \*يوسف إبراهيم الشيخ، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، ص 97.

ويسمونه رب الناس .فالنصيرية يعتقدون أن علي ابن أبي طالب قد خلق محمدا ،ومحمدا خلق سلمان الفارسي ،وسلمان قد خلق المقداد ،والمقداد قد خلق الناس ولذلك يدعونه رب الناس<sup>1</sup> .

تدور العقائد الدينية للنصيرية حول الإمامة إلى جانب الرموز والإشارات والمصطلحات التأويلية الباطنية المستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية حيث يدور نظامهم الديني حول التثليث التالي ( ع،م،س) والمقصود بها علي بن أبي طالب ،ومحمد صلى الله عليه وسلم وسلمان الفارسي ،وحقيقة النصيرية يعكسها قول جولد تسيهر «فإن النصيرية انتسبت إلى الإسلام اسميا ،وهذا الإسلام الذي تمثله هذه الصورة المتخفية الساترة للوثنية الآسيوية القديمة التي أضافت إليها أيضا عندما تشكلت على هذه الصورة الكثير من العناصر المسيحية كقداس الأطعمة والنبذ وإحياء الأعياد الخاصة بالمسيحية وان الروح العامة لهؤلاء الناس قد احتفظت في الواقع بالتقاليد الوثنية التي كانت لأجدادهم وان غيرتها من الناحية الظاهرية البحتة وذلك عندما طبقها هؤلاء على الأوضاع الخارجية الجديدة التي للعبادات الإسلامية»<sup>2</sup>.

تعتبر الإمامة عند النصيرية أساس معتقداتها الباطنية إلا أن بعض نصوصهم تقول بأن الإمامة أصابها اضطراب بعدما اجتمع شيعة علي على إمام واحد ،وبالنسبة للتناسخ فهم يؤمنون به حيث تحل الأرواح الصالحة محل النجوم والأرواح الشريرة محل أجسام الحيوانات ويظهر اختلافهم في هذه المسألة في حلول علي بعدما ترك ثوبه الآدمي.

من خلال قوله تعالى : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقم الصلاة واتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

<sup>1</sup> محمد احمد الخطيب ،الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،ص 321.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ،ص 322.

تظهيرا<sup>1</sup> «أعطت النصيرية مكانة كبيرة ومميزة للإمام باعتباره مصدر الإرادة الإلهية في أفعاله وأقواله وله خصوصية عن باقي البشر. والإمام عندهم أعلى منزلة من النبي لأن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة جبريل، والأئمة يكلمون الله تعالى بغير واسطة ويأتيهم الإلهام الرباني والأئمة في اعتقاد النصيريين لا يولدون كغيرهم من بني البشر بل يولدون بكيفية خاصة لا يزاحمهم فيها غيرهم<sup>2</sup>.

النصيرية تكن الحقد والكراهية للصحابة معتبرينه م ظالمين أبالسة ويرمونهم بأشنع الأسماء خاصة عثمان وأبو بكر وعلي وفاطمة وعن صلاتهم فهي تختلف في الأداء والعدد مع العقيدة الإسلامية ونفس الشيء بالنسبة للزكاة فهي تختلف عندهم عن معناها عند المسلمين واحتفالهم بالأعياد فهم يختلفون بأعياد عديدة .

عرفت النصيرية توالي العديد من الزعماء بعد موت محمد بن نصير أنمري وهذه الفترة كانت بين الضعف والقوة وتعرضوا للهجوم من الأكراد.

وقامت فيما بعد محاولات كثيرة من زعماء المسلمين لإصلاح هذه الطائفة وإرجاعها إلى طريق الإسلام الصحيح وأول محاولة في ذلك قام بها صلاح الدين الأيوبي بعد دحره للصليبيين حيث حاول إصلاحهم ببناء المساجد وإقامة الصلاة والصيام وغيرها من الفروض الإسلامية فأطاعوه ولكن بعد وفاته عادوا إلى ما كانوا عليه من معتقدات وخرّبوا المساجد وجعلوها زرائب للحيوانات<sup>3</sup>.

كان لابن بطوطة هو كذلك رأيه فيهم عندما مر بالساحل السوري في ق 9هـ ويتمثل ذلك في قوله : «وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية الذين يعتقدون أن علي بن

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة الأحزاب ، الآية 33.

<sup>2</sup> يوسف إبراهيم الشيخ ، اثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ص 98.

<sup>3</sup> أنظر نفس المرجع ص 102.



أبي طالب إله وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون وكان الملك الظاهر ألزمهم ببناء المساجد بقراهم فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا عن العمارة ولا يدخلونه ولا يعمرونه وربما أوت إليه مواشيهم ودوابهم ،وربما وصل الغريب إليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له: لا تنهق علفك يأتيك بعد قليل <sup>1</sup>.

عرف النصيرية موجة إصلاح جديدة من قبل السلطان العثماني الذي أرجعهم إلى جبالهم وقام السلطان ببناء المساجد وإصلاح النصيرية لكنه لم يوفق في ذلك ونفس الشيء حدث مع إبراهيم باشا وضيا باشا في عهد السلطان العثماني عبد الحميد والذي امتثلوا لأوامره وعندما ترك منصبه عادوا إلى ما كانوا عليه.

أعجب النصيرية بالتسمية التي أطلقها عليهم الفرنسيون وهي "العلويين" لأنها خلصتهم من تسميتهم الدينية التاريخية التي ارتبط بها كل ما هو شنيع من كفر وذم وشتم.

#### **عقائد النصيرية :**

#### **1-دعوى ألوهية علي عند النصيريين :**

تدعوا النصيرية إلى تأليه علي رضي الله عنه فهم يزعمون أن الألوهية حلت فيه لأنها حلت في البشر من أول خليفة والألوهية عندهم أخذت سبعة ادوار «فالظهور الأول كان في هابيل ثم في شبت وكان آدم هو الرسول الناطق ،ثم انتقلت الألوهية إلى سام والنبوة إلى نوح وبعدها انتقلت الألوهية إلى إسماعيل والنبوة إلى إبراهيم ثم انتقلت الألوهية إلى هارون والنبوة إلى موسى ثم انتقلت الألوهية إلى هارون والنبوة إلى موسى ثم انتقلت الألوهية إلى

<sup>1</sup> محمد احمد الخطيب ،الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،ص 332.

شمعون الصفا المعروف عند النصارى ببطرس والنبوة إلى عيسى وظهر للمرة الأخيرة في علي بن ابي طالب والنبوة في محمد صلى الله عليه وسلم»<sup>1</sup>.

علي رضي الله عنه عند النصيرية يأخذ كل صفات الإله وان محمد صلى الله عليه وسلم فاض من نور علي وعن الظهورات الإلهية في البشر فقد فسروا الآية الكريمة «قل لو كان البحر مداد لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا»<sup>2</sup>. تفسيراً خاطئاً معتبرين أن الكلمات تمثل الظهورات التي ظهر فيها الله بالبشرية وهذا الظهور دليل على عدله وإنصافه وظهور الإله في البشرية ليس حقيقة وإنما الحقيقة في الربوبية لإظهار القدرة أي أن الصورة التي يراه البشر ليست حقيقة.

النصيرية تؤله علي وهذا اعتقادهم وليس تفريق لهم ودليل ذلك هو «اعلم يا ولدي إن السماء هي ذات علي بن أبي طالب هي الجنة الباطنة... واعلم أيضاً أن الشمس هي السيد محمد وهو كل نبي ظهر في العالم من قبة الجن إلى آدم وإلى محمد كما أخبر بذلك شيخنا وسيدنا أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي... واعلم أن القمر هو سلمان الفارسي وهذه الكواكب هي الملائكة الذين كانوا قبل العالم وهم سبع مراتب إحداها تغلوا الأخرى»<sup>3</sup>.

## 2- عقيدتهم في الثواب والعقاب :

إن النصيرية تؤمن بالتناسخ أي أن الروح عندهم تفارق الجسم بعد الموت وتنتقل لجسم آخر والثواب والعقاب عندهم لا يكون في الجنة والنار وإنما يكون في الدنيا . عند النصيرية هناك عالَمين عالم النور ويضم المخلوقات العليا أو النجوم وعالم الظلمة الذي يضم الأرواح التي ليست قمصان المسخوية في أدوار مسخها.

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص 341.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ، سورة الكهف الآية 104.

<sup>3</sup> انظر "المرجع السابق ، ص 345.

المرأة بالنسبة لهم لا يمكن أن تكون مؤمنة وإنما تكون في صورة كافرة ولا تكون مؤمنة إلا إذا قدر لها ذلك فتأخذ صورة رجل مؤمن لأن الشياطين حسب رأيهم من المرأة.

وتقصد الأرواح بالنسبة للمؤمن في نظرهم هو ارتقاؤه في الدرجات والمراتب حتى يخرج من هذه القمصان اللحمية ويلبس قمصان الأنواع وهي النجوم. فالنجوم هم المؤمنون والصالحون<sup>1</sup>.

يرى النصيرية أن الأشياء الجميلة التي لها مذاق لذيق وطيبة تحل للإنسان المؤمن والأشياء القبيحة التي لها رائحة نتنة وملس خشن فهي تحل للكافر الذي يحل فيه المسخ والنسخ ومسخه لا يكون في الصورة البشرية.

إن إنكار النصيرية للتناسخ يعني أنها تنكر الإيمان باليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب وهذا الموقف يخرج الإنسان من الإسلام وهذا ما نجده في قوله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبئين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة و اتى الزكوة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»<sup>2</sup>. وعن وصف اليوم الآخر يقول تعالى: «يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أنظر: محمد احمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص356.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة الآية 176.

<sup>3</sup> القرآن الكريم سورة الزلزلة الآيات 9 8 7 6.

يستعمل النصيرية نوع من المغالطة والتأويل وبعض الرموز والألغاز ليضلوا الناس وينسبونها للإسلام وهو بري منها وإذا تتبعنا أصلها فحتمًا سنجدها ذات أصل بوذي وهندي وفارسي ويوناني لأن ما يقولون به ظهر في تلك الديانات.

### 3- تعظيمهم لسلمان الفارسي والأيتام الخمسة وحبهم لابن ملجم قاتل علي وموقفهم من الصحابة الآخرين:

يزعم النصيرية أن محمد صلى الله عليه وسلم خلق سلمان الفارسي والأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وتجمع كل كتب الشيعة على أن سلمان الفارسي يحتل مكانة عظيمة عندهم وأنه قد ناصر علي وشايعه ووقف إلى جانبه ودافع عنه ضد أعدائه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب رأي النصيرية .

أما الأيتام الخمسة الذين ورد ذكرهم فيما سبق فهم أيضا من الصحابة المعظمين عند كل الشيعة .وهؤلاء هم المقداد وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وقنبر كادان وجميعهم من الصحابة ما عدا قنبر فإنه خادم علي بن أبي طالب<sup>1</sup>.

في نظر النصيرية أن سلمان الفارسي والأيتام الخمسة هم الذين خلقوا العالم وسلمان هو النفس الكلية التي خلقت الأيتام والسموات والأرض ومقداد اكبر الأيتام هو الذي خلق الناس لذلك سمي رب الناس وهذا اعتقاد وارد من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

النصيرية تنظر للصحابة نظرة عدائية معتبرينهم بألسة ظالمين وقد ظلموا علي رضي الله عنه فهم يذكرونهم بسوء ويسمونهم بأسماء بذيئة ويؤلفون عنهم قصص سخيفة يصخرون منهم ويكونون حقد كبير لعمر الذي يعتبرونه عدوا لعلي رضي الله عنه.

### 4- تعظيمهم للخمر ونظرتهم إلى الأنثى:

<sup>1</sup> محمد احمد الخطيب ،الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،ص 360.

النصيرية تقدس الخمر وأسموها باسم عبد النور لأنهم يعتبرونها خلقت من شجرة العنب والتي يطلقون عليها شجرة النور والخمر عند النصيرية مربوطة بالمرأة فهما متلازمان يقدمان لكل من يدخل في أسرار الدين وهذا نوع من التخدير الذي يخدرون به الشباب الراغب في تلقين أسرار دينه ويزعمون بأن الله حلل لهم الخمر باعتبارهم آمنوا به ومنعها عن الذين ينكرونه وهم يبحثون عن مبرر لتحليلهم الخمر حيث يقولون بأن الخمر استلحت للمسلمين قبل ظهور النصيرية إلا أن الإسلام حرم الخمر وذلك تبعا لقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون»<sup>1</sup>.

#### 5- مراسيم وطقوس الدخول في عقيدة النصيرية :

إن الداخل للنصيرية لابد عليه أن يمر بمراحل حيث يطلعونه على أسرارهم دفعة واحدة ويتخذ شيئا من المشايخ ويخضع له خضوعا تاما لأنه يقوده للحقيقة والسعادة. والخضوع التام والتذلل مطلوب من التلميذ ومفروض عليه أمام شيخه وإلا لا يمكن أن يلقن أسرار الدين لأنها لا تلقن إلا للمتواضع الذليل لأخيه المؤمن والتواضع كما يتصوره واضح من مراسيم وطقوس الدخول في العقيدة حيث يمر بمرحلتين: الأولى هي وضع أحذية المشايخ على رأس الشاب الراغب في دخول العقيدة يتبعها تقبيل أقدام هؤلاء المشايخ والمرحلة الثانية والمكاملة للأولى فتتم في الجلسة الثانية من جلسات التلقين وهي قبوله مناكحة الرجال له لأن هذا عندهم يدل على عدم التكبر والتذلل للأخ المؤمن<sup>2</sup>.

وبعدما يتخذ الشاب الداخل للنصيرية الشيخ أو ما يعرف بالأب الروحي هذا الأخير هو الذي يدخله على مشايخهم ويكون ذلك في اجتماع سري وهم يشفعون حتى يكون مقبولا

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة المائدة ،الآية 91.

<sup>2</sup> المرجع السابق ،ص 373.

ويقدم للإمام ويكونوا شهودا حوله. ويقوم النقيب ويوقظ كل من هو نائم ويجلسون إلى الإمام ويتلوا على الإمام قوله تعالى : «إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكت فإنما ينكت على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما<sup>1</sup>». ويوصيه الإمام بالتواضع وعدم التكبر.

#### 6- تسترهم على عقائدهم :

تعرف النصيرية بكتمان سرها فلا يبوحون بأسرارهم لأنهم يعتقدون بأن الحقيقة لا يجب أن تعرفها العامة وإنما هم فقط المخصوصون بها فالنظر للإله يرون أنهم هم المصطفون الذين اصطفاهم الله لمعرفة والتستر عندهم صفة أهل الباطن لأنه من أصول عقيدتهم وهو شرط يشرط على الشباب الداخل لهم ويقدمون له التهديد والوعيد لمن يبوح بالسر.

يستدل النصيرية على هذا الميثاق بالميثاق الذي أخذه الله مع النبيين وذلك في قوله تعالى : «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا»<sup>2</sup>.

#### 6- نظرتهم للفرائض والعبادات الإسلامية :

ترى النصيرية أن الفرائض ليست مفروضة عليهم وإنما فرضت على أهل الظاهر فقد فرضها الله عليهم لتقصيرهم والحقيقة الإلهية عند علي بن أبي طالب لأنها سر لذلك يرون أنه لا بد من عبادته هو.

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة الفتح ،الآية 10 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة الأحزاب ،الآية 7 .

الفرائض والعبادات الإسلامية لا يولونها أي اهتمام لأنها ليست من اختصاصهم وإنما يقوم بها أهل الظاهر المقصرين ولا يؤدون الصلاة كما يؤديها المسلمون لأنهم لا يملكون مساجد في قراهم كما أنهم لا يشترطون الطهارة في صلاتهم.

### حكم الإسلام في النصيرية ومعتقداتها:

إن طائفة النصيرية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين لأنهم يرفضون ويتركون الفرائض الإسلامية وهم من القوم الذين يقولون ما لا يفعلون أي أن أفعالهم لا تعكس ما في قلوبهم وأنهم قاموا بتأليه على بن أبي طالب أي أن الله سبحانه وتعالى حل فيه ناهيك عن قولهم بالتناسخ وإنكارهم للبعث والثواب والعقاب وأحلو شرب الخمر والزنا واللواط وهذا فالوقت الذي جاء فيه الإسلام من أجل القضاء على هذه العادات والأعمال الشنيعة التي يغذون بها أفكار الشباب وما يكشف تحريم ما يقولون به قوله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار»<sup>1</sup>. وما جاء في الآية الكريمة إن دل على شيء إنما يدل على أن الإسلام والنصيرية يسيران في اتجاهين متعاكسين والتفائهما بعيد بعد السماء عن الأرض والمشرق عن المغرب ولقد لقت هذه الطائفة محاربة وتصدي كبير من طرف أئمة المسلمين مثل شيخ الإسلام بن تيمية حيث قاموا بتأليف كتب لفضح نواياهم وأسرارهم.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة آل عمران الآية 7-10.

المبحث الرابع: موقف أبو حامد الغزالي من الحركات الباطنية.

ألف أبو حامد الغزالي كتاب ف ضائح الباطنية نزولاً عند رغبة الخليفة المستظهر بالله العباسي و الذي سمي كذلك نسبة له بالمستظهري ولقد انقسم الكتاب الى قسمين قسم به فضائح الباطنية و خصص القسم الثاني للمستظهر بالله ولما كان وعي الغزالي بخطر الباطنية على الاسلام كبير هاجمهم هجوماً عنيفاً. ويقول « ان الباطنية انما لقبوا بها لدعواهم ان لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات الى حقائق معينة»<sup>1</sup>.

ولقد كانت الباطنية تتسرب الى المجتمع و تنفت سمومها فيه وكانت لها الإغراءات المادية القوية ولم يكن في العالم الإسلامي في آخر القرن الخامس أحد اجدر بالرد عليها والكشف عن أسرارها و نقض ما تبني عليه دعوتها من الغزالي.<sup>2</sup>

كان الغزالي شجاعا في حملته على الباطنية في الوقت الذي ازداد خطرهم وهددوا الناس وقاموا بالعديد من الاغتيالات التي لم تكن تستثني احد بل كانت تهدف لتصفية الساسة والمفكرين، وهم لم يكونوا كفاراً مقطوعاً بكفرهم نظراً لأفكارهم التي نشرها في المجتمع وغذوا بها افكار الشباب و الناس جميعاً والتي تبدوا من ظاهرها انها تطهير للدين من الضلالات والحفاظ عليه لكن من داخلها تهدف الى طمس العقائد الإسلامية حيث كانوا ينتسبون الى الإسلام و يدعون انهم حماة. ان الفكر القوي والشهرة الكبيرة التي يتمتع بها ابو حامد الغزالي و الكتابات ذات الاثر القوي استطاع ان يؤثر على الباطنية و يجتس جذورها بتوظيف العلوم العقلية و الشرعية و قال فيهم : ظاهراً والباطنهم الكفر

<sup>1</sup> - أبو حامد الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص 11.

<sup>2</sup> - د: محمد على الصلابي ، سيرة الامام الغزالي ، ص 32.



المحض فهم يتسترون بالتشيع و ما هم من الشيعة في شيء، وإنما هو قناع يخفون وراءه كيدهم لأهل الإسلام.<sup>1</sup>

راى الغزالي مصرع رجل الدولة نظام الملك إلا انه لم يتوانى عن نقدهم وفضحهم و كشف نواياهم رغم ان ذلك قد يكلفه حياته لأن الباطنية كانوا يستهدفون كل من يشكل خطر امام تحقيق أهدافهم.

لما كان المذهب الاسماعيلي مذهب فلسفي ديني سياسي قام الامام الغزالي بمهاجمة الفلسفة و الفلاسفة أي الأفلاطونية المحدثة وكان الدافع عقائدي لان الفلاسفة يمدون الباطنية بالجانب التنظيري لمذهبهم، فقد كان الفلاسفة نصيراً قوياً و معينا لهم.<sup>2</sup>

«فقد انتشر مذهب الباطنية عندما انتصر له الفلاسفة طمعاً في أموالهم و صلاتهم والنتيجة وجود المصلحة المتبادلة التي ينتج عنها توافق في القول بين الفلاسفة والباطنية»<sup>3</sup>.

و يرى الغزالي بان الباطنية بتلك الأفكار التي أخذوها عن طائفة من الملحدين جعلتهم يستميلوا الناس ويستعطفونهم متخذين منهم الوسيلة المساعدة على ذلك: طريقنا ان نختار رجلاً ممن يساعدنا على المذهب و نزع من اهل البيت و انه يجب على كافة الخلق مبايعته و تتعين عليهم طاعته فإنه خليفة رسول الله.<sup>4</sup> و مقصدهم من ذلك كله هو الملك والتبسيط في أموال المسلمين و حريمهم و الانتقام منهم. وكانوا لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد بل غرضهم الاحتيال فلذلك تختلف كلمتهم.

وعن معتقدتهم في الإلهيات فانهم يقولوا بالهين قديمين احدهما علة لوجود الثاني،

فاسم العلة: السابق واسم المعلول التالي والسابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، وهذا

1 - القرضاوي ، الإمام الغزالي بين ماد حيه وناقديه ، ص60.

2 - المرجع السابق ، ص35.

3 - ابو حامد الغزالي ، دراسة في فكره و عصره و تأثيره ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 9، ص91.

4 - الغزالي، فضائح الباطنية ، ص19.

قول من الثنوية والمجوس في القول بالالهين و معتقدهم في النبوات ان النبي شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي و القرآن بالنسبة لهم هو تعبير محمد صلى الله عليه وسلم عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو جبريل وهذا مستخرج من مذاهب الفلاسفة في النبوات و في معتقدهم في الإمامة فهو معصوم و يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الاشكالات في القرآن. واتفقوا على إنكار القيامة و يقولون في التكاليف الشرعية لابد من الإباحة المطلقة و رفع الحجاب واستباحة المحظورات. ان الباطنية تروج لمبادئ هادمة للإسلام و مقوضة لأركانه راغبنا في عودة البشرية الى غياهب الظلام التي عاش فيها قبل الإسلام معتمدين على القول الباطن و العلوم السرية و أساليب المكر و المراوغة لذلك ان ابو حامد الغزالي لم يصل فيها الى اليقين فكشفهم و فضحهم في كتابه الذي افرد في هذا الشأن.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: حقيقة التجربة الصوفية ووصول الغزالي الى اليقين.

المبحث الأول: التصوف الأصل والنشأة.

ان التصوف la mysticisme موضوع متشعب وواسع الجوانب و كل من يخوض فيه يكون حذراً لذلك يصعب ضبط مفهومه حيث عرفه كلٌ حسب رؤيته الخاصة و اختلاف تعاريفه و كثرتها ماهي إلا دليل على ذلك.

الكثير من العلماء اجمعوا على ان نسبة الصوفية الى الصوف او الصفة او الصف، حيث يقول الكلاباذي عنهم « و من لبسهم و زيهم سمو صوفيه لانهم لم يلبسوا الحظوظ النفس ما لان مسه و حسن منظره، وانما لبسوا لستر العورة فتجزوا بالخشن من الشعر و الغليظ من الصوف»<sup>1</sup>.

فليس هؤلاء الناس الصوف واكتفائهم بالخشن من الشعر دليل على تمسكهم وزهدهم و لبس الصوف لم يكن مقتصرًا عليهم دون غيرهم لان الانبياء و بعض الصحابة كانوا يلبسون الصوف وهذا مانجده في قول ابو موسى: كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف و يركب الحمار و يأتي مدعاة الضعيف قال الحسن البصري لقد ادركت سبعين بدريا ماكان للبسهم الا الصوف.<sup>2</sup> فاحوال هؤلاء كانت كأحوال اهل الصفة حيث لازموا مسجد رسول الله و انقطعوا فيه للعبادة و في مشابهة الصوفية لاهل الصفة ونسبوا اليهم « ذلك انهم قوم قد نذكوا الدينا فخرجوا عن الاوطان و هجروا الاخدان و ساحوا في البلاد واجاعوا الاكباد و اعرو الاجساد و لم ياخذو من الدينا الا ما لا يجوز تركه، من ستر عورة و سد جوعه، فلخروجهم عن الاوطان سمو غرباء ولكثرة اسفارهم سمو سياحين»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الكلاباذي ، التعرف لمذهب اهل التصوف ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2001 ، ص 12.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص 14.

<sup>3</sup> - نفس المرجع ، ص 12.

اما بالنسبة لنسبة الصوفية الى الصف أي انهم في المقام الاول بين يدي الله سبحانه وتعالى بناء على اخلاقهم و معاملاتهم و بسلوكهم مع الله « فبارتفاع هممهم اليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه»<sup>1</sup>.

وهذا ما اعطاهم مكانهم في الصف الاول. وفي هذا الصدد يقول الإمام القشيري: «وقول من قال انه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح و لكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة الى الصف»<sup>2</sup>.  
لقد نقل الطوسي ابو نصر السراج في كتابه والذي يعد اقدم مرجع صوفي عن صوفي انه قال «كان في الأصل صفوى، فاستنقل ذلك ، فقيل: صوفي - ويمثل ذلك نقل عن ابي الحسن الكناد: هو مأخوذ من الصفاء»<sup>3</sup>.

و قالت طائفة عنهم: انما سميت الصوفية صوفية لصفاء اسرارها ونقاء أثارها.<sup>4</sup>  
ومنهم من يسير بالصوفي الى معنى الصديق، و افضل الخلق بعد الانبياء الصديقون مستدلين على ذلك من القرآن الكريم في قوله تعالى « ومن يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا»<sup>5</sup>  
ومعنى هذا عندهم انه لا يوجد افضل من الصوفي بعد الانبياء أي انه الصديق الذي اختص بالزهد و العبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه.

حيث كان التصوف طريقا من طرق العبادة يتناول الاحكام الشرعية من ناحية معانيها الروحية واثارها في القلوب و التصوف يقابل علم الفقه الذي يتناول ظواهر تلك

1 - نفس المرجع ، ص10.

2 - القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، مكتبة و مطبعة محمد على صبيح، القاهرة ، ط1 ، 1972م ، ص.217.

3- انظر ( كتاب اللمع) بتحقيق عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي ، دار الكتاب الحديثة ، مصر ، 1960 ، ص.46.

4 - احسان انهي ظهير ، التصوف المنشأ والمصدرو ، ادارة ترجمان السنة ، ط1 ، 1986 ، ص.20.

5 - القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية 68 .

العبادات و رسومهما ليصبح في الأخير طريقاً للمعرفة، وفي الفلسفة يمثل ظاهرة فلسفية باعتبارها معبراً عن رؤية فلسفية معينة.<sup>1</sup>

و في المقابل نجد ان طائفة حملت عليهم و ذمتهم و قالت عنهم انهم مبتدعون خارجون عن السنة. لكن يبقى الصواب المتعارف عليه انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده و فيهم المقتصد الذي هو من اهل اليمين.

يبدو ان التجربة الصوفية la mysticisme واحدة في جوهرها ولكن الاختلاف بين صوفي و آخر راجع اساسا الى تفسير التجربة ذاتها المتأثر بالحضارة التي ينتمي اليها كل واحد منهما.<sup>2</sup>

اذا فالتصوف نوعان ديني والذي هو ظاهرة مشتركة بين الاديان جميعا و تصوف فلسفي اذ ان « لم يخل العصر الحاضر من فلاسفة اوربيين ذوي نزعة صوفية مثل رادلي في انجلترا وبرغسون في فرنسا». <sup>3</sup>

اما عن التصوف الاسلامي la mysticisme islamique فمصدره الاول إسلاميا فقد استمد من القرآن والسنة ومن احوال الصحابة وأقوالهم وهذه الأخيرة لن تخرج عن القرآن و السنة اذا فهما المصدران الأساسيان للتصوف. ولقد عرف المسلمون بالزهد في صدر الاسلام حيث سمو بصحابة رسول الله صلى عليه و سلم. ثم ظهرت الفرق الاسلامية فادعى كل فريق ان فيهم زهاداً وعباداً، هناك انفرد خواص اهل السنة المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة واشتهر هذا الاسم قبل المتئين من الهجرة، فهو اسم محدث بعد عهد الصحابة والتابعين.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - سليمة محفوظي ( ابعاد التصوف) مجلة عود الند ، العدد69 ومارس 2012.

<sup>2</sup> -Stace; Mgsticism and Philosophy; Mac Millan; Lon don 1961; PP34-35.

<sup>3</sup> - د: ابو الرفا الغنيمي التفتازاني ، مدجل الى التصوف الاسلامي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط3 ، 1979 ، ص3.

<sup>4</sup> - ماسينيون، مصطفى عبد الوزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، ط1 ، 1984 ، ص52.

ان إستعمال وانتشار لفظ صوفي و متصوف في الاسلام لم يكن إلا في القرن الثاني و ما بعده ، يقول ابن تيمية « اما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك و قد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة و الشيوخ كالإمام احمد ابن حنبل وابي سليمان الداراني و غيرهما وقد روي عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري»<sup>1</sup>

التصوف نشأ معبراً عن المثل الديني الأعلى وظل في ادواره كلها يعبر عن ذلك المثل مخالفا ما عليه العامة و القراء و اهل السنة و الفقهاء و المتفلسفين و المتكلمين . من خلال ماسبق يمكن ان نخلص الى التقسبي الذي قام به علماء التصوف والباحثين فيه لمراحل التطور الصوفي، ويتلخص ذلك في ثلاثة مراحل وهي :

-**المرحلة الاولى:** ظهر التصوف في هذه المرحلة على انه زهدا في الحياة الدنيا و البعد عن متعتها و اختيار الحياة الأخرى و ما فيها من نعيم مقيم للمؤمنين.<sup>2</sup> حيث يجاهد المسلم نفسه على طاعة الله و الاستقامة واتباع ما جاء في الكتاب و السنة

-**المرحلة الثانية:** عرفت هذه المرحلة العديد من الظواهر مثل دخول بعض الامم في الاسلام نتيجة الفتح الإسلامي وإقبال الناس على الملذات و المتع و انقسام المسلمين بين معارضين و مؤيدين للحكام. فكان لابد ان يواجه علماء التصوف هذه الظواهر التي جدت على المجتمع الإسلامي فأضافوا الى التصوف تغييرات جديدة هذه التغييرات مستمدة ايضا من الكتاب و السنة مثل الفقر ثم ارادوا ان يميزوا بينهم و بين بقية المسلمين فاختاروا الملابس الصوفية التي عرفوا بها على مر العصور المختلفة.<sup>3</sup>

-**المرحلة الثالثة:** امتزجت الثقافات الوافدة الى المسلمين من الدول التي دخلت الاسلام مع الثقافة العربية و اعلنت عن مولد ثقافة جديدة هي الثقافة الاسلامية فكان لابد ان يواجه

<sup>1</sup> - نفس المصدر، ص 55.

<sup>2</sup> - عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، مكتبة مدبواي ط2، 1999، ص 27.

<sup>3</sup> - نفس المرجع ، نفس الصفحة.

علماء التصوف هذه الظاهرة بإدخال بعض التغييرات وبعض السلوك والآداب التي في الكتاب و السنة و توافق الشرع و تؤكد السير عليه.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - نفس المرجع ، نفس الصفحة.



## المبحث الثاني: الأسس والمذاهب الصوفية.

لكل علم اسس ومبادئ يقوم عليها فنفس الشيء بالنسبة للتصوف فلاشك أن له أسس يقوم عليها فما هي أسس التصوف؟  
أ-أسس التصوف:

1. **معرفة عقائد الايمان** : وهو ان يعرف المسلم العقائد الإيمانية التي يجب عليه شرعاً معرفتها و التي مصدرها الكتاب و السنة حيث يعرف الواجب و المستحيل في حق الله تعالى، و الواجب و المستحل في حق الانبياء و الرسل. قال الله تعالى: « آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين احد من رسله و قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا و اليك المصير»<sup>1</sup> اذ يجب على المسلم ان يؤمن بالله و الملائكة و الكتب و الرسل و يوم القيامة و الميزان و الصراط .
2. **معرفة الاحكام الفقهية**: ان يكون المسلم على دراية بما تصح به عبادة من صلاة و زكاة و حج و صيام وما تصح به معاملته كالبيع، النكاح. كما ان الرسول صلى الله عليه و سلم يحثنا على طلب الفقه. قال تعالى «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحي إليهم فاستلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون»<sup>2</sup>. وبالجملة ينبغي و يجب على كل مسلم ان يسعى في طلب العلم الشرعي و التفقه في دين الله تعالى ولايستكبر عن ذلك لكثرة ماله أو لرفعه منصبه وشهادته التي تلقاها من الجامعات وغيرها في علم من علوم الطب او الهندسة او كيمياء مثلا.....الخ وقد قيل: « ميمان لا يتعلمان : مستكبر و مستح »<sup>3</sup>.
3. **العمل بمقتضى العلم**: انطلاقا من قول الله تعالى «يأيتها الذين امنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله

<sup>1</sup> - القرآن الكريم: سورة البقرة الآية .284.

<sup>2</sup> -القرآن الكريم سورة النحل: الآية 43.

<sup>3</sup> - عبده غالب احمد عيسى ، مفهوم التصوف ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فان كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع ان يملل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شاهدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتين ممن ترضون من الشهداء أن تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله و يعلمكم الله والله بكل شيء عليم<sup>1</sup> اذ ينبغي على المسلم العمل بمقتضى علمه وهذا من التقوى، و العلم لا تفتح ابوابه للمسلم الا اذا ترك المعاصي و هذه الأخيرة هي سبب فتح ابواب الفتن و البلايا. وقيل في ان الذي حمل العلم من غير عمل هو كمثل الحمار يحمل اسفارا «و العلم علمان: علم حُمِلَ و علم استعمل فما حمل منه ضر و ما استعمل نفع»<sup>2</sup>.

4. **الاخلاص في العمل:** ويقصد بذلك ان المسلم يكون مراقباً لربه مراقبة دقيقة فلا يقدم على عمل من الأعمال الصالحة إلا و هو يريد به وجه الله تعالى لا لرياء او سمعة او حب محمداً من الناس.<sup>3</sup> قال الله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»<sup>4</sup>.

وبعدما عرفنا اسس علم التصوف سنتعرف على مبادئه في هذه الاطلالة المختصرة:

ب- مبادئه:

1. الحد Delimitation: لعلم التصوف تعريفان هما تعريفه علماً و تعريفه عملاً

2. الموضوع Le sujet: هو الاخلاق المحمدية من حيث التخلق بها .

<sup>1</sup> - القرآن الكريم : سورة البقرة الآية 282.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص20.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 21 .

<sup>4</sup> - القرآن الكريم: سورة البينة الآية5.

3. الثمرة Le fruit: غايته الفوز بأعلى المراتب في العقبى.
4. الفضل La faveur: هو من العلوم الشريفة لانه يتعلق بصلاح القلب وسائر الحواس في الدنيا.
5. النسبة le niveau: هو فرع علم التوحيد.
6. الاستمداد empreinte: استمداده من الكتاب و السنة.
7. الاسم le nom: هو علم التصوف.
8. الحكم la gouvernance: الوجوب.
9. الواضع: واضعه هم العارفون الآخذون له عن النبي صلى الله عليه و سلم بالسند المتصل.
10. المسائل les issues: هي القضايا التي يبحث فيها عن عوارضه الذاتية كالمراقبة و المشاهدة.<sup>1</sup>

للسوفية مراتب من خلالها يضحون من طبقات المتصوفة و مكانتهم و قدرتهم واعدادهم واختيارهم على الخلق.

### ج-مراتبه:

1. القطب(الغوٲ): عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان و مكان.
2. الإمامان: هما شخصان احدهما عن يمين الغوٲ و نظره في الملكوت و الآخر عن يساره و نظره في الملك وهو اعلى من صاحبه و هو الذي يخلف الغوٲ.
3. الاوتاد: عبارة عن اربعة رجال منازلهم على منازل اربعة اركان من العالم شرق وغرب و شمال و جنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 27.

4. البدلاء: هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه و ترك جسداً على صورته حتى

لا يعرف احد انه فقد، فذلك هو البدل لاغير وهم على قلب ابراهيم عليه السلام.

5. النجباء: أربعون وهم المشغولون يحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير.

6. النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس و هم ثلاثمائة.<sup>1</sup>

وكان الترتيب الذي حددنا فيه مراتب الصوفية مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته. وقال

فيهم ماسينيون : "ويزعم الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء

المستورين عددهم محدود وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره و رجال الغيب هم : ثلاثمائة من

النقباء، وأربعون من الإبدال وسبعة أمناء، وأربعة عمد، ثم القطب وهو الغوث"<sup>2</sup>.

#### د المذاهب الصوفية:

1 - التوبة: **la penitence** وهي أن لا يرتكب صاحب الذنب أي ذنب آخر أن يبتعد

عن كل عمل فاسد أو فعل فاحش أو تفكير ضال ولا يستمع إلى هوى نفسه أو وسوسة الشيطان .ولقد حثنا الله على التوبة وجاء ذلك في قوله تعالى: « وقل للمؤمنات يغضضن

من ابصرهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على

جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ابائهن أو ابناء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء

بعولتهن أو اخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمنهن أو

التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء

ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم

تقلحون»<sup>3</sup> وفي آية أخرى « يا أيها الذين امنو توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربحكم أن

يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين

<sup>1</sup> - انظر : احسان انهي ظهير، التصوف المنشأ و المصدر، ص232.

<sup>2</sup> ماسينيون، التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984، ص ص 45-46.

<sup>3</sup> القرآن الكريم : سورة النور الآية 31.

امنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير»<sup>1</sup> وعلى المسلم ان يتوب قبل موته ويكون ذلك مشروط بثلاثة شروط وهي:

- الندم على ما قد فات.

- التوقف عن الذنوب وعدم الاستمرار فيها.

- العزم على عدم الرجوع في ارتكابها مستقبلا.

عن التوبة يقول احد الصوفية « إن التوبة عندهم هي التوبة من التوبة أي أن يتوب الإنسان عن قلة صدقة في فعله فللمعروف أن الإنسان يتوب من الإثم أو الذنب الذي يفعله هل الظاهر أما أن يتوب من التوبة ذاتها فهذا معناه عدم التفكير في الإثم أو الذنب أو في موضوع التوبة ذاتها لأنه اذا فكر في التوبة تذكر الإثم ومعنى ذلك أن عليه أن ينسى ذنبه كما أن ينسى توبته التي كانت سببا في ذنبه أي أن يتوب من ذكر كل شيء سوى الله عز وجل أي يكون الانسان لله كلية وهذا منتهى غايي الواصلين »<sup>2</sup>.

ويبقى باب التوبة مفتوح لمن اراد ان يتوب لأنها حلقة اتصال بين المسلم وربه ففرضت على كل مسلم مؤمن بالله اراد ان يتطهر ويبتعد عن الذنوب والمعاصي ويعود الى الله .

## 2- الذكر : la rememonation.

انطلاقا من قوله تعالى: « ياأيها الذين امنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلمكم تغلحون»<sup>3</sup> « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> القرآن الكريم : سورة التحريم الآية 8.

<sup>2</sup> د:حسن محمد الشراوي ،ألفاظ الصوفية ومعانيها ،دار المعارف الجامعية ،1983 ،ص 104.

<sup>3</sup> القرآن الكريم : سورة الانفال ، الآية 45

<sup>4</sup> القرآن الكريم : سورة الاعراف الآية 205 .

« ياايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما»<sup>1</sup>.

من خلال هذه الآيات نصل إلى شئ مهم وهو أهمية الذكر بالنسبة للمسلم سواء كان بالقلب او باللسان المهم استحضر الله سبحانه وتعالى في القلب كما انه فيض علينا ذكره عقب كل عبادة يقضيها أي عقب الصلاة وعقب قضاء مناسك الحج، وعقب الصيام وكيفما كان هذا الذكر ظاهرا أم خفيا المهم أن يستحضر المسلم الله دائما .

### 3 -الخوف:

قال تعالى: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»<sup>2</sup>.

قال تعالى: «انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين»<sup>3</sup>. من خلال قوله تعالى نرى انه يحسنا على ان الخوف لا يكون إلا منه هو ولا يكون من العباد ، والمسلم يغلب عليه الخوف لمعرفته الوعد والوعيد والترغيب والترهيب.

يقسم الإمام ابو حامد الغزالي حقيقة الخوف الى قسمين:القسم الأول : بقدر معرفتنا بالحق يكون خوفنا .

القسم الثاني: بقدر معرفتنا بأنفسنا وعيوبها والأخطار المحيطة بها يكون خوفنا.<sup>4</sup> ونتيجة للخوف يحاول العبد المؤمن بكل طاقاته أن يمنع نفسه من الوقوع في المخالفات ويشند مع نفسه اشتدادا كبيرا ويمنعها من المحظورات وهذا ما نطلق عليه الورع والتقوى.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> القرآن الكريم : سورة الأحزاب ، الآيات 41 42 43 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم :سورةالمائدة ،الآية 44

<sup>3</sup> القرآن الكريم :سورة آل عمران،الآية 175.

<sup>4</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم ،المذاهب الصوفية ومدارسها ،ص 96.

<sup>5</sup> انظر: نفس المرجع ،ص 97.

#### 4 التوكل : la juridiction

قال تعالى : «ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على فهو حسبه إن الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا»<sup>1</sup>.

قال تعالى:«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون»<sup>2</sup>.

قال تعالى:«قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهم الباب فاذا

دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين»<sup>3</sup>.

اذ لابد على كل مسلم ان تكون ثقته بالله اكبر و لا يترك حيز لشك كي يدخل في صدره لأن التوكل هو الثقة بالله و الطمأنينة والسكون اليه وأن يرضى بما يقدره الله له.ولكي يصل المسلم الى درجة التوكل يجب عليه معرفة الله وقدرته وأن يأخذ بالأسباب والمسببات ويدع كل شرك ويستند الى الله في كل أموره ويكون ظنه بالله ظنا حسنا مفوضا أمره الله ويرضى بما قسمه له.

#### 5-الولاية: la juridiction

قال تعالى « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الذين امنوا وكان

يتقون»<sup>4</sup>.

انطلاقا من الآية الكريمة نرى بأن الأولياء هم فئة قليلة فازوا بالقرب من الله تعالى وكان

ذلك بطاعته واجتتاب نواهيه ويقوم بالعبودية لله والدعوة اليه.

<sup>1</sup> القرآن الكريم :سورة الطلاق ،الآية 3.

<sup>2</sup> القرآن الكريم :سورة التوبة ،الآية 51.

<sup>3</sup> القرآن الكريم :سورة المائدة ،الآية 23.

<sup>4</sup> القرآن الكريم : سورة يونس الآية 62 63.

والولي دعوته مجابة والله سبحانه وتعالى راضيا عليه ويكون زاهدا فيما يتكالب عليه الناس من غلو في الدنيا ولا يشغل نفسه بملاذ الدنيا و لا بتحصيل اسباب الغنى وذو اخلاق حسنة.

## 6 الحب الإلهي:

قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»<sup>1</sup>.

قال تعالى: « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا أشد حبا لله ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب»<sup>2</sup>. من قوله تعالى نصل الى شئ مهم وهو أن الحب الحقيقي فهو حب الله سبحانه وتعالى رغم وجود الحب في العلاقات الإنسانية والذي يأتي نتيجة العلاقات الطيبة بين المحب ومحوبه في أول الطريق. ويكون كنتيجة لصفاء القلب ونقاؤه ويتوج بأن يمنح المحب أ غلى ما لديه وأشرف ما يملكه لمحوبه وهو قلبه.

وتختلف الوان الحب فمن المؤمنين من يحب الله للاحسان وعطفه عليهم وهذا حب العامة والحب الثاني لعظمة الله وقدرته وجلاله وهو حب الصادقين والحب الثالث مختلف تماما.<sup>3</sup> المحب يبتعد عن الناس، ويخلو لله عز وجل وتراه دائم التفكير صامتا لا يسمع اذا دعاه أحد لا تكون مع محدثه ولهذا لا يفهم من يكلمه و لا يحزن اذا أصيب ببلاء و لا ينازع أحدا في متاع الدنيا من منصب أو مال أو جاه أو غير ذلك من زخرف الحياة.<sup>4</sup> يقول الغزالي « معرفة المحبة وحقيقتها الا بالمحبة ذاتها »<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية 31 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم : سورة البقرة الآية 165 .

<sup>3</sup> المرجع الأسبق ، ص 107.

<sup>4</sup> د : حسن الشرقاوي ، الفاظ الصوفية ص 282 .

<sup>5</sup> الغزالي ، احياء علوم الدين ص 2574 .



## 7 الذوق : la patience

ان مقر الذوق عند الصوفية هو القلب وهو تلقى الأرواح لاسرار الطاهرة من الكرمات وخوارق العادات وهو الطريق الموصل الى الايمان بالله والتقرب منه والعلوم الصوفية تنقسم الى ثلاثة اقسام علوم الأسرار وعلوم عقلية وعلوم الأحوال وهذه الأخيرة تتم عن طريق الذوق وللذوق عدة درجات منها :

- 1 ذوق الايمان : ان العبد اذا ذاق طعم الدعوة من الله على إيمانه وتصديقه حد في العبادة وأعمال البر للثقة بالوعد عليها.
- 2 ذوق الأنس بالله : لا يتعلق العبد بشيء يشغله عن سلوكه ومسيرته الى الله لشدة طلبه. كما أن الانس بالله حالة وجدانية ،وتقوى هذه الحالة بدوام ذكر الله وأن يكون العبد صادقاً في حبه لله .....،كلما كان القلب أقرب الى الله كان أنسه بالله أقوى.
- 3 ذوق الانقطاع لله سبحانه وتعالى: بأن يتذوق العبد طعم القرب من الله بالانقطاع عما سواه.<sup>1</sup>

## 8- الصبر : la patience

- قال تعالى «يأيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»<sup>2</sup>.
- قال تعالى «يا أيها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين»<sup>3</sup>.
- قال تعالى «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية و مدارسها ، ص 110 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية 200 .

<sup>3</sup> القرآن الكريم : سورة البقرة ، الآية 153 .

<sup>4</sup> القرآن الكريم : سورة الكهف ، الآية 28

من خلال الآيات القرآنية ان الصبر هو الحبس أي حبس النفس عن الجزع وحبس الجوارح عن العمل الفاحش واللسان عن الشكوى . ولا يتم الصبر الا بمعرفة الله معرفة تامة وهو غاية كبرى من غايات أهل الحق.

### المبحث الثالث : حقيقة منهج الغزالي و وصوله لليقين

**1 -الزهد:**عرفت فرقة اهل الصفة منذ القرن الأول الهجري و هم مجموعة من المسلمين الذين اعتمدوا في حياتهم على بعض الصدقات التي ي قدمها أغنيا المسلمين واطلق عليهم لفظ الزهاد.وكلمة الزهد يقصد بها في اللغة الاعراض عن الشيء أو عدم التكالب على جمع الأموال ويعرف في الاسلام « هو معنى يتحقق به الانسان يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا يعمل فيها ويكد ولكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه «<sup>1</sup>.

والزهد ارتفاع الانسان بنفسه فوق شهواتها وهذا معناه ان يتحرر تماما من كل ما يعوق حريته وليس بمعنى العزلة عن الحياة وعدم المشاركة فيها لأن الانسان خليفة الله في الارض وعليه ان يسعى في ترقية وتطوير حياته وفي السنة نجد صحابة رسول صلى الله عليه وسلم لم يكن الزهد عندهم ترك الدنيا وملذاتها تمام ا و انما كان يعني الاعتدال أو التوسط في الأخذ بأسبابها وملذاتها.

وعن الزهد يقول الجنيد « سلب الله الدنيا من اوليائه وحماها من أصفياؤه واخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضاها لهم «<sup>2</sup>.

وقال ابن جلال الصوفي « الزهد هو النظر في الدنيا بين الزوال فتصغر في عينيك فيسهل الإعراض عنها «<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل الى التصوف الإسلامي ، ص 59

<sup>2</sup> انظر : عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية و مدارسها ، ص 50

<sup>3</sup> انظر : نفس المرجع و نفس الصفحة .

أن هدف الإسلام من الزهد هو التقليل من ملذات الحياة ومحاربة المغالاة والقضاء على الارستقراطية لتحقيق بذلك حرية الإنسان المتمثلة في ارتفاعه فوق شهواته وأهوائه بمحض إرادته في الوقت الذي بإمكانه تحقيقها خوفاً من الله وعقابه.

وهناك عوامل ساعدت على نشأة الزهد في الإسلام منها تعاليم الإسلام أي أن القرآن يحث على التقوى و هجر الدنيا وزخرفها ويحقر من شأنها ويعظم الآخرة وثورة المسلمين الروحية ضد نظام اجتماعي وسياسي والثورة ضد الفقه والكلام وتأثر المسلمين بالمسيحيين واستمرار تأثيرهم في زهاد المسلمين كما لا ننسى العاملين الرئيسيين في نشأة الزهد وهما القرآن والسنة حيث صور لنا القرآن ان الحياة الدنيا على انها لهو ولعب وعلى المسلم ان يتأهب الى لقاء ربه.

## 2 - المعرفة: le savoir.

إن المعرفة عند الصوفية مربوطة بالتجربة المباشرة التي تنتج انطبعا خاصا والقصد منها معرفة الله سبحانه تعالى. وهي طريق يتضمن المجاهدات والتجارب وأداتها البصرية أو القلب أو الوجدان أو الحدس.

المعرفة في جملتها ثمرة لطول التعامل مع الله والربط محكم بين المعرفة والسلوك والوضع النفسي الخاص بالصوفي.<sup>1</sup>

يقول الشليلي « من علامة العارف أن يرى نفسه في قبضة العزة يجري عليه تصاريف القدرة ومن علامة المعرفة أن من عرفه أحبه ولكن ذلك لا يعني أن يظهر العارف دالته على الناس ولا تكون معرفته سببا في التقليل من شأن سواه.....»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> صهيبي سمران ، مقدمة في التصوف ، دار المعرفة ، دمشق ، ط1 ، 1989 ، ص 33 .

<sup>2</sup> انظر : نفس المرجع ، ص 34 .

يقول ذو النون المصري: « وعلامة العارف ثلاث: لا يطفىء زهر معرفته نور ورعه، و لا يعتقد باطنا من العلم ينقض ظاهرا في الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله »<sup>1</sup>.

إن وسيلة المعرفة ليست أداة واحدة او طاقة أو ملكة واحدة لدى الصوفي. إذ لا الشرع ولا العقل هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها.<sup>2</sup>

المعرفة نتيجة لتكامل مجموعة من الطاقات البشرية من عقليه وروحيه و اراديه كما أنها تتطلب تمهيدا نفسيا شاملا عن طريق الوسائل الزهدية العديدة. ومرانا روحيا مستمرا ومستضيئ يعرف من خلاله مدى نضج الصوفي .

لقد اعترف المتصوفة بدور العقل في المعرفة لكن شددوا على استتلاء العقل بالإيمان إلا أنهم لم يحبذوا المعرفة العقلية لذاتها بل على ضرورة تطبيقها دون أن يعرف ذلك عن اللجوء إلى الله .

فالعلاقة بين الصوفي والله بنظر المتصوفة هي علاقة مؤمن مخلوق ينظر دائما إلى مؤمن خالق فالإيمان تقابل متبادل بين الله والإنسان.<sup>3</sup>

وفي الإيمان يقول أهل المتصوفة « المعرفة معرفة الإيمان والعقل عقل الإيمان واليقين يقين الإيمان والروح روح الإيمان والحياة الحقيقية حياة الإيمان »<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> انظر : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

<sup>2</sup> عبد الرحمن وكيل ، هذه هي الصوفية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1979 ، ص 21 .

<sup>3</sup> المرجع السابق ، ص 37 .

<sup>4</sup> نفس المرجع ، نفس الصفحة .

المتصوف يبحث دوما عن استعادة شعوره المباشر والسابق بالله تعالى وأن ينعم بهذا اللقاء القديم وأن يظل في الحضرة ذلك وفاء بالعهد الذي قطعه وتحقيقا للميثاق الذي أخذ عليه.

### 3 الزهد و المعرفة عند الغزالي و وصوله الى اليقين:

لقد اقبلت الدنيا على ابو حامد الغزالي بعلمها ومالها حيث زاع صيته وساهم في مجالس المتكلمين و الفقهاء عنده وجادلهم في مختلف انواع العلوم و المعارف التي كانت معروفة في ذلك العصر حتى تفوق عليهم جميعا. ومع ذلك لم ينقطع عن طلب العلم فطالع العلوم الدقيقة و الكتب المصنفة فيها مما كان له الاثر في التحول الكبير الذي غير مجرى حياته فيما بعد.<sup>1</sup> وسلك طريق الزهد والتأله وترك الحشمة وطرح مانال من الدرجة للإشتغال بأسباب التقوى ، وزاد الآخرة.

ترك الغزالي كل ماكان فيه وقصد الحج ثم دخل الشام واقام فيها عشرة سنين يطوف ويزور كما انه اخذ يجاهد نفسه ويهذب معاشه وغير اخلاقه.» فانقلب شيطان الرعونة وطلب الرياسة والجاه والتخلق بالاخلاق الذميمة الى سكون النفس وكرم الاخلاق والفراغ عن الرسوم والترتيبات وتزيا بزي الصالحين وقصر الأمل و وقف الاوقات على هداية الخلق ودعائهم الى مايعينهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا والإشتغال بها على السالكين والإستعداد للرحيل الى الدار الباقية والانقياد بكل من يتوسم فيه او يشم منه رائحة المعونة او التيقظ بشيئ من انوار المشاهدة «<sup>2</sup> ثم عاد بعد تلك العزلة التي استمرت عشر سنوات الى بلده طوس ليتابع عزلته سنة اخرى وتحت الحاح الولاة وتكرار طلبهم بال خروج الى الناس...خرج الى نسيابور ليدرس بالمدرسة النظامية فيها وكان ذلك في شهر ذي القعدة

<sup>1</sup> صالح الشامي ، الامام الغزالي ، دار القلم ،دمشق ،ط1 ، 1993 ، ص 23 .

<sup>2</sup> د : عامر النجار ، نظرات في فكر الغزالي ، ص 3.

سنة 499هـ وقال في ذلك: وبسر الله الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم ة في ذي القعدة سنة تسع وتسعين واربعمئة وبلغت مدة العزلة احدى عشرة سنة.<sup>1</sup>

ولما عاد الى التعليم كانت عودته بأسلوب جديد تختلف عما كان عليه اذ لا يبغى بهذا العلم لا مال ولا جاه وإنما كان يقصد به اصلاح نفسه وغيره. ثم عاد الى طوس متخذ بجانب بيته مدرسة للطلبة واقبل على طلب الحديث و مجالسة اهله و مطالعة الصحيحين وختم القرآن.

وفيما يخص المعرفة عند الغزالي فإنه جعل التصوف طريقا الى المعرفة بالله كما انه افرد كتاب احياء علوم الدين في الكلام عن المعرفة الصوفية موضحاً كيفية ادائها وموضوعها و منهجها و غايتها و بهذا تكون نظرية الغزالي نظرية متكاملة محققتا تطور ملحوظا في التصوف الاسلامي.

انكر الغزالي بان يكون القلب او الحواس اداة للمعرفة بل جعل القلب اداة للمعرفة الصوفية وهو اللطيفة الربانية الروحانية التي هي حقيقة الانسان وقد يكون لها بالقلب الجسماني تعلق. الا ان عقول الناس تحيرت في ادراك وجه العلاقة بينهما . و القلب كالمرآة ما يجعله جلياً و صافياً هو الإقبال على طاعة الله و الاعراض عن الشهوات. والمعرفة بالله فطرية في الانسان عند الغزالي ومنهجها عنده وعند غيره من المتصوفة يغير منهج المتكلمين و الفلاسفة فيها ، ومنهجها عنده و عند غيره من المتصوفة يغير منهج المتكلمين و الفلاسفة فيها و منهج المعرفة الصوفية هو الكشف. والكشف منهج نوقي خاص وهو ادراك وجداني مباشر يختلف عن الادراك العقلي المباشر وعن الادراك الحسي المباشر او الحدس. ويقول الغزالي عن المعرفة في كتابه

<sup>1</sup> انظر : علي محمد الصلابي ، الامام الغزالي ، ص 29 .

الاحياء إنها» قد تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المنادة و المكاشفة ولبعضهم بتعلم و اكتساب»<sup>1</sup>.

و الصوفية «انكشف لهم الامر و فاض على صدورهم النور لا بالتعلم و الدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها و تفرغ القلب من شواغلها و الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له»<sup>2</sup>.

ويعتبر الكشف عند الغزالي ارقى مناهج المعرفة و موضوعها ذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو اسمى موضوع لأسمى معرفة وغايتها هي التخلق و الحب لله و الفناء فيه والسعادة و المعرفة تهدف الى غاية اخلاقية لأنها تتوقف على نقاء القلب وطهارته.

يمثل الإمام الغزالي التصوف السني القائم على عقيدة اهل السنة والجماعة والتكشف والزهد وتربية النفس وبعده بحق اعظم صوفية الاسلام حيث يقيم تصوفه على اساس دائم من الفقه وعلم الكلام. ولقد تآثر ببعض صوفية القرنين الثالث والرابع منهم الحارث المحاسبي ويظهر جليا تآثره في غلبة الطبع النفسي الخلقى على تصوفه كما انه قرأ كتب متصوفة القرنين، ليصل بعد ذلك الى نتيجة مفادها «ان التصوف تجربة اساسا فليس يكفي الانسان ان يقرأ كتب الصوفية ليصير صوفيا وهو يذكر من هؤلاء الذين قرأ كتبهم، أو وقف على اقوالهم ابا طالب المكي صاحب «قوت القلوب» و الحارث المحاسبي والجنيد، و غيرهم»<sup>3</sup>.

الصوفية عند الغزالي هم السالكون طريق الله و طريقهم اصوب طريق و سيرتهم احسن وافضل السير وازكى الاخلاق اخلاقهم و كل ذلك مقتبس من مشكاة النبوة، فاقبل على طريق الصوفية وانتهت ازمتة الروحية التي عاناها حيث انه كان صادقا مع نفسه ولم يخذعها ليصبح مثالا لكل من يريد التكمل الخلقى والروحي كما انه استطاع ان يجعل من التصوف علما وحدد قواعده ومنهجه و آدابه.

<sup>1</sup> نفس المصدر ، ص 7.

<sup>2</sup> نفس المصدر ، ص 16.

<sup>3</sup> الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص 30 .



حدد الغزالي طريق الله ابتداء من مجاهدة النفس للوصول الى السعادة و المعرفة فألف كتاب احياء علوم الدين الذي قسمه الى اربعة اقسام وهي العبادات و العادات والمهلكات والمنجيات، و معرفتها مهمة لسلك الطريق الصوفي وجاء ذلك في قوله والعلم بآفات الطريق وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب « احياء علوم الدين » (الاربعة) فيعرف ( السالك للطريق) من ريع العبادات شروطها فبراعيتها وآفاتها فيتقيها ومن ريع العادات اسرار المعاش وما هو مضطر اليه فيأخذه باداب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ريع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم و يعلم طريق علاجه ، ويعرف من ريع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان توضع خلفا للمذمومة بعد محوها.....و أصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب و يسقط حب الدنيا معه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية و لا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها»<sup>1</sup>.

إن معرفة الغزالي للتصوف عن طريق العلم والدراسة وعمليا ما قام به دون شيخ أو مرشد على خطى الجنيد والمحاسبي والحارث والشبلي وغيرهم كان له الأثر البالغ في تحديد اخطاء المتصوفة وانحرفاتهم معبرا عن ما آل اليه المتصوفة في ما يلي : «...إن أكثر متصوفة هذه الأعصار .لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ،ودقائق الأعمال ،ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستنقلوا العمل ،واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم : من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريقة السؤال تعللا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في خانقاهات حكم

<sup>1</sup> الغزالي احياء علوم الدين ،ج3 ،ص354 .

نافذ .. فلبسوا المرقعات واتخذوا في خانقاهات منتزهات ويحسنون أنهم يحسنون صنعا ويعتقدون أن كل سواد تمرت ..فهؤلاء بغضاء الله ..»<sup>1</sup>

فبالنسبة له بعض المتصوفة سيطر عليهم الغرور وذلك بسبب الجهل وعدم تتبع الطريق الصحيح كما أنه انكر على بعض المتصوفة شطحاتهم ،وحكم على طائفة منهم والتي رفضت الاحكام وسووا بين الحلال والحرام بأنها مذاهب باطلة وضلالات هائلة . لقد كان اثر الغزالي في التصوف واضحا إذ انه حارب التشويه مبعدا التصوف عن كل مايشوب صفائه موجهها له نقدا بناء يهدف من خلاله لتصحيح الخطأ والقضاء على الانحراف مصححا بذلك مسار التصوف وواضعا معالم لطريق التصوف وناصحا كل من اراد سلوك طريق التصوف لابد عليه من ان يبدا بالعلم قبل المجاهدة لأن من يبدا بالعلم يملك في يده المقياس الصحيح .كما كان للغزالي الفضل الكبير في ازالة العداة بين الصوفية والفقهاء ومن خلال ما قام به الغزالي للتصوف والمتصوفة كان الهدف منه أن يكون التصوف تصوفا سنيا على طريقة الجنيد .

ومن خلال هذا يتبين ان الغزالي يرى غاية الطريق الصوفي الترقى الخلقى بالمجاهدة للنفس وان تحل الاخلاق الحميدة محل الاخلاق المذمومة حتى يتمكن السالك من معرفة الله تعالى ، ورياضة النفس عنده هي طب القلوب الذي يعد اهم من طب الابدان وبه يضمن الانسان حياته الأبدية وعلى كل واحد تعلمه لان قلوبنا لا تخلو من الاسقام. والسالك لابد له من الأخذ عن شيخ و في هذا الشأن يقول « فكذاك المرید يحتاج الى شيخ و أستاذ يقتدي به لا محالة ليهديهم إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طريقه»<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> انظر: صالح احمد الشامي، الامام الغزالي، ص 119.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 65.

ولابد على الشيخ ان يتخذ انماط متعددة لان المريدين مختلفين لذلك يجب مراعاة تلك الفروق الفردية وعلى المرید السالك التزام الخلوة و الصمت و الجوع و السهر ليصلح قلبه ويشاهد به ربه. و هذه القواعد التي وضعها الغزالي تآثر بها بعض صوفية الطرق. وهكذا انتهى الغزالي الى ان الكشف الصوفي أو الالهام هو ابرز مصادر المعرفة اليقينية بعد الوحي ويكون ذلك عن طريق الفيض الالهي وتكون هذه المعرفة القلبية الكشفية مصحوبة ببرد اليقين اذا فبطريقة الكشف الصوفي او الالهام يكون العلم اليقيني وهذا ما قال عنه الغزالي.

المبحث الرابع: المشاهدة والكشف في منهج الغزالي والوصول إلى السعادة .

المشاهدة والكشف:

ارتبط التصوف السني أو المعتدل باسم أبو حامد الغزالي الذي استطاع أن يعدد لنا الصفات التي يتميز بها تصوف أهل الاعتدال وهي المشاهدة L'observation والكشف Detection وهذا الأخير عند الغزالي مصحوب بالفناء أي لا يتم إلا إذا كان العبد في حال فناء في وحدانية الله ولا يرى إلا الله وعن هذا يقول الغزالي: «هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث أنه عبد الله، فهذا هو الذي يقال فيه أنه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه واليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففينا عنا فبقينا بلا نحن»<sup>1</sup>.

هذا هو حال من فنى في التوحيد وعن حال من لم يعرف ولم يحس هذه الحال يقول الغزالي « فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر، أشكلت لضعف الإفهام عن دركها، وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض إلى الإفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيه، فهذا هو السبب في قصور الإفهام عن معرفة الله تعالى»<sup>2</sup>.

إن الغزالي لا يقصد بالفناء فناء الجسد وإنما فناء القلب وليس المقصود بالقلب الدم واللحم وإنما السر اللطيف وهذا الفناء يعتبر مقام من مقامات المكاشفة. ولقد قسم الغزالي التصوف إلى قسمين الأول التصوف كعلم للمعاملة والثاني تصوف كعلم المكاشفة كما أنه جمع بين طريقتين: طريق النظر وطريق التصفية فكان بحق من عقلاء الصوفية، ويمكن

<sup>1</sup> الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 276.

<sup>2</sup> نفس المصدر، نفس الصفحة.

على هذا الاعتبار ، أن نعه من هولاء الباحثين بالعقل عن حقائق الإيمان الذين لم يمنعهم اشتغالهم بالنظر والاستدلال من الاشتغال برياضة النفس وتهذيب الأخلاق.<sup>1</sup>

ورغم اختلاف الطرق وتعددتها إلا أن السالكون الحقيقيون هم :ما يبتدئ من طريق العلم إلى العرفان ،من طريق المشاهدة إلى الغيب ،وثانيهما :ما يتجلى الحق له بالجذبة الإلهية فيبتدئ من الغيب ثم ينكشف له عالم المشاهدة أي يبدأ بالذوق وينتهي إلى الحكمة العقلية.<sup>2</sup>

يعتبر الكشف Detection بالنسبة للغزالي نتيجة شكه أثناء بحثه عن الحقيقة في المحسوسات Les sens والعقليات Les moralites بذلك النور الذي قذفه الله سبحانه وتعالى في صدره ويكون بداية لمعارف جمة،وعلم المكاشفة يعتبر علم خفي لا يعلمه إلا أهل العلم وفي هذا الشأن يقول الغزالي «وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له»<sup>3</sup>.

وعن علم المكاشفة يقول الغزالي في الجزء الأول من كتاب الإحياء « هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف عن ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة ،فنتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله ،وبصفاته الباقيات التامات ،وبأفعاله ،وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة»<sup>4</sup>

<sup>1</sup> RUSSELL(B);MYSTICISM AND LOGIC,SELECTED PAPERS,THEMODERN LIBRARY,NEW YORK,1927,P16

<sup>2</sup> علي سامي النشار ،منهج البحث عند مفكري الإسلام ،دار المعارف ،1966 ،ص 320.

<sup>3</sup> انظر:أبو الوفاء الغنيمي التفقا زاري ،مدخل إلى التصوف الإسلامي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر، ط 3 ،دت ،ص ص 180 181.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج1 ،ص ص 19 20.

انطلاقاً مما قاله الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط Immanuel Kant في الذوق حينما قال عن الأدواق لا تناقش وإنما نستلهمها وهذا هو حال المشاهدة والكشف مادامت من المسائل الذوقية إذ لا يمكن الحديث عنها ووصفها وإنما هي حال نعيشها وفي ذلك يقول الغزالي «... اعلم أن بعض مسائلك التي سألتني عنها لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول إن لم تبلغ تلك الحالة حتى تعرف ما هي . وإلا فعلمها من المستحيلات لأنها ذوقية وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وضعه بالقول ، كحلاوة الحلو ومرارة المر لا يعرف إلا بالذوق»<sup>1</sup>

ينبني التصوف السني (تصوف أهل الاعتدال) على علم المكاشفة وعلم المعاملة. فالتصوف عند الغزالي شيئان: الصدق مع الله تعالى وحسن المعاملة مع الخلق فكل من صدق مع الله تعالى ، و أن يفني العبد حظوظ نفسه لأمره تعالى ويفتضي حسن المعاملة مع الخلق أن لا يفضل مراده على مرادهم ما دام مرادهم موافقا للشرع لان كل من رضي بمخالفة الشرع أو خالفه لا يكون صوفياً وان ادعى التصوف يكون كاذباً.<sup>2</sup>

يعتبر القلب عند الغزالي مدار الكشف لان هذا الأخير هو سره ولا يمكن أن يتناقضا لان في تناقضهما إبطال للشرع كما يعتبر الغزالي التوحيد Unification هو علم المكاشفة. وعن عقيدة التوحيد فعنده - الغزالي - تتبني على أربعة مراتب: أولها أن يقول الإنسان لا اله إلا الله وثانيها أن يصدق بمعنى اللفظ كما صدق به عموم المسلمين وثالثها أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ورابعها لا يرى في الوجود إلا واحد ومن هذا فان الفناء في التوحيد مرتبط بالكشف وحالة المشاهدة لا تحدث إلا في حال الفناء.

وقد أقام الغزالي موضوع المشاهدة على التوحيد كما أقام موضوع الفناء على المشاهدة وعلى نظرية المعرفة والفناء عند الغزالي ثمرة تتوجها المعرفة الخالصة بالذات

<sup>1</sup> انظر: مجدي إبراهيم ، التصوف السني ، ص 506.

<sup>2</sup> انظر : نفس المرجع ، ص 507.

الإلهية .ولا تكون المعرفة الخالصة بالذات الإلهية إلا ويكون التوحيد سابقا عليها توحيد خالص يقصد به وجه الله .<sup>1</sup>

إن التوحيد عند الغزالي لا يمكن أن يكون باللسان دون القلب لان القلب يرى الله بحقائق الإيمان لذلك ينبغي أن يكون قائما على القلب كما انه جعل من المشاهدة والكشف تضمينا لحقيقة التوحيد.

لقد وصف لنا الغزالي أحوال الصوفية عندما تقع عليهم المشاهدة والكشف وذلك في قوله : « ومن أول الطرق تبدي المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد ،ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحول معبرا أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظة على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه وعلى الجملة: أن ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول»<sup>2</sup>.

انطلاقا مما سبق نقف على حقيقة وهي أن المشاهدة والكشف حالة دالة على الالتزام بالشرعية وإفشاء أسرارها بالنسبة للصوفية عامة وللغزالي خاصة لا يجوز ،فقد قالوا لمن يفشي السر كافر .لان المشاهدة التي تحدث للولي بالنسبة لهم من جنس النبوة إلا أن الاختلاف يكمن في ما يتلقاه الولي والنبوي.

إن منهج الغزالي في التصوف يعبر عن حقائق الطريق الصوفي وقام مناهاضا للتصوف المنحرف راسما صورة تصوف الاعتدال وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اطلاع الغزالي على تصوف القدماء فيه استطاع - منهجه - أن يكشف حقيقة التصوف

<sup>1</sup> مجدي إبراهيم ،التصوف السني ،ص 510.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي المنقذ من الضلال ،ص ص 131 132.

الفاقد ويثبت لنا حقيقة وهي أن التصوف السني الحقيقي لا يمكن أن يكون عن طريق عقلي خالص ولا طريق ذوقي وإنما بهما الاثنين أي أن هناك رابط بين ذوق الإنسان وعقله.

### الأحوال والمقامات :

وفي حديثنا عن الأحوال Les situations والمقامات نقف عند ما حكي عن الجنيد رحمه الله انه قال «لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات»<sup>1</sup> إذا فالأحوال هي خاصية من خواص السالك تحدث له بعد المجاهدة والمكابدة وحمل النفس على المشاق البدنية والمحال "Mood"State اقرب إلى الدلالة السيكولوجية فالأحوال مواهب تأتي من عين الجود والمقامات مكاسب تحصل ببذل المجهود.<sup>2</sup>

ومن خلال هذا نقف عند شيء مهم وهو أن المقامات تسبق الأحوال لان الإنسان لا يمكن أن يصل إلى هذه الأخيرة إلا بعد أن يقطع شوطا في المقامات. وعن الأحوال والمقامات يقول ابن خلدون في كتابه المقدمة «المقامات لا يزال المرید يترقى فيها من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة... فالمرید لا بد له من الترقى في هذه الأطوار واصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان وإذا وقع تقصير في النتيجة أو الخلل فيعلم انه إنما أتى من قبل التقصير في الذي قبله»<sup>3</sup>

إن هدف الأحوال والمقامات أخلاقي لان له اثر بالغ على سلوك الإنسان الصوفي وتقوده إلى حال الفناء والمشاهدة وقال السهر ورد ي في كتابه عوارف المعارف: المقامات

<sup>1</sup> انظر: مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 75.

<sup>2</sup> نفس المرجع، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص ص 439 440.



والأحوال سلسلة النظام الصوفي الذي يقود العبد إلى حال الفناء والمشاهدة وليس مقام المشاهدة إلا أحوالا وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص إلى البقاء والترقي من عين اليقين إلى حق اليقين نازل يخرق شغاف القلب ،وذلك أعلى فروع المشاهدة.<sup>1</sup> وكما سبق واشرنا أن المقامات تسبق الأحوال حتى في ذكرنا لها نبتدئ بالمقامات .

#### أ-المقامات :

#### 1-مقام التوبة :

التوبة La repentance هي أول المقامات وأول خطى الطريق وبداية السلوك والعمل ويهتم الصوفية بهذا المقام لأنه مفتاح الطريق للسالكين ، فمن لم يكن منهم منيبا إلى الله لا يصح أن يكون سالكا للطريق.<sup>2</sup>

الإنسان التائب يحبه الله ويمنحه الهداية ويصور له طريق التوبة والإنابة ليتبعه إذ لا بد عليه أن يقلع عن الذنب ويفكر بان هناك اله خالق رؤف بعباده يقبل توبتهم ،وقيل انه ذات مرة سئل الجنيد عن التوبة فأجاب إنها نسيان الذنب والمقصود من هذا أن العبد ينقطع في عمله لله سبحانه وتعالى وينشغل بذكره.

وفي هذا الصدد يقول الغزالي: إن تصور الذنب وذكره والتفجع عليه والاحتراف ندما عليه ذلك كله كمال في حق العبد المبتدئ...ويعلل الغزالي ذلك بان العبد إذا نسى ذنبه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعثه لسلوك الطريق.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> السهر وردي ،عوارف المعارف ،مكتبة القاهرة ،1973، ص 423.

<sup>2</sup> مجدي إبراهيم ، التصوف السني ،ص 79.

<sup>3</sup> نفس المرجع،ص 81.

وما قال به الغزالي يخالف رأي شيخه أبو المعالي الجويني الذي يرى بان التوبة هي رجوع العبد إلى حقيقة حضور الذهن في المعرفة بعد حال الذهول والغفلة وكان ذلك في كتابه العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية حين قال : « العارف يعتريه إغفال وذهول وانهماك في شهوات عندما يعصى فإذا عاد سطوع المعرفة دائما فهو عودة وتوبة وهذه الحالة توجب لا محالة ندما وعزما وحلا لعقد الإصرار وحزنا على ما تقدم وتأسف وتمنيا أن لو لم يكن فعل»<sup>1</sup>

لابد على العبد أن ينسى الذنب لان تذكره لذنبه قد يحرك شهوته ولا تكون توبته صحيحة وصادقة لان هذه الأخيرة يجب أن تكون لله ومسبوقة بمعرفة حقيقية ويكون قلبه مشغولا بالله حتى لا يتمكن منه الهوى وفي هذا الشأن يقول السهر ردي «سئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشئ ويتركه ثم يخطر ذلك الشئ بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى وينكر بقلبه ويلزم نفسه الإنكار ولا يفارقها ويدعو الله أن ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكر وطاعته قال: وان غفل عن الإنكار طرفة عين أخاف أن لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة ويلزم قلبه الإنكار ويحزن فانه لا يضره»<sup>2</sup>.

## 2-مقام الورع :

عن الورع قال يحيى بن معاذ الرازي(ت 258هـ) «الوقوف على حد العلم من غير

تأويل»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبو المعالي الجويني ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ،تقديم ، تحق :احمد حجازي السقا ،مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ،مصر ،ط1 ، 1979 ،ص 93.

<sup>2</sup> السهر وردي ،عوارف المعارف، ص 439.

<sup>3</sup> انظر مجدي إبراهيم ،التصوف السني ،ص84.

وحكي عن الحارث المحاسبي (ت 243هـ) رحمه الله انه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة فالورع هو الخروج من كل شبهة ،ومحاسبة النفس في كل صرفة كما ذكر يونس بن عبيد.<sup>1</sup>

قال أبي سعيد الخراز : « الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة ولا دعوى ولا طلبية »<sup>2</sup>

إن الصوفية يبتعدون عن كل ما فيه شبهة ويشغلون قلوبهم بذكر الله وهذا هو الورع الحقيقي عندهم كما ينبغي عليك أن تتبعد عن كل ما يشتت قلبك فيه يسلك العبد طريق الله ويجنبه الوقوع في الشبهات.

### 3-مقام الزهد :

إن الزهد مقرون بالصوفية حيث إنهم منسبون إليه في أحوالهم ومراتبهم ويقطع رغبتهم في الدنيا ويوصلها بالآخرة وفيهم يقول الغزالي «عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه »<sup>3</sup> أي أن الإنسان الزاهد لا بد أن يترك ملذات الدنيا وأموالها ولا يترك الأشياء التي ليست في رغبته حيث يقول البعض « الزاهد في الدنيا هو الراغب في الآخرة الذي قد جعلها نصب عينيه ،كأنه يرى عقابها وثوابها فهو عازف عن الدنيا»<sup>4</sup>.

وعن أحوال العبد الزاهد يقول الطوسي في كتاب اللمع «أساس الأحوال الراضية والمراتب السنية وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل والمنقطعين إلى الله والراضين عن

<sup>1</sup> انظر نفس المرجع ،نفس الصفحة.

<sup>2</sup> الطوسي ،أبو نصر السراج ، اللمع ،ص 70.

<sup>3</sup> الغزالي ، الإحياء ،ج 4 ،ص 216.

<sup>4</sup> أبو سعيد الخراز ،الطريق إلى الله «كتاب الصدق» تحقق: عبد الحلیم محمود ،دار المعارف ،ط5 ،ص 56.

الله والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده  
لان حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل طاعة <sup>1</sup>.

الزاهد لا ينبغي عليه أن يفرح بالدنيا إذا أقبلت عليه ولا يغضب إذا أدبرت عليه لان  
نفسه تجره إلى ملذات الدنيا مدام يعيش فيها ومن الصعب عند البعض أن يزهد الإنسان في  
ماله الذي تعب من اجل جمعه .

وعن الزهد يقول الصوفية : وهم بذلك أرادوا بالزهد في الأملاك اقتترانه بالجود والكرم  
وكثرة العطاء فليس معناه أن ينقطع الإنسان عن مهمة السعي والتكليف ، ولكن معناه ان  
يقوم بتطبيق ما كلف به ، ويسعى جاهدا في بلوغه وعندما يناله يزهد فيه . ويرتفع عن ان ينال  
هو من قيمة الإنسانية الخالدة والباقية <sup>2</sup>.

يقول إبراهيم بن ادهم في الزهد « قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد  
اليقين حتى ترفع هذه الحجب : الفرح بالوجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح ، فإذا  
فرحت بالموجود فأنت حريص ، والحريص محروم وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط  
، والساخط معذب ، وإذا سررت بالمدح ، فأنت معجب والعجب يحبط العمل <sup>3</sup> .

لقد حدد السهرورد ي درجات الزهد ولخصها فيما يلي :

1- يتخلى عن الإرادة والاختيار ويبقى بارادة الله واختياره.

2- ترك الدنيا يكون بمراد الحق لا بمراده.

<sup>1</sup> انظر :مجدي إبراهيم ،التصوف السني ،ص 87.

<sup>2</sup> انظر: نفس المرجع ،ص90.

<sup>3</sup> أبو طالب المكي ،قوت القلوب ،مطبعة الأنوار المحمدية ،القاهرة ،مصر ج 1 ، 1985 ،

3- الزاهد إذا تعلق بالدنيا ورغب فيها ،فمن الله ،وذلك لا ينقص عليه زهده وفقا للتسليم المطلق لله.

4- فقد يرد الله عليه الاختيار مرة أخرى فيعود إلى الزهد وترك الدنيا باختيار الإقتداء بالأنبياء الصالحين.

5- وقد يعجز الزاهد فذلك من الرفق به أن يأخذها ولا يتركها.

6- وقد يتناول الزاهد هذا الرفق باختيار...لان صريح العلم يقوده إلى أن يرفق بالنفس ويظل في هذا المقام الذي وقف عنده وكفى ..وقد قيل :العجز عن درك الإدراك إدراك.<sup>1</sup>

### 3- الدنيا في أذهان الصوفية :

وما بين الدنيا والآخرة تصورات وضعها الصوفية وحملت الدنيا - عندهم -على محمل الكراهية والنفور ،وأصحاب الاعتدال من أهل التصوف لم يجعلوا الدنيا إلا تمهيدا يتقبلون به الشؤون الأخروية.<sup>2</sup>

وما يستند إليه الصوفية من القرآن الكريم في بغضهم للدنيا قوله تعالى «الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا ايديكم وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا»<sup>3</sup>. ويجعلون من الدنيا دار العمل المتواصل التي تمهد لدار الجزاء.

<sup>1</sup> المرجع السابق ،ص 94.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص 95.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة النساء الآية 77.

وقال أبو سعيد الخراز: «و أعلى درجات الذين زهدوا في الدنيا: هم الذين وافقوا الله تعالى في محبته فكانوا عبيدا عقلاء عن الله عز وجل أكياسا محين ،سمعوا جل ذكره ثم الدنيا ووضع من قدرها ولم يرضها دارا لأوليائه استحيوا من الله عز وجل ان يراهم راكنين إلى شيء ولم يرضه وجعلوا ذلك على أنفسهم فرضا ولم يبتغوا عليه من الله عز وجل جزاء ولكن وافقوا الله في محبته كرما والله لا يضيع اجر من أحسن عملا»<sup>1</sup>.

وعن احتقار الدنيا يقول الجنيد: «إن الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة ،وان العالم كله شر،ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما اكره ،فان تلقاني بكل ما أحب فهو فضل ،والا فالأصل هو الأول»<sup>2</sup>. ومن هذا ينبغي علينا أن لا نجعل من الدنيا تعمير وأنها دائمة وتتبع لذاتها فقد تتسببنا الحساب والعقاب ،وانما ننظر إليها بعيون الصوفية أي كما صورها القرآن الكريم.

#### 4- مقام الفقر:

انطلاقا من الآية الكريمة التي وردت في سورة البقرة نتعرف على مقام الفقر، قال تعالى: «للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم»<sup>3</sup>.

إن الصوفية أحبوا الفقر وأعطوه مكانة كبيرة وهذا قال به الطوسي .إن الفقر عند الصوفية مقام شريف وعظيم وهو رداء الشرف ولباس المرسلين ،وجلباب الصالحين وتاج المتقين ،وزين المؤمنين ،وغنيمة العارفين ومنبه المريرين وحصن المطيعين وسجن المذنبين

<sup>1</sup> المرجع السابق ،ص 96.

<sup>2</sup> ابن عباد أنفري الرندي ،غيث الواهب العلية في شرح الحكم العطائية،تحق: عبد الحليم محمود ،محمود ال شريف ،مطبعة السعادة ج 1، 1970، ص ص 111 113 .

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة البقرة ،الآية 273.

ومكفر للسيئات ومعظم للحسنات ورافع للدرجات ومبلغ إلى الغايات ،وكرامة لأهل ولايته من الأبرار .<sup>1</sup>

لا ينبغي على المتصوف أن يتخذ من الفقر ذريعة يستضعف الناس ويستلطف قلوبهم لان ذلك لا يمت بصلة للتصوف الرشيد وإنما هو اقرب للتصوف المنحرف ،فالعفة من أخلاق الرجل الشريف الفقير ،الذي يحبب الله إليه البذل والسخاء ويطبع على قلوبهم الرضى والبشاشة وما يعبر عنهم قوله تعالى : «والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ويحبون من هاجر اليهم ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»<sup>2</sup>.

إن العبد الفقير الصابر اقرب وأحب إلى الله من العبد الغني لان الفقير يؤدي إلى الله بينما الغنى يؤدي إلى الفجر والفسوق والعصيان والطمع في جمع الأموال بشتى الطرق،والفقير محبوب عند الناس على عكس الغني الذي محقود عليه من الأغنياء أمثاله والفقراء وحتى في يوم القيامة حساب الأغنياء يكون عسير لان الغنى باب المصائب.

### 5- مقام الصبر:

جاء في القرآن الكريم عن الصبر ما يلي :

قال تعالى :«ما عندكم ينفذ وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»<sup>3</sup>.

قال تعالى:«واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> انظر: مجدي إبراهيم ،التصوف السني ،الآية 9.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة الحشر،الآية 9.

<sup>3</sup> القرآن الكريم :سورة النحل الآية 96.

من خلال الآيتين الكريمتين يتبين لنا إن للصابرين مكانة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى واجر عظيم من عنده وفي هذا الشأن يقول الجنيد « إن الله تعالى أكرم المؤمنين بالإيمان وأكرم الإيمان بالعقل، وأكرم العقل بالصبر فالإيمان زين المؤمن والعقل زين الإيمان والصبر زين العقل»<sup>2</sup>.

وفي المقابل نجد: من الناس من لا يطيق مرارة الصبر ولا يحتمل خطوب الزمان فإذا نزلت به كارثة أو حل عليه ابتلاء نهضت طواياه بالتهجم والعبوس، ويخيل إليه أن الدنيا أغلقت بابها في وجهه ليكون مصيره الدمار، وليس هذا سوى نقصا في الإيمان فقد بينتلى الله عباده ليختبر قدرتهم على الصبر لان الصبر تمام الإيمان والدنيا في كل الأحوال لا تفتح للعبد ذراعها بالقبول وبشاشة الترحاب.<sup>3</sup>

الإنسان عند الصوفية بإمكانه أن يحدد مصيره بنفسه من خلال مجاهدته للأهواء بالصبر وعلى قدر عزمته يكون صلاحه.

## 6- مقام التوكل:

وعن التوكل ذكر لنا الطوسي أن هناك ثلاثة أنواع وهي توكل أهل الخصوص وهو موت النفس عن ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة، وتوكل المؤمنين وهو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فان أعطى شكر وان منع صبر راضيا موافقا للقدر، وتوكل خصوص الخصوص فهو اعتماد القلب على الله.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الطور الآية 48.

<sup>2</sup> السهر وردي، عوارف المعارف، ص 444.

<sup>3</sup> مجدي إبراهيم، التصوف السني، ص 106.



جاء التوكل في القرآن الكريم في قوله تعالى « وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدينا سبلنا ولنصبر على ما اذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون»<sup>1</sup>. وفي آيات أخرى إلا انه احدث ثورة على الصوفية حيث تعرضوا لهجومات وانتقادات وقيل عنهم إنهم سبب تخلف الأمة الإسلامية ودعوا إلى الكسل والخمول. إلا أن هذا يبقى اعتقاد خاطئ لان التوكل محله القلب وليس الجوارح. وفي هذا الشأن قال سهل: «من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان»<sup>2</sup>.

وفي أقوال الأولياء في مقام التوكل لا يمكننا أن نحصيها فمنهم من قال عن التوكل بأنه حال النبي والكسب سنته ومنهم من ربط الكسب بالسنة كذلك والتوكل بالإيمان وبالنسبة لتيسير وتعسير أمورنا بتقدير الله والتوكل عند الصوفية لم يكن مانعا لكسب الرزق والسعي .

الغزالي وهو في أرقى مراحل حياته الروحية كانت تشغله مهمات العيال، وضرورات المعاش، وتغير لديه في وجه المراد وتشوش عليه صفوة خلواته<sup>3</sup>. وهذا يعني أن الصوفية لم يكونوا يدعون إلى التواكل وإنما يدعون إلى التوكل وهو تفويض لحكم الله يفعل في ملكه ما يشاء ومن عرف التوكل عرف التوحيد وما يرمي إليه الصوفية من خلال مقام التوكل هو حصر النفس في زاوية الطاعة مقيدة بقيود الالتزام الشرعية.

**7- مقام الرضى:** الرضى من الله والرضوان من العباد فإذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت

الطمأنينة بالقلوب والرضى يعول على القلب حين يرضى بحكم الله بين شغافة وطواياه والباعث على الرضى عمار القلب بمعرفة الله<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 12.

<sup>2</sup> القشيري، الرسالة القشيرية، ص 166.

<sup>3</sup> الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 130.

<sup>4</sup> مجدي إبراهيم، التصوف السني، ص 117.

الرضى دليل الانتقال إلى طور الحال ولا يمكن أن يناله من كان قلبه معلق بالدنيا إذ يجب أن يكون قلب العبد مسرورا بالمصيبة كما يكون مسرورا بنعمة السعادة.

وأهل الرضا في الرضا ينقسمون إلى ثلاث :

- 1- منهم من عمل في إسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستويا لله عز وجل فيما يجري عليه من حكم الله من المكاره، والشدائد والرحات والمنع والعطاء.
- 2- ومنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل برؤية رضا الله عنه فلا يثبت لنفسه قدم في الرضا وان استوى عنده الشدة والرخاء والمنع والعطاء.
- 3- ومنهم من جاوز هذا وذهب عن رؤية رضا الله عنه ورضا عن الله لما سبق من الله تعالى لخالقه من الرضا<sup>1</sup>.

مقام الرضا عند الصوفية يظهر على مزية خاصة بأهل السلوك وهي التسليم المطلق لله الذي لا يدع العبد يفكر في شئ غير ما أراه الله له وهو فرح بما ينزله عليه من خير أو شر لأنه مستعمل من قبيل الله ومن وجوه بيان حقيقة.

ب- الأحوال:

### 1- حال المراقبة:

يستند الصوفية في حال المراقبة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية حيث في هذه الحال ينصرف قلب العبد لمراقبة الله تعالى بعد أن تيقن أن الله يراقبه كما أن العبد ينقطع لها - المراقبة - بعد أن يحاسب نفسه محاسبة عسيرة في حركاتها وسكانتها ولا تظهر عليه علامات النقص والتغافل فيصل بعد ذلك للمشاهدة والكشف وفي هذا الشأن يقول

<sup>1</sup> انظر: نفس المرجع، ص 118.

الجريري «من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة»<sup>1</sup>.

وبعد تتبعنا لحال المراقبة في أقوال الأولياء انه يوجد على درجات متفاوتة أرقاها وأعظمها التحقيق والتي تصل الإنسان بربه فيكون منشغلا به لوحده وتكون حركة القلب تجاه الله ،وفي المراقبة لابد من الجمع بين العلم والعمل.والصوفية يدققون على مراقبة الخواطر عند الغفلات ،فأعلى درجات التوبة هي التوبة عند الغفلة ،وإنما حدثت الغفلات لسهو الصادقين من أهل الخصوص عن المراقبة والمراقبة تقتضي القرب.<sup>2</sup>

## 2- حال القرب:

بنى الصوفية حال القرب على آيات قرآنية منها قال تعالى: «ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون»<sup>3</sup>.

قال تعالى: «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب إليه من حبل الوريد»<sup>4</sup>.

لكي يتسنى للعبد القرب من ربه لابد عليه من الطاعة التامة والمداومة على ذكر الله ويكون قربه على حساب قلبه من الله ،ويزداد مع زيادة الطاعات يؤدي ما فرض عليه من الله سبحانه وتعالى ويأتمر بأوامره وينتهي لنواهيهِ ويجاهد نفسه وهذا ما نجده في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي « ما تقرب عبد إلي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به

<sup>1</sup> القشيري ،الرسالة القشيرية ،ص 189.

<sup>2</sup> المرجع السابق ،ص 123.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة الواقعة ،الآية 85.

<sup>4</sup> القرآن الكريم ،سورة ق الآية 16.

وبصره الذي يبصر به ،ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ،وان سألني أعطيته  
ولئن إستعاذني لأعدته «<sup>1</sup>.

### 3- حال المحبة :

إن مرجعية الصوفية في حال المحبة هي القرآن الكريم استنادا لآياته الكريمة منها  
قوله تعالى: « ياأيها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه  
أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك  
فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم»<sup>2</sup>.

وعند المتصوفة الحب مرتبط بالإيمان ودليل ذلك ما نجده في قوت القلوب للمكي «إذا  
كان الإيمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فإذا دخل  
الإيمان باطن القلب فكان في سويدائه أحب الحب البالغ، ومحبته ذلك أن ينظر فان كان يؤثر  
الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله هي محبة العبد من  
كل شيء فهو محب لله حقا كما انه مؤمن به حقا .. فأدل علامات المحبة الإيثار للمحبوب  
على ذخائر القلوب»<sup>3</sup>.

يعتبر انقطاع المحب إلى الله انقطاعا تاما أعلى درجات المحبة لان العبد هنا يتجرد  
لله ويفنى فيه وهذا ما نجده في آراء السرى السقطي وابن أخته الجنيد ،والمحب عندما يفنى  
في حبيبه فانه يقلده ويكرر كلامه ويجاهد بماله وبنفسه ليزداد قربه منه.

### 4- حال الخوف والرجاء :

<sup>1</sup> انظر :مجدي إبراهيم ،التصوف السني ،ص 126.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة المائدة ،الآية 54.

<sup>3</sup> أبو طالب المكي ،قوت القلوب ،ج2 ،ص 51.

يقترن الرجاء بالخوف عند الصوفية ،منهم من يقدم الخوف على الرجاء ومنهم من يقدم الرجاء Le souhait على الخوف La peur ومنهم من يعدهما من جملة المقامات – كما في قوت – ومنهم من يراها من جملة الأحوال.<sup>1</sup>

إن الخوف عند المتصوفة ليس خوفا واحدا فمنهم يرى بأن له ثلاثة أنواع وهي خوف الآجلة وخوف الأوساط وخوف العامة ومنهم من يرى أن للخوف مقامين أولهما الخوف من الله والثاني الخوف من عذاب الله .وإما بالنسبة للرجاء فقسمه الطوسي إلى ثلاثة أولها رجاء في الله لعبد تحقق في الرجاء وثانيها رجاء في سعة رحمة الله وثالثها رجاء في ثواب الله.

### 5- حال الشوق:

انطلاقا من تعريف القشيري للشوق في الرسالة القشيرية نقف على حقيقة حال الشوق وهذا التعريف هو: «اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب ،وعلى قدر المحبة يكون الشوق وإنما الشوق لعبد قد تبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه »<sup>2</sup>.

فمن هذا التعريف يتضح لنا جليا بان الشوق Le desir والمحبة مقترنان فالأول يصدر عن الثاني وقيل أن أكثر الناس شوقا هم الفنانون.

الشوق عند الصوفية « نار الله تعالى أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات »<sup>3</sup>.

العلم والمعرفة أساس الشوق لان العبد كلما عرف الله ازداد شوقا إليه وكذلك صفاء القلب من كل الشوائب التي قد تشغله عن حب الله وعلى العكس فلا يمكن للجهل أن يهدي إلى الشوق.

<sup>1</sup> المرجع السابق ،ص 146.

<sup>2</sup> القشيري ،الرسالة القشيرية ،ص 329.

<sup>3</sup> الطوسي ،اللمع ،ص 94.

## 6- حال الأنس:

قال الجنيد عن الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة، ففي هذه العبارة تلخيص وافي لمعنى الأنس بالله إذ ليس معناه ارتفاع الهيبة وهتك حرمان الجلالة في القرية ولكنه إقرار الوجدانية والتفرد مع وجود الاستثناس بالله وهو عين التمكين الذي لا يفرغ فيه الراسخون ولا يفرغهم أن يصيبونه، فلا يستوحش العبد من شيء أكثر مما يشغله عن الله تعالى شاغل. فيستبدل وحشته أنسا وبعده قريبا طالما كان على ذكر الله.<sup>1</sup>

لقد قسم الطوسي حال الأنس في كتابه اللمع إلى ثلاثة أقسام وهي من يأنس بالذكر ويستوحش من الغفلة، ويأنس بالطاعة ويستوحش من الذنب، وهو لعبد قد استأنس بالله واستوحش مما سواه من العوارض والخواطر المشغلة، وهو الذهاب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والقرب والتعظيم مع الأنس.

إذا نظرنا إلى الصوفية نجد منهم من يستأنس بالله ومنهم من يدعى الاستثناس بالله وعن هولاء قال الغزالي في كتابه الإحياء «ومن لم يقيم في ذلك المقام - الأنس - ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر»<sup>2</sup>. وأصحاب الأنس لهم كلام خاص ومناجات خاصة.

## 7- حال الطمأنينة: يصل العبد إلى الطمأنينة La detente إذا آمن بالله وصفى قلبه ورجح عقله وثبت على دين الله وهذا ما نجده في قوله تعالى «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: مجدي إبراهيم، التصوف السني، ص 152.

<sup>2</sup> الغزالي، إحياء علوم الدين ج 4، ص 340 341.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 28.

قسم الطوسي الطمأنينة إلى ثلاثة ضروب ،منها للعامّة لأنهم إذا ذكروا اطمأنوا إلى ذكرهم له فحفظهم.ومنها للخصوص رضوا بقضائه وصبروا على بلائه واخلصوا واتقوا وسكنوا واطمأنوا إلى الله تعالى .ومنها لخصوص الخصوص وهؤلاء علموا أن سرائرهم لا تقدر أن تطمئن إليه ولا تسكن معه هيبية وتعظيما لأنه ليس له غاية تدرك.

### 8-حال المشاهدة:

إن أداة المشاهدة هي القلب وليست العين ودليل ذلك ما جاء في الآية الكريمة قوله تعالى «إن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد»<sup>1</sup>.

وعن المشاهدة قال الخراز أبو سعيد «من شاهد الله تعالى بقلبه خنس عنه مادونه، وتلاشى كل شيء وغاب عنه وجود عظمة الله تعالى ولم يبقى في القلب إلا الله عز وجل»<sup>2</sup>

ونظرا لأهمية المشاهدة كما رأينا في الآية الكريمة السابقة الذكر نجد حتى في السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى برؤية الله أن تكون في القلب La cœur ويظهر ذلك عندما أوصى عبد الله بن عمر بان يعبد الله كأنه يراه.

تتقسم المشاهدة القلبية إلى ثلاثة أحوال:

حال المریدون :الذين يشاهدون الأشياء بعين العبر ويشاهدونها بأعين الفكر.

وحال الأوساط :ويفسرهم قول أبو سعيد الخراز الخلق في قبضة الحق وفي ملكة فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في وهمه غير الله.

<sup>1</sup> القرآن الكريم :سورة ق ،الآية 37.

<sup>2</sup> انظر: مجدي إبراهيم ، التصوف السني ،ص ص 156 157.

وحال العارفين :وهم الذين شاهدت قلوبهم الله مشاهدة « تثبت » فشاهدوه بكل شيء وشاهدوا كل الكائنات به فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به ،فكانوا غائبين حاضرين ،وحاضرين غائبين على انفراد الحق في الغيبة والحضور فشاهدوه ظاهرا وباطنا وباطنا وظاهرا وأخرا وأولا وأولا وأخرا.<sup>1</sup>

### 9-حال اليقين:

يعتبر اليقين La certitude ذروة التجربة الصوفية الروحية وفيه نجد معنى المكاشفة و به يصل العبد إلى حقيقة الوجدانية وتزيل الشكوك ويصدق بالغيب ويدوق حلاوة المناجاة واليقين بدوره ينقسم إلى ثلاث درجات:

علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق ،والوقوف على ما قام بالحق. عين اليقين وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبرة بالعيان وخرق شهود حجام العلم.

حق اليقين وهو أسفار صبح الكشف ،ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين.<sup>2</sup>

لقد عددنا المقامات والأحوال وتعرفنا على أساسيتها ووصلنا إلى نتيجة مفادها هو أن ينبغي على العبد أن يتدرج فيها حتى يصل إلى الفناء وهذا ما تقتضيه الطريقة فلا يمكن تقديم احدها عن الآخر وهي تهدف إلى تهذيب الناحية الأخلاقية عند العبد المرید.

### 3-السعادة غاية نهاية الطريق الصوفي عند الغزالي:

<sup>1</sup> انظر : نفس المرجع ،ص ص 157 158.

<sup>2</sup> انظر :نفس المرجع ،ص159.



تعتبر السعادة Le bonheur عند أبو حامد الغزالي نهاية الطريق الصوفي أي أنها أعلى الدرجات التي يصل إليها العبد العارف بالله ولقد خصص لها كتاب اسماه "كيمياء السعادة" حيث تناولها بشكل مفصل عكس من سبقوه وكيمياء السعادة هاته عند الغزالي في خزائن الله سبحانه وتعالى إذ لا يمكن أن يحصل عليها العبد العادي إلا بواسطة النبوة، فهناك من يرى ان هذه الكيمياء قد تأخذ من العارفين إلا أن الغزالي يرى هذا غير مضمون لان أسرار هؤلاء الشيوخ والعارفين قد تمتزج بعوارض دنيوية على عكس النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من هذا لذلك أن الله سبحانه وتعالى بعث في الناس أنبياء يعلمونهم ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين »<sup>1</sup>. أي أن هذا النبي يظهر قلوب العباد ويجعلها معلقة بالله ويجعلهم يعرفون نفوسهم حتى يعرفوا الله.

لقد قسم الغزالي السعادة تبعا للصفات التي هي في باطن الإنسان فسعادة البهائم في الأكل والشرب والنكاح والنوم وسعادة الشياطين في الشر وسعادة السباع في الضرب والفتك وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية إذ ينبغي على الإنسان أن يجتهد في بلوغ الحضرة الإلهية ويبلغ مشاهدة الجلال والجمال ويتخلص من الشهوات لان الإنسان يتكون من القلب والنفس والروح، والمقصود بالقلب هو النفس لان القطعة اللحمية ليست للإنسان وحده بل حتى الدواب وهو -القلب- من عالم الغيب يختص بمعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة وعليه التكليف وله الخطاب والسعادة والشقاء تلحقانه لذلك علينا بالمجاهدة لمعرفة لأننا بها نعرف الله لكن للوقوف على حقيقته نجد في القرآن الكريم ما يوضح ذلك قوله تعالى «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »<sup>2</sup>. القلب عند الغزالي لا يقبل القسمة لأنه ليس من عالم الخلق بل هو من عالم الأمر

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الجمعة، الآية 2.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 85.

ومن قال بالروح انه قديم أو انه عرض فهو على خطأ عنده لان « الروح هو أصل ابن آدم وقالب ابن آدم نبع له ، فكيف يكون عرضا ، وقال قوم انه جسم فغلطوا لان الجسم يقبل القسمة ، فالروح الذي سميناها قلبا وهو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة »<sup>1</sup>.

انطلاقا من قوله تعالى «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر»<sup>2</sup>. نجد أن للقلب جنود وعساكر فهو يعمل من اجل الآخرة وسعادته مربوطة بمعرفة الله عز وجل وهذه المعرفة La connaissance تحصل من الله تعالى وفي هذا الشأن يفرد لنا أبو حامد الغزالي مثال في قوله : « إن النفس كالمدينة واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها والقوة الغضبية شحنتها والقلب ملكها والعقل وزيرها . والملك يديرهم حتى تستقر مملكته وأحواله لان الوالي وهو الشهوة كذاب فضولي مخلط والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب فان تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت ، فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الولي والشحنة تحت يد الوزير ، فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتعمرت المدينة ، وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقيا في الآخرة »<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي ، كيمياء السعادة ، ص 126 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم ، سورة المدثر ، الآية 31 .

<sup>3</sup> نفس المصدر ، ص 129 .

إن تمام السعادة عند الغزالي يقوم على ثلاثة أشياء وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة ويحبذ أن تكون هذه القوى في أوساطها لان زيادتها أو نقصانها يؤدي إلى اختلال في السعادة وتكون نتائجه وخيمة وهذا في قوله : «فيحتاج أن يكون أمرها متوسطا لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الرخص فيهلك أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العلم على طريق الهداية»<sup>1</sup>.

وعن أخلاق القلب هناك أخلاق حسنة وهي التي يبلغ بها درجة السعادة وأخلاق سيئة وهي التي تؤدي إلى هلاكه وخروجه للشقاء ،وبالنسبة للشهوة والغضب فخروجها عن سلطة العقل يؤدي إلى الأخلاق السيئة القبيحة وهي صفات الشياطين أما إذا كانتا تحت سلطة العقل صح للعبد حسن الأخلاق وهي صفات الملائكة وهي بذرة السعادة وأخلاق السوء كالظلمة إذا غطت قلب العبد أظلمت عليه طريق السعادة والأخلاق الحسنة كالنور إذا وصل إليها قلب العبد أنارته وكشفت عنه ظلمة المعاصي.

للقلب بابين باب ظاهر وباب باطن وهذا الأخير يفتح له عندما ينام ويغلق باب الحواس فيرى عالم الملكوت واللوح المحفوظ وتفتح هذه الطاقة في حالة اليقظة إذا اخلص القلب في الجهاد وابتعد عن الشهوة والغضب ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله تتفتح له فيرى ما كان يراه في النوم فتتكشف له ملكوت السموات والأرض فتظهر أرواح الأنبياء والملائكة وهذا ما نجده في قوله تعالى : «وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نفس المصدر ، ص ص 130 131 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة الأنعام ،الآية 75.

ونفس الشيء لباقي الأنبياء الآخرين فعلمهم لم تكن عن طريق الحواس ،لذلك ينبغي على العبد أن يتبع طريق الصوفية والتي ينقطع فيها العبد عن كل شيء ويظهر قلبه من كل شيء ويبتهل لله سبحانه وتعالى وذلك في قوله تعالى «واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً»<sup>1</sup>. ومن هذا يتضح جلياً بان الغزالي يقول بان العلم والعمل به هو طريق السعادة «إذا نظرت إلى العلم رايته لذيداً في نفسه ،فيكون مطلوباً لذاته وجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها ،وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ،فاصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم»<sup>2</sup>.

معرفة الله سبحانه وتعالى عند الصوفية لا تتم بالعقل وإنما بالقلب لأنه مخلوق لها وإذا وقع فيها فرح بها لان لذته -القلب- هي المعرفة وكلما كبرت هذه الأخيرة كانت لذته اكبر وإذا تتبعنا كل اللذات الدنيوية وجدناها تبطل وتزول على عكس لذة معرفة الله فهي تدوم وتطول «وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت ،ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت ،لان القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوؤه اكبر لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء»<sup>3</sup>.

ومن هنا نصل إلى نتيجة مفادها أن نظرية السعادة عند أبو حامد الغزالي قائمة على نوع من التحليل النفسي ،وسعادة كل شيء في لذته وراحته .والكيمياء الحقيقية في خزائن الله ومحلها قلوب الأولياء العارفين ولا تتحقق إلا بان ترجع من الدنيا إلى الله وسبيلها الاقتداء

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة المزمل ،الآية 8.

<sup>2</sup> الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج1 ،ص 12.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي ،كيمياء السعادة ،ص 140.

بالنبي صلى الله عليه وسلم وكل من يطلبها من غير هذا الطريق فقد ضل ،وتوهم انه غني وهو مفلس<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> انظر :التفتا زاربي ،مدخل إلى التصوف الإسلامي ،ص183.

الفصل السادس

الفصل السادس: النبوة عند الغزالي وحقيقة التصوف الفلسفي.

المبحث الاول: النبوة عند الغزالي واضطرار الخلق اليها.

إن السعادة La Bonheur عند الغزالي توجد في خزائن الله سبحانه وتعالى إلا أن الحصول عليها لا يكون إلا بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي يبلغه الوحي ليريه به الطريق لأن الإنسان في أصله يولد خالياً ساذجاً من معارف عوالم الله وهذا مانجده في قوله تعالى: « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر »<sup>1</sup> فعلم الإنسان مقتصر على ما يدركه من عالم الموجودات « فلؤل ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس ، فيدرك بها أجناساً من الموجودات كالحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن الألوان والأصوات قطعاً بل هي كالمعدومة في حق اللمس ، ثم تخلق له حاسة البصر ، فيدرك بها الألوان والأشكال ، وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم ينفخ فية السمع ويسمع الأصوات والنعيمات »<sup>2</sup>.

وعن النبوة La prophetie يرى الغزالي أنها وصول خبر من الله تعالى بطريق الوحي إلى من إختاره من عباده فالنبوة علاقة بين الوحي والأنبياء والرسالة فهي تكليف الله تعالى أحد أنبيائه لبلاغ الناس شرعاً أو حكماً فالرسالة إذا علاقة بين النبي وسائر الناس<sup>3</sup>. إن المنتبغ لتعريف النبوة والرسالة يتضح له منهما أنها ذاتا مدلول واحد لأن كل رسول نبي وكل نبي رسول وه ذا ما قال به القاضي عياض في حين قال البعض الآخر إن الكلمتين غير متلازمتين لأن النبي غير مكلف بالتبليغ والرسول مكلف به.

<sup>1</sup> القرآن الكريم . سورة المدثر . الآية 31

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي . مجموعة رسائل الامام الغزالي . ص 66

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي . الاقتصاد في الاعتقاد . تحقق انصاف رمضان . دار قنينة للطباعة والنشر والتوزيع . ط 1 2003 . ص 137

وعن حقيقة الأنبياء قال تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ انما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين »<sup>1</sup>. وقال تعالى: « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعض فتنة لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا »<sup>2</sup> وهذا يعني أن الأنبياء بشر مثلنا يقومون بكل الوظائف والأعمال التي يقوم بها الإنسان العادي وكما سبق وأشرنا إلى تدرج الإنسان في اكتساب المعارف بل وحتى النبي يمر بتلك المراحل ولكن يبقى للنبي ما يميزه عن باقي الخلق إلا أن الله سبحانه وتعالى أعطى للإنسان خاصية من خواص الأنبياء وهي النوم وفي هذا الشأن يقول الغزالي « وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة وهو النوم . إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحا وإما في كسوة مثال يكشف عنه التغيير. وهذا لو لم يجربها الإنسان بنفسه »<sup>3</sup>.

يتسلل الشك Le scepticism للإنسان في النبوة وفي إمكانية وجودها ووقوعها وإختصاص شخص بها دون آخر وأدلة إثباتها إلا أن الغزالي يجيب الشكك بأنها لا تدرك إلا بالهام إلهي وتوفيق من الله سبحانه وتعالى وأنه أرسلهم لهداية الناس وإرشادهم إلى الخير الذي يحقق سعادتهم كما جعل الإيمان بهم أحد الأركان الخمسة للإيمان « فقد أتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وبالقدر خيره وشره »<sup>4</sup>

إعتمد الغزالي أدلة من القرآن الكريم ليصد الباب في وجه المشككين في الرسل وموضحا بها بان هولاء الرسل من عند الله ولا فرق بينهم قوله تعالى: « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقالوا سمعنا وأطعنا

<sup>1</sup> القرآن الكريم .سورة فصلت .الاية 6

<sup>2</sup> القرآن الكريم .سورة الفرقان الاية 2

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي.مجموعة رسائل الغزالي.ص 671

<sup>4</sup> انظر أبو حامد الغزالي.الإقتصاد في الاعتقاد.ص 140



غفرانك ربنا وإليك المصير.»<sup>1</sup>

وقوله تعالى: «والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم

أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا»<sup>2</sup>.

وقوله تعالى: «ما كان الله ليذر المومنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

وما كان الله يطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وإن

تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم»<sup>3</sup>.

وهناك طريق أخرى لمعرفة النبوة وهو طريق الصوفية فتحصل تلك المعرفة بالذوق ونوع من

التصديق بما لم يحصل بالقياس إليه وهذا دليل كاف للإيمان بالنبوة .

معرفة نبوة شخص ما لا يمكن أن تكون بالنوم أو بالذوق وإنما تكون بمعرفة ومشاهدة

أحواله ومثاله في ذلك « فإين وقع الشك في شخص معين إنه نبي أم لا ،فلا يحصل اليقين

إلا بمعرفة أحواله إما بالمشاهدة وإما بالتواتر والتسامع فلنك إذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن

تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم ،ولاتعجز أيضا عن

معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن

الغجر، بل بان تتعلم شيئا من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصنفهما فيحصل لك علم

ضروري بحالها»<sup>4</sup> من خلال هاذين المثالين يوضح لنا الغزالي طريقة ثالثة لمعرفة النبوة

وهي الإمام بتخصص الشخص .

إن الإنسان لم يكن يعرف ربه حتى عرف بالتيهان فكان لابد من أن يرسل الله رسله

ليرشدو الناس ويعرفونهم بالإله ونفس الشيء بالنسبة للعالم اللامادي فلإنسان لايعرف عنه

شيئاً وأقصد بذلك القبر ،البعث ،الحساب، الجنة ، النار.. فبعد مجئ الرسل بوحى من الله

<sup>1</sup> القرآن الكريم .سورة البقرة الآية 285.

<sup>2</sup> القرآن الكريم .سورة النساء الآية 152

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة آل عمران ،الآية 179.

<sup>4</sup> ابو حامد الغزالي ،مجموعة رسائل الامام الغزالي ،68.

لتبليغ الناس اكتسب الإنسان عنها معارف وقد جاء في القرآن الكريم الآية الكريمة « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »<sup>1</sup> دليل على ذلك أن الناس دائما يحتاجون الى قدوة حسنة ومثال يحتذى به، كما يعلمون الناس كيفية التواصل مع الله عن طريق العبادات ويعلمون الناس كيف يتواصلون مع بعضهم البعض. إن ما يقدمه الأنبياء للناس مثل الأدوية التي يقدمها الأطباء لهم فالأدوية تؤثر في الصحة ولا يدرك هذه الخاصية العقل بالعقل بل عليهم بتقليد الأطباء ونفس الشيء بالنسبة للأنبياء من ناحية العبادات إذ يجب علينا تقليد الأنبياء لأنهم أدركوا تلك الخواص بنور النبوة وكما أن لأدوية الأطباء مقادير نفس الشيء بالنسبة للعبادات التي تعتبر أدوية لداء القلب . وما يجمل هذا قول الغزالي : « فالأنبياء أطباء أمراض القلوب وإنما فائدة العقل وتصرفه إن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدنا وسلمنا إليهم بتسليم العميان إلى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين »<sup>2</sup>.

إن ما عرفه المجتمع العربي من فساد في الأخلاق والعبودية والفجور والفسق والإنقياد وراء الثقافات الفاسدة الآتية من عند الروم والفرس . ضرورة ملحة لمجئ النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأن الديانات الأخرى عجزت عن توجيهم وإرشادهم وكذلك العداوة بين الديانات .

النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان من صنع الله سبحانه وتعالى و أوحى إليه بواسطة جبريل وأرسله إلى الناس كافة وكانت معجزته القرآن الكريم الذي استطاع به أن يجمع قلوب الناس ويوحد كلمتهم ونظرتهم . إضافة إلى معجزات مادية أخرى وهي سرعة إجابة دعائه ، إنشقاق القمر والإسراء والمعراج وغيرها .

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة الأحزاب ،الآية 21.

<sup>2</sup> المصدر السابق ،ص 72.

أما إذا تحدثنا عن شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلن تسعنا هذه السطور لرسم معالم شخصيته فعن أخلاقه عرف بالصادق الأمين وعن فكره عرف بحكمته وفي الأمور الدنيوية الأخرى عرف إنه كان حكيما سياسيا وما يعكس ذلك صلح الحديبية وفي الميدان العسكري عرف باستعداده التام والدائم للحرب والانتصارات التي حققها على الكفار كما أنه إمتاز بحسن التسيير في أسرته ومجتمعه .

من خلال ماسبق يتضح جليا أن مجتمعنا كان في حاجة إلى نبي لينير طريق البشرية ويجمعهم في إتجاه واحد وتحت ربوبية رب واحد.

### خواص النبوة La caractere du prophetie :

يمكن إجمال خواص النبوة في ثلاث خصائص وهي :

#### 1- تابعة لقوة التخيل والعقل العلمي :

الحركات السماوية إختيارية لا تلزم إلا عن إختيار بالغ موجب بالفعل، والإختيار الجزئي يلزم إختيار جزئي ومحركها لا بد أن يدرك ماهو جزئي والأجدر به أن يكون نفسيا مدركا للجزئيات إما أن يكون تعقلا علميا أو تخيلا . فيظهر من تسليم هذه أن الحركات السماوية يحرك كل واحد منها جوهرها نفساني بتعقل الجزئيات بالنحو من التعقل الذي يخصها ويرسم فيه صورها وصور الحركات التي يختارها كل واحد منها ، ويجاوزه حتى تكون مئات الحركات تتجدد فيها دائما حتى تتجدد الحركات ويكون بتصور لامحالة حينئذ، الغايات التي تؤدي إليها الحركات في هذا العالم.<sup>1</sup>

يستلزم تصور جزئيات العالم والأمور التي تحدث بالمستقبل والأمور التي تكون بثلاث حالات إما أن تكون بلالإختيار وإما أن تكون بلالاتفاق وإما أن تكون بالطبع.

#### 2- تابعة للقوة النظرية :

إن الأمور المعقولة يتوصل إليها وتكتسب في القياس بحصول الحد الأوسط وهذا

<sup>1</sup> سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، ص 122

الأخير إما يحدث بالحدث وإما يحدث بالتعلم «عقل النبي فوق العقول كلها وحاكم عليها ومتصرف فيها ومخرجها من القوة الى الفعل ومكملها بالتكليف إلى أقصى غايات الكمال اللائق بكل واحد منها ،فلا يمكن تنصيب حد على محدود ،أما إذا كان يمكن أن يقال أن هذه القوة قابلة للزيادة والنقصان فعقل النبي فوق العقول كلها»<sup>1</sup>.

3-التابعة للنفس:

الصور التي في الأجسام العالية تابعة للصور التي في النفوس والعقول الكلية والصور العقلية مبادئ للصور الحسية يجب عنها لذاتها وجود هذه الأنواع في العوالم الجسمانية .

فأفضل النوع البشري من أوتي الكمال في حدس القوة النظرية حتى إستغنى عن المعلم البشري أصلا وأوتي القوة المتخيلة إستقامة وهمة لايلتفت إلى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم النفساني بما فيه من أحوال العالم ويستشبهها في اليقظة فيصير العالم وما يجري فيه ممثلا لها ومنتقشا بها ويكون لقوته النفسانية أن تؤثر في عالم الطبيعة حتى تنهى إلى درجة النفوس السماوية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سليمان دنيا ،الحقيقة في نظر الغزالي ص 389.

<sup>2</sup> المرجع السابق ،ص 389.

المبحث الثاني: طريق الهداية وعقبات طريق العبادة عند الغزالي .

### 1- طريق الهداية Le chemin de L'aiguillage:

إن طالب العلم أمام إتجاهين أحدها يكون فيه رابحا والآخر يكون فيه خاسرا وسبب خسرانه يكون لنيته وغايته من طلب العلم أي إذا كان رياء وحب للدنيا . ويكون رابحا إذا كانت الغاية منه الهداية بل وحتى الملائكة لا تضع أجنحتها عنه لأن الهداية هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن ولقد قسم الغزالي الناس في طلب العلم إلى ثلاثة أحوال رجل طلب العلم ليخذه زادا إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة وهذا من الفائزين رجل استحوذ عليه الشيطان ف إتخذ علمه زريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر ، رجل طلبه ليستعين بيه في حياته العاجلة ليحصد به العز والمال والجاه مع علمه ومستشعر في قلبه ركافة حاله .

لاشك أن كل عبد يرغب في الهداية و إتباع طريق الله الصحيح ويكون صالحا ولكن

السؤال المطروح ماهي سبل الوصول إلى الهداية؟

لكل من يرغب في الهداية يجب عليه إتباع الطاعات وإجتنب المعاصي وآداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه وتعالى.

### أ - الطاعات Les dependances:

العبد يتقرب إلى الله بالنوافل طلبا في طاعته وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى ماتقرب إلي المتقربون بمثل ما إفترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»<sup>1</sup>.

ينبغي على العبد أن يراقب جوارحه ويمنعها من إرتكاب المعاصي لأن الله سبحانه وتعالى مطلع عليه ويعرف مابظاهرة وباطنه قال تعالى « يعلم خائنة الأعين وماتخفي

<sup>1</sup> انظر: أبو حامد الغزالي، بداية الهداية، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ص 26.

الصدر»<sup>1</sup> وليحقق العبد طاعته إلى الله لا بد عليه أن يتبع بعض الآداب منها آداب الإستيقاظ من النوم إذ يجب عليه أن يستيقظ قبل طلوع الفجر ويبدأ يومه بذكر الله فيقول «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور أصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وماكان من المشركين. اللهم بك اصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور. اللهم أنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوء أو نجره إلى مسلم أو يجره أحد إلينا نسألك خير هذا اليوم وخير مافيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه»<sup>2</sup>.

وآداب اللباس حيث يجب على العبد أن يستتر عورته وادآب دخول الخلاء إذ لا بد من الدخول بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى مع عدم إستصحاب ماكتب عليه إسم الله. وادآب الوضوء حيث يجلس العبد مستقبلا القبلة على موضع مرتفع كي لا يصبه الرشاش ويبدأ بالبسملة ويراعي الترتيب ويرفع رأسه إلى السماء عندما يفرغ من الوضوء ويقرأ الشاهد ويجتنب بعض الأمور مثل إكثار الماء ولطم الوجه بالماء والكلام الجانبي .

إذا أصابت العبد جنابه لا بد عليه من إتباع آداب الغسل ويراعي ترتيب غسل الأعضاء، وإذا عجز عن إستعمال الماء فعليه بليتقان آداب التيمم ، ومن آداب الخروج الى المسجد أن يتطهر الإنسان ويحسن الطهارة ويصلي ركعتي الفجر إذا طلع الفجر لأن هذا ما كان يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الحرص على صلاة الجماعة و إذا سار إلى المسجد يقول «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين إليك وبحق ممشاي هذا إليك فلني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت إتقاء سخطك وإبتغاء

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة غافر ، الآية 19.

<sup>2</sup> المصدر السابق ،ص 28.

مرضاتك فاسئلك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»<sup>1</sup>.  
وإذا دخل العبد المسجد فعليه ادّاء دخول المسجد فيدخل برجله اليمنى ويقرأ القرآن ويستمع للأذان ويقوم بالدعاء ويقوم بالصلاة مع الإمام وبعد الفراغ منها يدعو كما كان يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال فيصلي العبد ركعتين بعد طلوع الشمس قدر رمح ،وبعد صلاة الضحى إذا ضحى النهار ومر قدر ربعه وفي هذا الوقت عليه بطلب العلم النافع والإشتغال بالعبادات الأخرى كالذكر والتسبيح وقرأة القرآن أن يشتغل بما يصلح أمور المسلمين ويشتغل بحاجاته وحاجات عائلته .

ومن الآداب كذلك آداب الإستعداد لسائر الصلوات فعلى الإنسان أن يؤدي الصلوات في أوقاتها ويرفق صلوات الفرائض بالنوافل.

وللنوم آداب فإذا أراد الإنسان عليه ببسط فراشه ويقبله للقبلة ويضع على يمينه وينام على طهارة وتائباً من الذنوب عازماً على عدم العودة إليها ،ويكثر من الإستغفار ويذكر الله كثيراً .

وفي آداب الإمامة والقدوة ينبغي على الإمام تخفيف الصلاة ويكبر بعد أن يرفع المؤذن من الإقامة ويرفع صوته عند التكبيرات وينوي الإمامة وعليه بالتسبيحات في السجود والركوع .

وما دامت الجمعة عيد المسلمين فلها آداب وهي الإستعداد لها من يوم الخميس والإغتسال ولبس الثياب البيضاء ،ويذهب باكراً للمسجد لما في ذلك من فضل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما

<sup>1</sup> اظر: نفس المصدر ،ص 47.

قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»<sup>1</sup>.  
 كما ينبغي على العبد أن يجلس في الصف الأول إذا تسنى له ذلك ولا يزاحم الناس  
 ولا يتخطى رقابهم ولا يمر بين أيدي المصلين ويقراً سورة الكهف.  
 للصيام آداب إذ إلى جانب صيام شهر رمضان لا بد على الإنسان صيام النوافل  
 فمنها ما يكفر ذنوب الأسبوع ومنها ما يكفر ذنوب الشهر ومنها ما يكفر ذنوب السنة، ويتم  
 الصوم بكف العين عن النظر إلى المكاره واللسان عن ذكر ما لا يعنيه والأذن عن سماع  
 ما حرم الله. وكذلك كف الجوارح الأخرى عن ما حرم الله وعن صيام شهر رمضان قال  
 تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن  
 شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم  
 اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون»<sup>2</sup>.  
 وفي السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل كل عمل بن دأم  
 له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا سبه أحد أو قاتله فليقل: إني، صائم  
 والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا  
 أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»<sup>3</sup>

#### ب - إجتنب المعاصي Eviter les peches :

إن الإنسان الصادق هو الإنسان الذي يترك الشهوات وفعل المعاصي ولا يستعمل  
 جوارحه التي أنعم الله بها عليه في المعصية ويخون الأمانة لأنها ستشهد عليه يوم القيامة  
 قال تعالى « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون»<sup>4</sup>، وفي سورة يس

<sup>1</sup> يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أخرجه احمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 2006، ص 225.

<sup>2</sup> القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 185.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 233.

<sup>4</sup> القرآن الكريم، سورة النور، الآية 24.



يقول تعالى : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون»<sup>1</sup>  
لابد على العبد أن يطهر قلبه من الخبائث والتي حصرها الغزالي في ثلاث وهي : الحسد ،  
والرياء ، والعجب .

### 1- الحسد La jaousie :

قال تعالى«أم يحسدون الناس على ماأثمهم من فضله فقد اتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة  
وءاتيناهم ملكا عظيما»<sup>2</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أياكم والحسد ،فإن الحسد  
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>3</sup>

إنطلاقا من الآية الكريمة والحديث النبوي نرى بأن الله ورسوله نهانا عن الحسد  
والإنسان الحسود هو الذي يشق عليه انعام الله من خزائن قدرته على عبد من عباده بمال او  
علم او محبة في قلوب الناس

### 2-الرياء L'ypocrisie :

شرك خفي أو طلب الجاه أو منزلة في قلوب الناس وهذا ما حرمه الله سبحانه وتعالى  
في كتابه وذلك في قوله تعالى « يأيها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي  
ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل  
فتركه صلدا لا يقدر على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين»<sup>4</sup>.

دليل تحريمه في السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول الناس يقضى

يوم القيامة عليه رجل أستشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال  
قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ،ولكنك قاتلت لأن يقال :جرى وقد قيل ثم أمر به  
فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ،ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة يس ،الآية 65.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة النساء ،الآية 54.

<sup>3</sup> يحي بن شرف النووي ،رياض الصالحين ،ص 296.

<sup>4</sup> القرآن الكريم ،سورة البقرة ،الآية 264.

نعمته فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت القرآن فعلمته وقرأت فيك القرآن قال :كذبت ولكنك تعلمت ليقال : عالم وقرأت القرآن، ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال ،فأتي به فعرفه نعمته فعرفها ،قال: فما عملت فيها ،قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ،قال:كذبت ولكنك فعلت ليقال: جواد فقد قيل، ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار «<sup>1</sup>.

### 3- العجب L'etonnement :

أ ن ينظر العبد لنفسه بعين الإستعظام ولغيره بعين الإحتقار .وقد نهانا الله عنه في قوله تعالى « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللثم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ انشأكم من الارض وإذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى «<sup>2</sup>.

وعن العجب والكبر والفخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد عن أحد ولا يفخر أحد عن أحد»<sup>3</sup>.

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا جامعا عن الحسد والكبر والرياء لمعاذ «يامعاذ إني محدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك عند الله وإن أنت ضيعته ولم تحفظه إنقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة .....ماهي بأبي أنت وأمي يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال :يامعاذ إنه ليسر على من يسره الله تعالى عليه وإنما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ماتحبه لنفسك وتكره لهم ماتكرهه لنفسك فإذن أنت يامعاذ قد سلمت»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق،ص ص 304 305.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة النجم ، الآية 32.

<sup>3</sup> المرجع السابق ،ص 299.

<sup>4</sup> انظر :أبو حامد الغزالي ،بداية الهداية ، ص ص 137 140.

ج - القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق ومع الخلق :

إن الله سبحانه وتعالى يصاحب العبد في يومه وليله وحياته ومماته فلا يفارقه لذي يجب على الإنسان أن يتأدب مع الله ويغض طرفه ويجتنب نواهيه ويأتمر لأوامره ويداوم على الذكر وينكسر إليه ويتوكل عليه ، وعن آدابه مع العامة فيجب عليه أن يترك الحديث مع الذين لا يعرفهم ويقلل من الإصغاء إليهم ويحترز من لقائهم ويتغافل عن الألفاظ الصادرة عنهم أما بالنسبة إلى الإخوة والأصدقاء يجب عليه أن يراعي من يخالل منهم فلا بد أن يكون عاقل لا أحمق ويكون صالح لا فاسق وحسن الخلق ولا يكون حريصا على الدنيا صادقا.

للصحبة حقوق يوجبها عليك عقد الصحبة كما أن لها آداب وهي الإعانة بالنفس والمال في الحاجات وكتمان السر ويدعو صاحبه بأحب أسمائه ويدعو له في ظهر الغيب.

ب - عقبات طريق العبادة :

إنطلاقاً من قوله تعالى « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »<sup>1</sup> نرى بلن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بلن الإنسان العابد لا بد له من منهاج يتبعه ويقصد بالمنهاج هو الطريق البين والعلماء إستعملوها حسب الموقع وذلك مانجده في القول التالي « فقد استعملت هذه اللفظة عند كثير من العلماء والمؤلفين في فنون مختلفة ،وكما يبدو فالمنهاج هو الطريق الواضح البين الذي يجب أن يسلكه طالب فن من الفنون أو علم من العلوم »<sup>2</sup> ، إذا العبد ينتبه للعبادة من بداية حياته .

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة المائدة ، الآية 48.

<sup>2</sup> أبو حام الغزالي ،منهاج العابدين الى جنة رب العالمين ،تحق:محمود مصطفى حلوي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط 1 ، 1989 ، ص

وكما سبق ورأينا في المبحث الأول ضرورة النبوة للخلق أي أن الله سبحانه وتعالى بعث النبي وأيده بالمعجزات ويخبر العباد بأن لهم رب قادرا عالما متكلمًا يفعل ما يريد فيحدث هذا وقع في قلب العبد فينصب على عبادة الله ويبحث عن طريق الخلاص والأمان إلا أن هذا الطريق مشروط بعقبات وهي :

### 1- عقبة العلم du savoir:

قال تعالى: « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا

إن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما»<sup>1</sup>

إنطلاقاً من الآية الكريمة نتعرف على مكانة العلم في الحياة الدنيوية والدينية ولابد على العبد أن ينشغل بالعلم والعبادة لأنهما أساس حياته وإذا تتبعنا السنة النبوية فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يمدح العلم في قوله « إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمتي »<sup>2</sup> أي أن العالم أفضل عند رسول الله من إنسان يظل يتعبد بل وحتى نظرة للعالم أفضل من عبادة سنة بالنسبة له وهم كذلك أشرف أهل الجنة وهذا كله إن دل على شيء إنما يدل على مكانة العلم مقارنة بالعبادة ولكن لابد أن تقترن العبادة بالعلم وهذا الأخير مثل الشجرة والعبادة ثمرها ينبغي للعبد أن يكون له نصيب من كلاهما .

لابد على العلم أن يسبق العبادة لكي يتسنى لك أن تعرف المعبود لكي تعبده وما يجب عليك من واجبات شرعية حتى يمكنك أن تقوم بالطاعات وتجتنب المعاصي «فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلاة والصوم وغيرها يجب أن تتعلمها بأحكامها وشرائطها حتى تقيمها، فربما أنت مقيم على شيء سنين وأزمان مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك أو تخرجها عن كونها واقعتين على وفاق السنة، و أنت لا تشعر بذلك وربما يعترض لكل

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية 12.

<sup>2</sup> انظر: أبو حامد الغزالي، منهاج العبيد، ص 60.

مشكل ،ولا تجد من تسأله عن ذلك و أنت ماتعلمته<sup>1</sup> إن العالم بغير علم يفسد أكثر مما يصلح وبحرم نفسه السعادة ويقع في الشقاء وتصعب عليه العبادة .

وفي الآي الكريمة « ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلم وَا ان الله عزيز غفور »<sup>2</sup> دليل على وجوب تقدم العلم على العبادة لأن العلم النافع نتيجة مهمة وهي خشية الله إذا فالعلم يبعد العبد عن المعصية.

لقد فرض على العبد أن يتعلم ثلاثة علوم وهي علم الشريعة وعلم السر وعلم التوحيد وبهذا العلم الأخير يعرف العبد إلهه الواحد السميع البصير الذي لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، وعن علم السر يجب أن يتعلم موجباته ونواهيته حتى يعظم الله ويخلص في عبادته له وعن علم الشريعة يجب عليه معرفة فرائضه حتى يستطيع أن يؤديها.

بعقبة العلم ينال العبد مطلوبه ومقصوده وقطعها فيه خطر كبير » كم من عدل عنها

فضل وكم من سلكها فزل وكم من تائه فيها متحير وكم من حائر منقطع وكم من سالك

قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة والأمر كله بيد الله<sup>3</sup>

والحديث عن منفعتة فإن العبد في أمس الحاجة إليه خاصة علم التوحيد وعلم السر

وهذا ما نجده في ما أوحاه الله لسيدنا داود ،كما يجب على العبد أن يحذر في طلب العلم

ليصرف به وجوه الناس إليه أو الريا بصفة عامه فهذه تجارة خاسرة ومآله النار .

## 2- عقبة التوبة resipiscence :

إن العبد إذا أراد أن يوفق للطاعة وتقبل عبادته فعليه بالتوبة لأن كثرة الذنوب تورث

الحرمان وتثقل الإنسان عن فعل الخيرات وعن طاعة الله ولا يصلح لذكر الله ،إذا فالتوبة

هي تنزيه القلب عن الذنب كما لها شروط وهي :

- ترك إختيار الذنب وهو أن يوطن قلبه وبجرد عزمه على أن لا يعود إلى الذنب آليته .

<sup>1</sup> نفس المصدر ،ص 61.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة فاطر ،الآية 28.

<sup>3</sup> المصدر السابق ،ص 66.

- أن يتوب عن ذنب قد سبق عنه مثله .

- الذنب السابق يكون مثل الذنب الذي يترك إختياره في المنزلة والدرجة .

- أن يكون ترك إختياره ذلك تعظيماً لله سبحانه وتعالى وحزراً من سخطه وأليم عقابه مجرداً لا لرغبة دنيوية أو رهبة من الناس أو طلب ثناء أو صيت أو جاه أو ضعف في النفس أو فقر أو هوان أو غير ذلك<sup>1</sup>.

إن التوبة الحقيقية هي التي تتم بتمام هذه الشروط و إما عن مقدمتها فهي أن تعرف شدة عقوبة الله وتعرف مدى قبح الذنب وتعترف بقله حيلتك وضعفك ،وفلاح العبد مربوط بتوبته قال تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصرهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو إبنائهن أو أخواتهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأرية من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »<sup>2</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأيها الناس توبوا إلى الله وإستغفروه فإنني أتوب في اليوم مئة مرة »<sup>3</sup>

الندم يلعب دوراً مهماً في توبة العبد لأن هذا الأخير يعظم الله سبحانه وتعالى ويخاف من عقابه مما يدفعه للتوبة النصوح فيترك الذنب وتبقى ندامته في قلبه تحمله للتضرع والإبتهال.

الذنوب ثلاثة أنواع وهي : أولها ترك واجب من واجبات الله عليك كالصوم والصلاة

وثانيها الذنوب التي بينك وبين الله كشرب الخمر وثالثها الذنوب التي بينك وبين العباد

<sup>1</sup> نفس المصدر ،ص 74.

<sup>2</sup> القرآن الكريم سورة النور ،الآية 31.

<sup>3</sup> يحي بن شرف النووي ،رياض الصالحين ،ص 12.

كالعرض .

قال تعالى « ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »<sup>1</sup> من هذه الآية الكريمة نصل الى نتيجة مفادها أن عقبة التوبة صعبة لذي ينبغي على العبد أن يجتهد من أجل تجاوزها لأنه فيها يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يحبه وهذا شيء عظيم .

### 3- عقبة العوائق :

لإستقامة العبد لابد من دفع عوائق العقبة والتي هي :

#### أ- الدنيا la vie de ce monde :

لابد من الزهد عن ملذات الدنيا حتى لا تشغل العبد عن الطاعة و العبادة ولا يشغل قلبه بها ،ولقد نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإشتغال بها على حساب آخرتنا وأوصى سليمان الفارسي العباد بالزهد في الدنيا لأن هذا الزهد يؤدي إلى إنارة القلب وإشتغال وتكافل الأعضاء في العبادة .

الزهد يكثر قيمة العمل وفيه قال الله تعالى: « إنما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من

السماء فأخطلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتتها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تكن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون»<sup>2</sup> .وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فأتقوا الدنيا واتقوا النساء»<sup>3</sup>

#### ب- الخلق la creation :

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة البقرة ،الآية 222.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة يونس ،الآية 24.

<sup>3</sup> يحي بن شرف النووي ،رياض الصالحين ،ص 111.

يجب على العبد أن يتفرد على الخلق لأنهم يشغلونه عن عبادة الله ويأخذون هـل طريق المعاصي والملاهي والرسول صلى الله عليه وسلم نهانا عن الفتنة إذا ساد الهرج في المجتمع فعلى المسلم أن يحفظ لسانه ويلزم بيته ،ومن وراء الرسول صلى الله عليه وسلم السلف الصالح حذروا من هذا الزمان الناس يفسدون على العبد ما يحصل له من العبادة فإلتزامه العزله والتفرد عن الناس أصبح أمر ضروري ،وما دام العبد لاحتاجة له بالناس في علم او حكمة فالأجدر به أن يتفرد عنهم ويقتصر في مخالطتهم إلا في الجمعة والجماعة والأعياد والضرورة المعشية .

وزيارة الإخوان في الله تعالى من جواهر عبادة الله تعالى وفيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلوب ولكن بشرطين :  
احدهما: أن لا يخرج في ذلك إلى الإكثار والإفراط، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي اله عنه : « زر عبتزدد حبا » والثاني أن تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك<sup>1</sup>

### ج - الشيطان le diable :

الشيطان عدو مبين يطمع دوما لهلاك العبد وهذا ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى في قوله: « ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين »<sup>2</sup> فلقد جبل على ذلك فلا يكل ولا يمل وإنما يعمل على ذلك ليلا نهارا لذا يجب على العبد محاربتة .  
ولقد صدق يحي بن معاذ الرازي رحمه الله حيث قال : « الشيطان فارغ وأنت مشغول وهو يراك وأنت لا تراه ، وأنت تتساه وهو لا ينسأك ومن نفسك للشيطان عليك عون » فإذن لابد من محاربتة وقهره وإلا فلا تأمن الفساد والهلاك<sup>3</sup>.

لمحاربة الشيطان لابد على العبد أن يدعوا الله أن يبعده عنه ويجتهد في دفعه ومخالفة ارأئه

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي ،منهاج العابدين ،ص 106 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة يس ،الآية 60 .

<sup>3</sup> المصدر السابق ،ص 109 .



تجعل لسانك رطب بذكر الله حتى لا يصطادك في شباكه التي ينصبها .

#### د- النفس L'esprit :

النفس تأمر بالسوء ، والفحشاء وهي عدو دواؤه صعب لأنه من الحسد ومحبوب عند العبد إذ لا يبوح بعيبه ويستحسن كل قبيح يصدر عنها . إذا فتنشأ داخل العبد وجدناه يدرك جيدا ما فعلته النفس بالبشر ابتداء من أبونا آدم وأمنا حواء وحادثة قابيل وهابيل ثم هاروت وماروت وكل المعاصي والعلالات والفتن التي تعرض لها الإنسان سببها النفس ، إذ لا بد من كبح جماحها بتقوى الله والإستعانة به والتفرغ إليه ومنع الشهوات وتحميلها أُنقال العبادات فبعدها سيتنتى لك أن تأمن شرها .

#### 4- عقبة العوارض :

أول هذه العوارض هو الرزق ومطالبة النفس بذلك فمن أجله يجب على العبد أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى حتى يبتنى له عبادة الله وينشغل بها ولا ينشغل بطلب الرزق لأنه جعل الله الوكيل القائم بأمره وتجعل ثقتك به فلا يفوتك ما قسمه الله لك وينصرك بنصره قال تعالى «يأيها الذين ءامنو إن تتصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»<sup>1</sup>.

وعن التوكل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت ، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون »<sup>2</sup>.

إذا فموضع الرزق هو التوكل فمنه ما هو مضمون كالغذاء وضامنه هو الله لأنه كلفنا بعبادته وطاعته فضمنه لنا لكي نقوم بما كلفنا وهو سيدنا ونحن عبده وخلقنا محتاجين لهذا الرزق ومن الرزق ما هو مقسوم أي الذي قسمه وكتبه الله في اللوح المحفوظ لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر والرزق المملوك هو ما يملكه العبد من أموال رزقه بها الله سبحانه

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة محمد ،الآية 7.

<sup>2</sup> يحيى بن الشريف النووي ،رياض الصالحين ،ص ص 30 31.

وتعالى . فللرزق الموعود وهو الرزق الذي وعد الله به عباده المتقين .

أما عن الثواب والعقاب فزيادتها بفعل العبد لأن ما كتب في اللوح المحفوظ منه ما هو مطلق غير مشروط ومعلق بفعل العبد كالأرزاق ومنه ما هو مكتوب بشرط أي أنه مشروط بفعل العبد كالثواب والعقاب قال تعالى : « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم »<sup>1</sup>

العبد يفوض أمره إلى الله ليطمئن قلبه لأن فساد الأمور يؤدي إلى اضطراب القلب وعندما تفوض الأمر لله تكون على يقين بأنك تقع في الخير والصلاح وتكون آمن . وحصول الخير والصلاح في الإستقبال وذلك أن الأمور بالعواقب مبهمة والتفويض عند الغزالي هو إرادة أن يحفظ الله تعالى عليك مصالحك ، فيما لا تأمن فيه الخطر .

ينبغي على الإنسان أن يرضى بالقضاء النازل من عند الله سبحانه وتعالى وذلك ليتفرغ للعبادة لأن ، عدم الرضا بالقضاء يؤدي إلى إنشغال القلب وإذا إنشغل هذا الأخير يصعب أداء العبادة . ومن يسخط من قضاء الله يغضب عليه الله تعالى . إن المقصود بالرضا هو عدم السخط وهذا الأخير هو غير ما قضى الله سبحانه وتعالى .

يجب على العبد أن يصبر عند المصائب والشدائد لكي يتوصل إلى العبادة ويحصل على مقصوده لأن العبادة تلزم الفرد بتحمل المشقات وقهر النفس ، ومن قصد الخير وتجرد لطريق الآخرة واجهته العديد من المحن وإذا لم يصبر عليها فلا يصل إلى مبتغاه . وعن تعرض الإنسان لهذه المحن والمصائب قال تعالى : « لتبلون في أموالكم و أنفسكم ولتسمعن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور »<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 65 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية 186 .

في الصبر أيضا خير الدنيا والآخرة ومن يصبر يجعل الله له مخرجا من حيث لا يدري ويظفر بمراده وينال الثناء من الله سبحانه وتعالى والبشارة والرحمة ومحبتة سبحانه وتعالى والكرامات والدرجات العلى في الجنة وجراء لاحدود له .

### 5- عقبة البواعث:

لابد على الإنسان أن يستشعر الخوف في نفسه دائما حتى ولو ارتفعت العوائق وزالت العوارض وذلك ليزجر عن المعاصي .فإن هذه النفس أمانة بالسوء ميالة إلى الشر طماحة إلى الفتنة ولا تنتهي عن ذلك إلا بتخويف عظيم وتهديد بالغ ،ليست هي في طبعها حرة يههما الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء<sup>1</sup>.

وعن الأمر الثاني يجب علينا إلزام الخوف كي نعجب بالطاعات فنهلك بل نقمعها بالذم والنقص .

أما الرجاء فما يلزمنا إستشعاره هو البعث على الطاعات وفعل الخير في وقت يعمل كل من الشيطان والنفس والهوى ضد العبد .والأمر الثاني هو ليهون على العبد إحتمال الشدائد والمشقات .وللقيام بالطاعة والإبتعاد عن المعصية لابد من ترغيب وترهيب النفس . والرجاء هو إبتهاج يحدث للقلب عند معرفة الله سبحانه وتعالى و إسترواحه إلى سعة رحمته وذكر ما وعد عن جزيل ثوابه وذكر سوابق فضله .

### 6- عقبة القوادح :

أول هذه القوادح هي عدم الإخلاص لله تعالى إذ يحب على العبد إقامة الإخلاص لما فيه من فائدة فمنها حسن القبول من الله سبحانه وتعالى وفي المقابل يذهب الثواب ، وإذا بحثنا عن حقيقة الإخلاص إنه إخلاصان إخلاص العمل هو أن يكون إعتقاد العبد في ربه صحيح ويتقرب منه ويعظم أمره ويجيب دعوته .وثانيهما طلب الأجر بغية أجر الآخرة من

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي ،منهاج العابدين ،ص 247.

خلال فعل الخير وقال الجنيد عن الإخلاص: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات<sup>1</sup>.  
الإخلاص يوجب على العبد أن لا يعبد إلا الله ويستقيم في عبادته ويقطع نظره فيما  
سواه. كما يمكن إقامة الإخلاص في الفريضة لأن الله ادخل العبد في الفريضة ولا يمكن  
إقامة الإخلاص في النوافل لأن العبد هو الذي ادخل نفسه وتكلفه.

وثانى القوادح هو العجب إذ يجب على العبد إجتنابه لأنه يحجب التوفيق من الله  
والتأييد ومن حجباً عنه فقد هلك وإنه كذلك يفسد العمل الصالح .

حقيقة الإعجاب هو إستعظام العمل الصالح ،وعلى العبد أن يذكر بان توفيقه من الله  
تعالى ،والإنسان المعجب إذا لم يتب قبل وفاته حبط عمله ، والعجب يذهب أضعاف العمل.

#### 7- عقبة الحمد والشكر :

لابد على العبد أن يحمد الله ويشكره على نعمه التي انعمها عليه لكي تدوم تلك النعم  
وتزداد قال تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل  
مكان فكفرت بأنعم الله فأذقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »<sup>2</sup> وعن الزيادة  
قال تعالى : «وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد»<sup>3</sup>

النعم نوعان منها ما هو دنيوي ومنها ما هو ديني والدينيوية تنقسم بدورها الى نوعان  
نعم نافعة ،ونعم دافعة ،النافعة هي التي تجلب الخير،والدافعة هي تدفع المضار والمفاسد  
والدينية منها نعمة التوفيق أي أن الله وفقك للإسلام ونعمة العصمه أي أن الله عصمك من  
الكفر.

إن دوام النعم كلها بعدما من نا الله عليك بها والزيادة عليها من كل باب ما لا يبلغه  
وهمك كلها تتعلق بشيئ واحد وهو الشكر والحمد لله وإن خصلة تكون لها كل هذه القيمة  
وتكون فيها كل هذه الفائدة لتحقيق أن يتمسك بها من غير إغفال بحال فإنه جوهر ثمين

<sup>1</sup> نفس المصدر ، ص 280.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة النحل ،الآية 112.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة إبراهيم ،الآية 7

وكيميا عزيزة<sup>1</sup>.

الحمد شكل من أشكال التسبيح والتهليل وهو الثناء على شخص بفعل حسن والشكر شكل من أشكال الصبر والتفويض وهو أن تطيع الله بجميع جوارحك ، وتؤدي الطاعات وتحذر من معصية الله .

لقد اختلف حول أفضلية الشاكر أو الصابر ولكن في حقيقة الأمر الشاكر لا يكون إلا صابراً والصابر لا يكون إلا شاكراً وذلك لأن الشاكر إذا وقع في محنة أو مصيبة يكون صابراً والصابر إذا وقع في نعمة يكون شاكراً .

إن النعمة تعطى لمن يعرف قدرها ويعرف قدرها الشاكر ودليل ذلك قوله تعالى : « أهولاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين »<sup>2</sup> وتسلب النعمة ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها الذي كفرها . قال تعالى : « وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها »<sup>3</sup> . إذ لا بد على العبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه فإذا أنعم عليه بنعمة الدين فيحذر من إستبدالها بحطام الدنيا لأن هذا الأخير يظفر به الكافر والملحد ومن هو على شاكلتهم .

وبعدما عددنا عقبات طريق العبادة نرى بأنها عقبات طويلة مقارنة بعمر العبد ولكن إجتيازها يكون سهلاً لمن وفقه الله سبحانه وتعالى لذلك والدليل تفاوت الناس في أوقات قطعها .

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي ، منهاج العابدين ، ص 319 .

<sup>2</sup> القرآن الكريم ، سورة الأنعام الآية 53 .

<sup>3</sup> القرآن الكريم ، سورة الاعراف ، الآية 176 .

المبحث الثالث : حقيقة التصوف الإسلامي والتصوف الفلسفي

التصوف الإسلامي : **soufisme islamique**

يعتبر الفكر الإسلامي جوهر التصوف الإسلامي الذي يمثل الحياة الروحية والنفسيه والوجدانية للعبد والذي عرف عناية من قبل الباحثين المستشرقين وغيرهم من الذين يكتبون في التصوف الإسلامي فقد حاولوا رده إلى مصدر أجنبي هندي أو يوناني أو القرآن وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد رد الم ستشرق إميل التصوف إلى مصدر واحد في حين يقول رينولد نيكلسون بالعكس وذلك في قوله: « برهن البحث الحديث على أن أصل الصوفية لا يمكن أن يرد إلى سبب واحد محدود ومن هنا لم يرتض باحث منصف هذه التعميمات الجارفة من أمثال أنها رد فعل العقل الإردني إتجاه الدين السامي الفاتح وأنها ليست إلا إنتاجا خالصا للفكر الفارسي أو الهندي»<sup>1</sup>.

في حين ظهر بعض المستشرقين بمظهر مغاير و أرجعوا أصل التصوف الإسلامي إلى القرآن وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليمتزج بعد ذلك بالثقافات الأخرى الهنديه الفارسيه ،اليونانيه ،المسيحية .ومن المستشرقين من يرى ب أن التصوف دخيل على الدين الإسلامي وهكذا أخذ بعضهم يعارض البعض ومنهم من يتخذ موقفه حسب الحالة التي هو فيها وعلى سبيل المثال ثولك فقد قال في أول حياته أن أصل التصوف مجوسي ثم بعد ذلك غير موقفه وقال أصله حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يرى دوزي أن أصل التصوف فارسي لأنه كان موجود قبل الإسلام وفارس أتاها من الهند ،وفكر صدور كل شي ء عن الله ظهرت في فارس ومن المعاني التي يفيض بها التصوف هي أن الموجود الحقيقي هو الله .

ويقول نيكلسون عن أصل التصوف أنه : « وقد عولجت مسألة نشأة التصوف

<sup>1</sup> انظر :التفتزاني ،مدخل الى التصوف الاسلامي ،ص 25.

الإسلامي حتى الآن معالجة خاطئة فذهب كثير من أوائل الباحثين إلى القول بأن هذه الحركة العظيمة التي إستمدت حياتها وقوتها من جميع الطبقات والشعوب التي تالفت منها الأمبراطوريه الإسلامية يمكن تفسير نشأتها تفسيراً علمياً دقيقاً بإرجاعها إلى أصل واحد كالفيداننا الهندية أو الفلسفة الأفلاطونية أو بوضع فروض تفسر جانباً من الحقيقة لا الحقيقة كلها<sup>1</sup> « وهذا الرأي خاطئ لأن التصوف نشأ في قلب الجماعة الإسلامية وقد علق المسلمون على قراءة القرآن والآحاديث النبويه .

هناك من المستشرقين من يرى أن أصل التصوف الإسلامي مسيحي و ذلك لأمرين هما الصلة بين المسلمين والنصارى وثانها يعود إلى التشابه في التعاليم والزهد والخلوة عند الصوفية وطرق العبادة عند السيد المسيح والرهبان .

ويقول اوليري « إن هذا الفريق من الزهاد أو النساك كان ذا نمو محلي بين العرب تطورت به مؤثرات مسيحية مما قبل الإسلام ونحن نعلم أن الرهبانية المسيحية كانت معروفة لدى العرب على تخوم الصحراء السورية وفي صحراء سيناء ويحتمل حقا أن الذي أوحى بالنسك إلى النساك الاولين في الإسلام هو الأديرة المسيحية أما مباشرة أو من طريق ماذكرناه من تحريث محمد<sup>2</sup> .

يرى ماسينيون أن أصل التصوف ليس واحد وإنما يعود إلى القرآن والحديث والفقهاء وبعض العلوم العربية الإسلامية والثقافية والعلمية الأجنبية .

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم و أردنا أن نبحث عن مكانة الرهبان والقساوسة فقد إمتدحهم وذلك في قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنو اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنو الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق

<sup>1</sup> عبد الحليم محمود ،قضية التصوف ،المنقذ ،ص 96.

<sup>2</sup> اوليري ،الفكر العربي ومكانه في التاريخ ،تر: تمام حسان ،القاهرة 1961 ،ص ص 194 195.

يقولون ربنا آمنة فلكتبنا مع الشاهدين»<sup>1</sup>.

وفي المقابل نجد بعض المتصوفة المتفلسفين على غرار الحلاج إستعملوا بعض الكلمات والمصطلحات المسيحية ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد ما إمتزجت الثقافات وتسربت إلى بعضها البعض .

هناك من يرى أن أصل التصوف الإسلامي هندي ،وذلك بعدما قاموا بتحليل تصوف بعض الصوفية وصلوا إلى نتيجة مفادها أن الأثر الهندي يظهر في تصوف الحلاج وكذلك قاموا بتحليل بعض مصطلحات الصوفية .

ولقد ساق هارتماز بعض الحجج ليثبت أن مصدر التصوف الإسلامي هندي :

1-معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي ، كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي، وأبي يزيد السبطيني ، ويحي بن معاذ الرازي .

2-إن التصوف ظهر أولاً وإنتشر في خراسان .

3-إن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية ، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة .

4-إن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود ذلك الأثر الهندي .

5-إن الزهد الإسلامي الأول هندي في نزعته وأساليبه، فالرضا فكرة هندية الأصل وإستعمال المخلاة والسبح عادات هندية<sup>2</sup>.

هناك من يرى أن مصدر التصوف الإسلامي يوناني أي أن الأفلاطونية المحدثة كان

لها الأثر الكبير في أصل التصوف الإسلامي عن طريق تسري بعض الكتب ومن ناحية

أخرى يرون أن الأفلاطونية الجديدة والمتصوفة يشتركون في أصل المعرفة الحقيقية والتي

لايمكن أن تكون عن طريق الحواس أو العقل وإنما بنور يقذفه الله في قلب العبد ، وهذا

<sup>1</sup> القرآن الكريم ،سورة المائدة ،الآية 82 83.

<sup>2</sup> التفقازاني ،مدخل الى التصوف الإسلامي ،ص31.



يعني أن سبيل المعرفة عند الصوفية والأفلاطونية الجديدة واحد ، وكذلك يقولان بفيض الموجودات من الواحد الذي هو الله.

إن الترجمة والنقل كان لهما الأثر الكبير في تأثر التصوف الإسلامي بالفكر اليوناني وعلى سبيل المثال ما قام به عبد المسيح بن ناعمة الحمصي عندما ترجم كتاب أرسطو ( اتولوجيا أرسطو طاليس ) وعن نظرية اللوغوس يقول فيلون بأنها تسربت إلى المتصوفة بلسم الحقيقة المحمدية .

وحسب ماسبق لا يمكن أن نرد التصوف الإسلامي إلى أصل واحد لأن المتصوفين الإسلاميين لم يكونوا مجرد نقلة عن اليونانيين أو المسحيين أو الهنود لأن التصوف شعور وجداني وقد يكون هناك تشابه بين التصوف الإسلامي وغيره .

لقد رفع نيكلسون من مكانة التصوف الإسلامي في قوله: « أما فيما يتصل بالمسائل الصوفية من ناحيتها السيكولوجية والنظرية فالغرب لا يزال يتعلم الكثير عنها من المسلمين ولكن إلى أي مدى تعلم الغرب بالفعل من مفكري الإسلام ومتصوفهم في القرون الوسطى عندما كانت أشعة الفلسفة والعلوم المنبثقة من المراكز الثقافية في اسبانيا تضيء جميع أوروبا المسيحية ، فهذه مسألة لاتزال رهن البحث والدرس التفصيلي ،ولكن دين الغرب للمسلمين كان ولاشك عظيماً، بل قد يكون غريباً حقا أن رجالات مثل القديس توماس الاكوييني وايكهارت ودافتي لم يصل إليهم أثر من هذا المصدر ،فإن التصوف كان الميدان الذي إتصلت فيه مسيحية القرون الوسطى بالإسلام إتصالاً وثيقاً»<sup>1</sup> .

يبقى مصدر التصوف الإسلامي هو إسلامي وعليه تأثير طفيف أجنبي ومحدود وتطور في نهج إسلامي واضح وفي هذا الشأن يقول ترمينغهام « إن التصوف الإسلامي تطور طبيعي داخل حدود الإسلام ،ولا يمت إلا بصرلة طفيفة .للمصادر غير الإسلامية مع أنه تلقى إشعاعات من الحياة الصوفية الزهدية للمسيحية الشرقية وفكرها، وبالتالي فإن نظاما

<sup>1</sup> نفس المرجع ،ص 36.

صوفيا واسعا ومتطورا قد تكون ( في الإسلام ) ، ومهما كان الدين الذي يدين به للأفلاطونية المحدثه أو الغنوصية ، أو التصوف المسيحي فإنه ينبغي علينا أن ننظر إليه بحق كما نظر إليه الصوفية أنفسهم على أنه النظرة الباطنة للإسلام والسر الذي نضمره القرآن <sup>1</sup> .  
يعتبر القرآن والسنة و أحوال الصحابة المصدر الأول للتصوف وم نهم إستمدو منه آرائهم وسلوكاتهم ودليل ذلك قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » <sup>2</sup> .

إن المتتبع للم قلمات والأحوال عند الصوفية سيتضح له جليا بأن البذور الأولى للتصوف الإسلامي موجودة في القرآن الكريم ومنه إستسقى الصوفية تصوفهم .  
إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وأقواله كان لها الأثر البالغ في التصوف الإسلامي فالمتتبع لحياته قبل نزول الوحي سيجد فيها معاني التقشف والزهد وحياة التعبد التي كان يعيشها الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء توحى بتقليل المأكل والمشرب ومنها يستمد الصوفية زهدهم ومج اهدتهم وأحوالهم وهذا ماقال به أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء «الفائدة الأولى (للعزلة) التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والإشتغال بلكتشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض ، فإن ذلك يستدعي فراغا ، ولا فراغ من المخالطة فالعزلة وسيلة له ..... فالعزلة أولى بهم (أي الصوفية) ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في إبتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل حتى قوى فيه نور النبوة ، فكان الخلق لا يحبونه عن الله فكان ببينة مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى » <sup>3</sup> وقد أجمل أحد الصحابة ذكر أخلاقه وسلوكه مع الناس في قوله: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه

<sup>1</sup> Spencer trimingham the sufi orders in islam London 1971 p2.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة النازعات ،الآية 40.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي ،أحياء علوم الدين ،ج2 ،ص ص 201 202.

قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يزم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذ تكلم أطرقت جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير : وإذا سكت تكلموا : لا يتنازعون عنده <sup>1</sup>.

بهذه الأخلاق التي كان يتمتع بها الرسول صلى الله عليه وسلم إستطاع أن يكسب قلوب أصحابه والناس جميعا و إحترامهم وثقتهم ، ويشكل مرجعية للمتصوفة يستسقوا منها زهدهم وتصوفهم .

لعبت حياة الصحابة و أقوالهم دورا مهما في التصوف الإسلامي لأنها كانت حافلة بالورع والزهد والتقشف وهذا لأنهم كانوا يقتدون بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كذلك شبههم بالنجوم وقال فيهم الله تعالى : « والسابقون الأولون من المم اجرين والأنصار والذين إتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » <sup>2</sup>.

بناء على ما جاء في قوله تعالى وفي ح ديث النبي صلى الله عليه وسلم إستطاع الصحابة أن يكونوا قدوة عند المتصوفة . وعن حالهم جاء على لسان الطوسي في كتابه اللمع أن أبي عتبة الحلواني قال : « ألا أخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ أولها لقاء الله تعالى كان أحب إليهم من الحياة ، الثانية كانوا يخافون عدوا قلوا أم كثروا ، والثالثة لم يكونوا يخافون عونا من الدنيا ، وكانوا واثقين برزق الله تعالى » <sup>3</sup>.

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب الذي عرف بتقشفه وزهده ، كان يخطب في المسلمين وفي قميصه إثنى عشرة رقعة ، وعثمان بن عفان الذي عرف بكثرة تعبدته ومجاهدته لنفسه وعرف بزهده وكثرة إنفاقه وحادثته قتله فكانت خاصة وحلها الصوفية تحليل خاص . وكانت حياة على محطة مهمة كذلك في التصوف الإسلامي .

<sup>1</sup> التفقازاني ،مدخل الى التصوف الإسلامي ،ص 47.

<sup>2</sup> القرآن الكريم ،سورة التوبة ،الآية 100.

<sup>3</sup> أبو نصر السراج الطوسي ،اللمع 167.

## 2- التصوف الفلسفي *soufisme philosophique* :

في التصوف الفلسفي يمتزج الذوق بالنظرة العقلية مترجما في مصطلحات فلسفية ولقد عرف هذا النوع من التصوف في القرنين السادس والسابع الهجريين حيث تسربت إليه فلسفات متعددة يونانية ،مسحوية وهندية وهذه الفلسفات ليست طعنا في أصله وإنما دليل على قابلية الألفة فيه وملائمة المذاهب الأخرى والإسلام .

التصوف الفلسفي تصوف خاص يستعمل مصطلحات فلسفية إلا أنه لا يمكن تسميته تصوفا خالصا لأنه يستعمل ألفاظ فلسفية ولا يمكن تسميته فلسفة لأنه قائم على الذوق .  
وقد عرف متفلسفة الصوفية الفلسفة اليونانية ومذاهبها كمذاهب سقراط وافلاطون وارسطو والروقية ، كما عرفو الفلسفة الأفلاطونية المحدثة ونظريتها في الفيض أو الصدور *em anation* والفلسفة المعروفة بالهرمسية *hermeticism* وكتابتها التي ترجمت إلى العربية ووقفوا على الفلسفات الشرقية القديمة فارسية وهندية ، وعلى فلسفة فلاسفة الإسلام كالفرابي وابن سينا وغيرهما، وتأثرو بمذاهب غلاة الشيعة من الإسماعلية الباطنية ، وبرسائل اخوان الصفا .وهذا كله إلى جانب علمهم الواسع بالعلوم الشرعية من فقه وكلام وحديث وتفسير<sup>1</sup>.

إن تظافر هذه العوامل كلها أدى إلى تكوين الفكر الفلسفي الصوفي وتباين ثقافة أولئك المتصوفة وإستعدو من خلالها لمواجهة الفقهاء المسلمين .  
لاشك أن للتصوف الفلسفي موضوعات خاصة به لأن أصحابه إتجهو نحو وضع نظريات في الوجود وعن تلك الموضوعات فقد حدد إبن خلدون في كتابه المقدمة في أربع موضوعات وهي :

- 1-المجاهدات وما يحصل عنها من الأذواق والمواجيد ومحاسبة النفس على الأعمال .
- 2-الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي

<sup>1</sup> التفتازاني ،مدخل الى التصوف الإسلامي ،ص 187.

والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وترتيب الأكوان في صدورها عن موجدتها وتكونها .

3- التصرفات في العالم و الأكوان بأنواع الكرامات أو خوارق العادات .

4- صدور الألفاظ الموهمة للظاهر والتي تعرف بالشطحات ، وهي العبارات التي تستشكل زوارها والناس بالنسبة لها بين منكر ومستحسن ومتأول<sup>1</sup> .

من أجل الترقى الخلقى يعمد أصحاب التصوف الفلسفي إلى إصطناع المجاهدات

النفسية ، ولمعرفة الحقائق يعقدون الكشف ، هم كذلك يعتمدون الرمزية ولهم نظريات في الوجود كما أنهم يترفعون بأنفسهم وعلمهم .

<sup>1</sup> ابن خلدون ، المقدمة ، ص 332.

### المبحث الرابع: نماذج لشخصيات التصوف الفلسفي.

بعدما تعرفنا على التصوف الإسلامي والتصوف الفلسفي وموضوعته في المبحث الثالث إرتئينا ان نبحت في هذا التصوف الأخير عن الشخصيات التي تمثله ويمكننا من خلال تتبع محطاتها الحياتية ليزداد معرفة عن هذا التصوف فإنتهى بنا البحث في شبه جزيرة إيبيريا والتي أطلق عليها المسلمون إسم الأندلس والتي عرفت بموقعها الجغرافي الممتاز ومناخها الملائم مما أدى إلى إنجابه نخبة من العلماء والمفكرين يمنا زون بذكائهم الخارق وإدراكهم الواسع ، وقال عنها لسان الدين الخطيب « خص الله تعالى بلاد الأندلس من الريح وعرق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتفاخر العمران ، وجودة اللباس وشرف الآنية ، وكثرة السلاح وصحة الهواء ، وبيضاض ألوان الإنسان ونبل الأذهان ، وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الإدراك ، وأحكام التمدن والإعتمار بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها »<sup>1</sup>

قال أبو عبيد البكري « الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها ويمانية في إعتدالها وإستوائها هندية في عطرها وذكائها أهوازية في عظم جبلتها ، صينية في جواهر معادنها عدنية في مواقع سواحلها »<sup>2</sup>.

لقد نبغ في الأندلس أعلام أفاضل فأستوقفنا منهم قامة من قامات التصوف الفلسفي وهو ابن عربي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1986 ص ص 15 16.

<sup>2</sup> نفس المرجع ، ص 16.

<sup>3</sup> ابن عربي : ولد أبو بكر محمد بن علي من قبيلة حاتم الطائي، والمعروف باسم ابن عربي وبألقاب « محي الدين » و « الشيخ الأكبر » و « ابن افلاطون » في مدينة مرسية في 17 رمضان سنة 560هـ. كان ابن عربي من اسرة نبيلة ، غنية ، وافرقة التقوى ، تلقى تربية دنية ادبية كاملة ، تحول الى الله بكليته بعد وفاة ابيه ، تلقى تكوينه الصوفي تحت إشراف العديد من الشيوخ . سافر الى اسبانيا والى المشرق ، ندهورت صحته واستقره المقام في دمشق وهناك اخرج بعض الكتب ، توفي في ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة ثمان وثلاثين وستمئة في منزل ابن الزكي \* .

\* اسين بلاتيس ، ابن عربي حياته ومذهبه ، تر: عبد الرحمن بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1965 ، ص ص 93.

عرف ابن عربي Ibn Arabi بأخلاقه الفاضلة والتي لم تتأثر بما تلقاه من شدائد لأنه كان يستدل بالرسول صلى الله عليه وسلم في الخلق وكان ينطلق من الفكرة التي تقول بأن الرحمة الإلهية شاملة لعباده حيث كان يشعر بالرحمة إتجاه المخلوقات رغبة منه بالتخلق بالأخلاق الإلهية وطمعا في رحمة الله والتي هي بدورها تنقسم إلى نوعان واحدة كتبها الله على نفسه لعباده المؤمنين والثانية تلك التي تشمل عباد الله العاصين إذا قضاوا فترة العذاب وهو يشهد على نفسه بأنه من الذين جليلهم الله على الرحمة ليرحموا العباد نظرا لتحكم الرحمة في قلبه ليقضوا على الشقاء والعناء .

ولقد وصف نفسه بالعفو وذلك في قوله: « إنه كثيرا ما كان يتجرع غضبه خشية أن يدفعه هذا الغضب إلى فعل يكون أكثر سوءا من الغضب نفسه »<sup>1</sup>

عرف ابن عربي بسيطرته على غضبه لأنه لم يعاقب أحد في حياته لأنه كان يميل إلى العفو وذلك قوله: « وأما ما يرجع إلي فأعفو عنه عن طيب نفس ، وعدم إقامة على دخل وحقد .وما أدري أنني إقترضت أحدا قرضا ، وفي نفسي أن أطلبه منه ،فلا أطلبه ، وإن جاء به وأرى حاجتي إليه أخذه منه ، ولا أعلمه، وإن علمت أنه ضيق على نفسه فيه أنظرته إلى ميسرة .هذا فيما يخص بنفسي ، وحكم العيال حكم الجار الأقرب له حين يطلبه ، أنا مأمور بإيصاله إليه إذا قدرت عليه »<sup>2</sup>.

كان ابن عربي يميل إلى الفقراء ولا يدعى لنفسه لاعزة ولاغنى وإنما واجبه كمتصوف أن يتخلق بالأخلاق الإلهية متبعا خطى الرسول صلى الله عليه وسلم مستشهدا بقوله تعالى « وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تنزع عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا »<sup>3</sup>.

نجد في أخلاق ابن عربي دعوة للتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوة

<sup>1</sup> محمود القاسم ،محي الدين بن عربي ،مكتبة القاهرة الحديثة ،ط1 ، 1972 ص12.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص ص 12 13.

<sup>3</sup> القرآن الكريم ،سورة الكهف ،الآية 27.

إلى التعاطف والتراحم بين الأغنياء والفقراء ويقبل بعضهم على بعض ويطع عوا المؤمن الفقير لأنك ترى نفسك فيه عكس المؤمن الغني. ل م يكن ابن عربي يخاف من الملوك بل كان يكتب لكل ملك ظالم لرعيته يذكره بحدود الله ويلزمه بإتباع الشريعة الإسلامية. وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتخلق بأخلاق الله. ولم يحب يوماً أن يمدحه أحد .

كانت لابن عربي القدرة على معرفة أعماق النفوس وأن يتحكم هو في نفسه ويطلب من الناس أن لا يثوروا ضد الملك رغم ما كان يكتبه للملوك إلا أنه يخشى عليهم من الفوضى والفتنة .

تسامح ابن عربي مع جميع الخلق فدعى لمن ظن به خيراً وسمح لمن لم يظن به خيراً ورأس ذلك في قوله: « اللهم إني تصدقت بعرضي ومالي ودمي على عبادك فلا أطلبهم بشيء من ذلك في الدنيا وفي الآخرة و أنت الشاهد على ذلك »<sup>1</sup> كما كان يترحم على كل من عرفه في حياته ولم يذكر أحد قط بسوء .

#### المرجعية الفكرية والثقافية لابن عربي :

قد يتسأل البعض عن مصدر ثقافة ابن عربي نقول أن الأمور تعرف من بدايتها أي إذا تعرفنا على عائلته سنجد بداية هذه الثقافة حيث كان له خالان سلكا طريق الزهد أحدهما يحي بن يфан والثاني أبو مسلم الخولاني . وكان أحد أعمامه وهو عبد الله بن محمد بن عربي له مواهي صوفية تنبؤية وفي هذا الوسط عاش ابن عربي طفولته بين الزهد والتصوف. نظر للمواهب والقدرات الأدبية التي كان يتمتع بها نال مبكراً وظيفة حكوميه في اشبيلية . وكذلك زواجه من مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي كان له الأثر البالغ في ثقافته لأنها إمرأة صالحة . وهذا بشهادة منه وذلك في قوله « حدثتني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون ابن عبد الرحمن البجائي قالت : رأيت في منامي

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص 19 .



شخصاً كان يتعاهدني في وقائعي وما رَأيت له شخ صرّ قط في عالم الحس ، فقال لها: أتقصدين الطريق؟ قالت: فقلت له : أي والله أقصد الطريق، ولكن لا أدري بماذا قالت فقال لي : بخمسة وهي : التوكل ، واليقين ، والصبر ، والعزيمة ، والصدق ، فعرضت رؤياها علي ، فقلت لها هذا هو مذهب القوم<sup>1</sup>.

كانت للثقافة الهلينية الأثر الكبير في ثقافته لأنها إنتشرت بين المسلمين والعدد الكبير من كتب الفلسفة والطب وغيرها الذي وصل إليه -المسلمين- والتي عكف على دراستها المسلمون وأقاموا عليها العديد من الإتجاهات .

أثر التراث الهندي La patrimoine Indienne كذلك في ثقافته وهذا التراث كان ممزوجاً بالثقافة الآرية قال دييور : « أن تلمت الهند المرتبطة بكتبهم المقدسة والمتقيدة بالدين تقيدا . كان لها أثر متصل في الصوفية الفارسية والإسلامية<sup>2</sup> .

وعرف الفكر الإسلامي تأثير الفكر الفارسي من خلال المناظرات التي جرت بين المعتزلة وأهل التراث الفارسي وترجمات ابن المقفع وتلك القضايا التي جرت في المناظرات أثرت على فكر ابن عربي ودليل ذلك تأثر بالعطار وجلال الدين الرومي فتذوق الحقيقة المحمدية ، الحق الإلهي والإمام المعصوم .

لقد كان للتراث اليهودي الأثر على التراث الإسلامي حيث كانت الأندلس محطة ظهر فيها أعلام اليهود مثل ابن ميمون وابن جبرول وغيرهم والذين نبغوا في الفلسفة .  
تنقل التراث اليوناني إلى الشرق من خلال سفر كبار الفلاسفة أمثال أفلاطون طاليس انكسمندر وغيرهم وتناولوا قضايا التناسخ والحلول والروح و إنغمس ابن عربي في دراسة نظريتهم وتأثر بالأخلاق الرواقية من خلال دخول الفلسفة جسد المسيحية دخل منها العديد إلى التصوف وهذه العناصر هي : الطول والزهد.... كما أثر الفكر الصابي على فكر ابن

<sup>1</sup> أسين بلاثيوس ،ابن عربي حياته ومذهبه ،ص ص 10 9 .

<sup>2</sup> انظر : محمد إبراهيم الفيومي ،ابن عربي حياته ومذهبه ،تر: عبد الرحمن بدوي ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1965 ،ص 26 .

عربي فيصبيه كفر من خلال قصة أخذ الإلهام من الكواكب ، كل هذا التراث المتنوع السالف الذكر كان له الأثر الكبير على فكر ابن عربي وهذا إن دل على شيء إنما يدل على سعة أفكاره وتنوعه الثقافي .

بدأ ابن عربي مسيرته التعليمية بعلوم القرآن الكريم فتعلم القراءات عن أبابكر محمد بن خلف اللحي الأشبيلي فقرأ عليه القرآن بالسبع وتعلم كذلك على يد أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القرطبي المعروف بالشرط وقرأ عند أبو بكر محمد بن أبي حميرة التيسير لأبي عمرو الداني .

تلقى الحديث والآدب والفقہ على يد أبوعبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد و أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد.

ومن شيوخه أيضا أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي وكان له تحقق بالعلوم على تفاريقها، و أخذ منها في كل فن ، وكان من أعلم أهل الأندلس بمذهب مالك وهو من أهل بيت عريق في العلم توفي سنة 597هـ.<sup>1</sup>

وأخذ ابن عربي عن الفقيه الشافعي أبو القاسم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الخرستاني، وسمع الحديث كله عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن مسعود بن بشكوال .قرأ ابن عربي كتاب الإيصال لأفهم الخصال لجميع شرائط الإسلام في الواجب والحلال والحرام لإبن حزم وموضوع هذا الكتاب فقه الحديث .

إن كثرة المشارب التي إستسقى منها ابن عربي كان لها الأثر الكبير في ثقل مواهبه المتنوعة والمتعددة ، إضافة إلى سحر طبيعة الأندلس ، كما أنه عرف برغبته الجامحة في طلب العلم وكثرة قرائته للعديد من الكتب المتنوعة ورؤيته العديد من الشيوخ مما يشهد له بحرصه على طلب العلم .

ولقد شهد في كفاه ابن عربي العديد من السلف أمثال ابن الجوزي وابن عساكرو هذا

<sup>1</sup> عبد الحفيظ فرغلي علي القرني ، الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين ، ص 32.

يدل على قدرته ومقدرته الفائقة في شتى العلوم .

ولقد أرخ ابن عربي لنفسه رغم ما دار حوله من جدل حيث جعل لشخصيته مكانة مرموقة تنال رغبة الباحثين والدارسين في التناول ، فللتأريخ لابن عربي يعني التأريخ لعصره والتأريخ لعصر تأريخ ابن عربي نلمس ذلك واضحا في بعض مؤلفاته مثل الفتوحات المكية ورسالة القدس وذخائر الأعلام ،مواقع النجوم والتدبيرات الإلهية وغيرها<sup>1</sup>.

### المعرفة ووسائلها عند ابن عربي :

إن المعرفة الروحية تختلف عن المعرفة العلمية لأنها تتميز بالطابع اليقيني الثابت والبريق الواضحة وهي كرامة من الله وهذه المعرفة لها أسماء مختلفة ولقد قام المتصوفة بتقسيم تقليدي لها وهي الكشف والمشاهدة والتجلي .

وعن وسائل المعرفة يرى ابن عربي أن الحس بأدوته الخمسة البصر والسمع واللمس والشم والطعم ينقل للعقل المعطيات المنطبعة به .و ابن عربي بدوره لايشكك في وسائل المعرفة ولا يعطيها الثقة الكاملة بل يجعلها الوسيلة الموصلة والعقل الحاكم لأن الحواس تتعرض للقوة والضعف « وما لم يمت العضو، وطرأ على محل قوة ماخلل .فإن حكمها يفسد ويتخبط ولا يعطي علما صحيحا ،كحال الخيال إذا طرأت عليه علة ، فالخيال لايبطل وإنما يبطل قبول الصحة فيما يراه علمي وكذلك العقل وكل قوة روحانية .و أما القوى الجسمانية فهي أيضا موجودة ولكن تظراً حجب، فالأعمى شاهد الخيال ويراها في الكلمة التي يجدها في الحجب وكذلك ذائق العسل والسكر إذا وجده مر فالحس يقول أدركت مرارة والحاكم إن أخطأ يقول :هذا السكر مر ، وإن أصاب عرف العلة<sup>2</sup>»

المعرفة العقلية لم تسلم من السهام النقدية لابن عربي حيث يرى بأن معارفه خاضعة للحس والذي قد يمهده بمعارف ويزداد خداعها وخضوعه للخيال الذي يعتمد الحس أي للقوة

<sup>1</sup> محمد إبراهيم الفيومي ،ابن عربي صاحب الفتوحات المكية ،الدار المصرية اللبنانية ،ص 11.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص ص 46 47.

المفكرة وتعرضه للوهم .

يرى ابن عربي أن القياس لا يمكنه أن يوصلنا لإدراك طريق الله ويقدم ابن عربي قدرة فائقة تتصف بالقدرة الجدلية على ضرب القياس بقوله : وكذب أهل القياس على الله محاولا إفساح الطريق لعلوم الإختصاص ، لأنها لا تتال بالقياس ولا بضرب المثل.<sup>1</sup> للعقل عند ابن عربي قابلية المعرفة التي تأتيه من الحواس ومن الخيال والوهم ولا يمكنه معرفة الأشياء بذاته لأن هذه المعرفة لا تكون إلا عند الله سبحانه وتعالى، و اصل كل علم عند ابن عربي هو التقليد. وحسب هذا الأخير قسم الناس الى ثلاثة طوائف وهم: طائفة قلدت عقلها فيما أعطها فكرها، وطائفة قلدت عقلها وهم أصحاب العلوم الضرورية، وطائفة العلية وهم أصحاب العلم الصحيح .

#### نظام المرید عند ابن عربي و وسائل الكمال :

يرى ابن عربي أن تلقي الخرقة أفعال سابقة عن الإرادة وعلى الشيخ يلقي بروحه في الحضرة الإلهية ويمتحن روحانيته وأخلاقه ويطلب الله أن يبارك فيه وفي تكوينه ويكون من المقبولين.

السلوك الصوفي يصحبه عهد من المرید وهو الإخلاص أي الطاعة العمياء للشيخ لأنها الأساس في فترة التكوين الصوفي، الإنسان المرید يحرم من كل وسائل العيش حتى ينال الفضيلة وعليه أن يفضل الفقراء على الأغنياء .

نهى ابن عربي Ibn Arabi المرید من استعمال خرقة الشيخ التي تلقى عليه من الشيخ رغم من أن ابن عربي تلقى الخرقة من أبي القاسم عبدالرحمن بن علي قبل مغادرته الأندلس متجها نحو الشرق وفسر تلقيه الخرقة بلُفه رمز الأخوة في الأندلس بين الصوفية . عند ابن عربي لباس المرید يشبه لباس عامة الناس إذ يرفض أن يحتم السالك طريقة خاصة في اللباس ويحبذ أن يلبس كل واحد حسب رغبته وعادات بلاده لكن يشترط شرطا

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 49.

واحدا في اللباس وهو أن لا يكون من القماش الثمين .

يخضع المريد لسلطة الشيخ عندما يقبل لأنها واجبة كما سبق و أشرنا ،ولكل مريد خلوة خاصة به لا يتركها ولا يخرج منها إلا بلمر الشيخ ولا يتصل المريدين مع بعضهم البعض إلا بعد أمر من الشيخ . « وإذا خرجوا إلى الطريق خرجوا جماعات غاضين أبصارهم ذاكرين الله دون أن يلتفتوا يمينا ولا يسارا ولا إلى وراء ولا يقفون حتى ليلقوا شيئا وقع من أحدهم في الطريق كما كانوا يعودون أيضا جماعات »<sup>1</sup>.

رتب ابن عربي أوقات الجماعة فعملها الأول هو الصلوات في مواعيدها حيث يجتمعون في المسجد لتأديتها وثانيها الذكر الجماعي وثالثها الإنشاد للأشعار الصوفية مع عدم حضور المريد .

يقوم الشيخ بشرح الطريقة ومبادئها للمريدين وحدهم ويحدث عن ما يحدث في النفس من آثار الذكر كما أن عليهم قراءة رسالة المحاسبي أو القشيري فيشرحها لهم الشيخ وبعد الإنتهاء يأخذ كل مريد خلوته ويقوم ببعض الأعمال الخاصة كالرياضة والمجاهدة .

وفي نظام الأكل ينهى ابن عربي عن الشراهة في الطعام ويأكل ما هو أقرب إليه ولا ينظر إلى يد جاره ولا إلى وجهه ويقتصر على ما يقدم له ويكثر من حمد الله . لا يدخل أحد على الشيخ عندما يكون في خلوته إلا الخادم وحتى هو ينبغي عليه أن يطلب الإذن من الشيخ ،والمريدون كانوا يمتثلون لأوامر الشيخ ولا يدخل إلا بعد الإذن ويجلس متأهب ويمنع عليه التبسط ،وعلى المريد أن يذهب كل يوم لخلوة الشيخ ويحييها حتى لو كان الشيخ غائب.

يحدد ابن عربي وسائل الكمال ويلخصها في:

تنظيم الحياة إذ ينبغي على كل من يسلك سبيل التقوى أن يضع مخطط لتوزيع ساعات يومه حتى يشغل ساعات فراغه.

<sup>1</sup> ابن عربي ،رسالة الأمر الحكيم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط ،استنبول ،1315هـ ،ص 112.

ولابد من محاسبة النفس وتكون بتبصرة الأخطاء وتوفير أسباب تجنبها والوقوف على نتائجها. وإستشعار الحضور الإلهي ليتحقق المرید ان ما في وجدانه الإله سبحانه وتعالى ويحافظ على حضوره طول اليوم أي يبعد نفسه عن كل ما ليس لله يستأنس بالله في خلوته وعلى المرید الدعاء حيث يشير ابن عربي إلى خمسة أنواع وهي: الصلاة وهي فرض على كل مسلم، تلاوة القرآن تلاوة تفكير والتفكير بالمعنى الحقيقي والسماع إلى الإنشاد الديني التأمل الناشئ عن الخلوة، ويتكون من تلاوة أدعية على التكرار فيها ذكر الله وهذا هو الذكر<sup>1</sup>.

### التصوف وابن عربي :

إن حقيقة التصوف توحى بأنة ليس علما مكتسبا يحصله من يريده بالقراءة وإنما هو سلوك يكتسب بتهذب النفس والعمل ويكون هذا التهذيب بالمجاهدة أي يعدل مزاجه ويتوقع وقوع الشدائد به وإستقامة الهمة وملازمة الباعث وهذا لأن الإهتمام بالجانب النفسي هو المهم في عملية التصوف بمساعدة العقل وشيخ موجه مرشد يدل المرید على الوسائل التي تساعده على مجاهدته والمنتبع للشخصيات الصوفية يجدها معظمها إن لم نقل كلها وصلت بتوجيه الشيخ، وعلى سبيل المثال شيخنا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رغم ما قراه لكنه لم يصل إلا بعد أن أخذ بيده شيخه يوسف النساج.

إن طريق المعرفة الصوفية La culture du soufisme محفوف بالأخطار والمعيقات التي تحيل وصول المرید إذ يجب عليه أن يكون صاحب عزيمة هذا ما قال به ابن عربي في رسالة الأنوار « أن السفر مبني على المشقة والمحن والبلايا وركوب الأخطار والأهوال العظام »<sup>2</sup>.

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود « التصوف ليس ثمرة كسبية إن الوسيلة إليه ليست

<sup>1</sup> آسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ص 163.

<sup>2</sup> ابن عربي، رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الاسرار، القاهرة، 1332هـ، ص ص 11 12.

هي الثقافة ولكن الوسيلة إليه إنما هي العمل إن الطريق إليه إنما هي السلوك والمعرفة الناشئة عن العمل والسلوك هي إلهام وهي كشف وهي ملاء على إنعكس على البصيرة المجلوة ، فتذوقه الشخص حالاً وأحس به ذوقاً وأدركه إلهاماً وكشفاً<sup>1</sup>.

إتبع ابن عربي النمط الصوفي ملتزماً بالشرع مصابراً على الرياضيات الصوفية مجاهداً نفسه متبعاً توجيهات الشيوخ الذين عرفهم والتقى بهم والإستفادة من الكتب الصوفية على غرار الرسالة القشيرية وكتاب إحياء علوم الدين . وكتاب طبقات الصوفية للسلمي وكتاب حلية الأولياء لأبي نعيم وغيرهم من الكتب التي أعتنت بالتصوف والصوفية . عرف ابن عربي العزلة منذ صغره وهاته كانت بداية التصوف في سنه المبكرة وما ذكرناه عن ابن عربي إن دل على شيء إنما يدل على تصوفه المتين المبني على الكتاب والسنة وهدي ويقين .

لاشك أن الملكة الفكرية النبيرة التي يتميز بها ابن عربي جعلته يحسن إستغلال صحبة شيوخه والإستفادة من سلوكاتهم وطرقهم دون المساس بالشرع ملتزماً به كل الإلتزام معتمداً في عمله على الكشف والذوق لا على المدركات العقلية ولا إعتماداً على المعطيات والأفكار الفلسفية ورغم هذا إلا أنه لا يعيب ولا ينكر أقوال الفلاسفة وهذا مانجده في قوله «إياك أن تبادر إلى إنكار مسألة قالها فيلسوفي أو معتزلي مثلاً وتقول : هذا مذهب الفلاسفة أو المعتزلة ، فإن هذا قول من لا تحصيل له ، إذ ليس كل ما قاله الفيلسوف باطلاً ، فعسى أن تكون تلك المسألة صرح بها واحد من علماء الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتباً كثيرة مشحونة بالحكم والتبري من الشهوات ومكائد النفوس وما إنطوات عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح موافق للشرع فلا تبادر يا أخي إلى الرد في مثل ذلك وتمهل ، وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تحد النظر فقد يكون ذلك حقاً موافقاً للشريعة لكون الشارع قال تلك المسألة أو أحد من علماء

<sup>1</sup> عبد الحفيظ فرغلي علي القرني ، الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين ص ص 112 113.

شريعته»<sup>1</sup>.

العلم الذي يأتي للإنسان من الله عند ابن عربي يأتي عن طريق الذوق وهو أفضل من العلم الذي يأتي من العباد وذلك العلم يهبه الله إلى العبد الذي يخشاه ويتخلق بالأخلاق الإلهية .

يقدم ابن عربي للسالك نصائح منها الإستفادة من الوقت إذ عليه أن يستغل وقته في العبادة والمجاهدة لكي ينال كرامات الله سبحانه وتعالى ويفعل الخير ،ولابد عليه من التطهير لتزكية نفسه وتصفية قلبه وتحلية روحه ولا يحدث هذا إلا بالتوبة والخلوة والذكر والإيمان الصوفي لينال السالك الإلهامات الإلهية العلوية .

ولابد على السالك من الجوع والسهر حتى يطهر نفسه من الشهوات .ومن الفضائل التي يجب أن يتحلى بها السالك الطهارة وحماية الحواس من اللذة الجنسية ولا يأكل إلا ما هو في حاجة إليه .وعليه بالزهد لأن : ظهرت بذور التصوف الأولى في نزعات الزهد القوية التي سادت في العالم الإسلامي في القرن الأول الهجري<sup>2</sup>.

وإلى جانب ما ذكرناه عن الفضائل التي ذكرها ابن عربي قمع الأهواء والتضحية والقناعة الصادقة بما يأتي من عند الله وتفويض الأمر لله ، والتواضع الذي هو : « من أعلى مقامات الطريق ، وآخر مقام ينتهي إليه رجال الله وحقيقة العلم بعبودية النفس ولا يصح مع العبودية رياسة أصلا»<sup>3</sup>

قد يتسأل البعض عن ثمرة التصوف الذي إتخذه ابن عربي طريقا ليني عليه حياته ؟ والإجابة هي أن ثمرة هذا التصوف :ظهرت في صورة عزوف كامل عن الدنيا ولذاتها،فجر ذلك ينابيع الحكمة في قلبه فانجلت عين بصيرته وارتفعت الكثافة البشرية فأبصر وأدرك

<sup>1</sup> انظر: نفس المرجع ،ص 117.

<sup>2</sup> محمد ابراهيم الفيومي ،ابن عربي صاحب الفتوحات المكية ،ص ص 33 34.

<sup>3</sup> آسين بلاثيوس ،ابن عربي حياته ومذهبه ،ص 152.



وأستشف كثيرا من المعاني عن طريق الكشف أو الإلهام<sup>1</sup>.  
 إن السالك عند ابن عربي عندما يصل إلى هذه المرحلة يرى رؤية تتحقق في عالم يقظته ويستدل على ذلك بما كان يحدث معه إنطلاقا من رؤيته للنبي في المنام والإشراق الذي ينبعث من جسمه أثناء الذكر فيبيد الظلام ولقائه مع أرواح الأنبياء والأولياء والمؤمنين والمعارف الفائقة والتي لا يمكن حصرها التي كان يتمتع بها الشيخ الأكبر.  
 في تصوف ابن عربي لحدوث المعرفة لأبد من المجاهدة وتكون هذه الأخيرة بالالتزام بالعبادة والطاعة وكل مرید لأبد عليه من أن يمر بها ويكون له زاد من الخلق واد آب الطريقة.

<sup>1</sup> المرجع الأسبق، ص 120.

## (2) الحلاج<sup>1</sup>:

### تكوينه الثقافي :

ارتبطت الصوفية بالحلاج إلى درجة إذا كتبنا عن حياته فإننا نوثق الصوفية وذلك راجع إلى المراجعة التاريخية لحياة الحلاج إنما تعني إستحضار ما هو عقائدي وسياسي وتاريخي متعلق بمحاكمة الولاية الصوفية . وهذا يعني إتصاله بشيخ الطائفتين الجنيد وكان ذلك بعد أن قال الحلاج لأمه : « أوهبيني للشيخ أبو القاسم الجنيد و أوفي بنذك فأخذته ومضت به إلى الجنيد فعلمه كتاب الله وعلمه العلم الشريف وكان يخدم الزاوية . ويتحج إلى الفقراء ويدخل الخلوة ويكنسها وينفض الكتب من الغبار ، ويبسط السجادة لشيخه ويملاً الأباريق . فدخل الخلوة ذات يوم ليكنسها وإذا بورقة قد سقطت من السجادة فيها إسم الله الأعظم فلأخذها وأكلها ليتبرك بها وكانت مرسوم الولاية للشيخ<sup>2</sup> .

درس الحلاج Alhalladj القرآن والقراءة والقواعد في مدينة واسط بمدرستها القرآنية الشهيرة وفي بلدة تستر أضحى مريدا على يد شيخ الطريقة السالمية السهل بن عبد الله التستري وإستفاد الحلاج من عمرو بن عثمان المكي الذي أهداه إلى الصوفية وألبسه الخرقة وأحلقة شاربيه.

إن الحلاج لا يبحث عن ذاته عندما ينطوي عليها ، فضلا عن أنه لا يبحث عنها عندما يرسم لنا شخصيته في العالم الخارجي فهو في واقع الأمر رؤيوي تخترقه نظرة الآخر

<sup>1</sup> الحلاج :أبوالمغيث الحسن بن حمى البيضاء متصوف فارسي كتب ملقاته باللغة العربية ولد حوالي 244هـ في الطور بالقرب من البيضاء من أعمال فارس وهو حفيد مجوسي قضى اعوام عديدة في خلوة مع الصوفية ثم انفصل عنهم إلى الدنيا يدعو إلى الزهد والتصوف وكان داعيا للقرامطة وجميع حوله تلاميذ الحلاجية ، اتهمه المعتزلة بالشعوذة وسجن لمدة ثماني سنوات ، وامر الوزير حامد بقتله بعد محاكمة دامت سبعة اشهر بمقتضى فتوى أقرها القاضي المالكي أبو عمر وفي يوم الثلاثاء الربع والعشرين من ذي القعدة 309 هـ جلد الحلاج وقطعت اوصله وشوه وصلب \* .

\* الحلاج ، السيرة الشعبية للحلاج ، تحف ، رضوان السح ، دارصادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998، ص121

<sup>2</sup> نفس المصدر ، ص33.

مأخوذة بهذا الماورائي الأسراري أو المقابل لعالمه الداخلي<sup>1</sup>.

لقد كان الحلاج الداعية المؤهل للدفاع عن الجوهر الإسلامي ورسم الطريق للوصول إلى الحق وغرق بعربيته رغم أصله الفارسي حيث إستطاع أن يقود النفوس إلى الإتحاد الصوفي عبر إستشهاده وكان ذلك في البلدان التي لا تتكلم اللغ العربية أم التي تتكلم اللغة العربية فكان الحلاج شخصية مشبوهة. وقد وصفه بعض معاصريه بالشفيع .

لقي الحلاج القبول من فلاسفة صوفيين ووجدوا هم كذلك ضالتهم عنده :العقيدة الحلاجية أوجدت في الإسلام فرصة وأملا للإرتقاء إلى مافوق الشكل الخارجي للعبادة بفضل فلاسفة عظام وصوفية بارعين أمثال ابن عربي و ابن سريين وجلال الدين الرومي وعبد الكريم الجيلي ،لقد رأى هؤلاء أن الثقة بالأولياء ستشارك في بناء وحدة إنسانية أكثر سموا من أي إجمال عقائدي هذه الوحدة الروحية التي إبتدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة بوصف الحال الأمثل للمدينة الروحية التي وضع أساسها الحلاج بإستشهاده<sup>2</sup>.

### تصوف الحلاج :

يتشعب الحديث عن المعرفة الصوفية من حيث مصدرها وموضوعاتها ووسائلها وغاياتها ذلك أن كل صوفي يتحدث عنها من واقع تجربته الخاصة ،وكثيرا ما تختلف تجارب الصوفية وتتباين إنها مواقف ذاتية ب حثة ليس لها قانون ولاضابط إلا الذوق والوجدان الذاتي<sup>3</sup>.

التصوف وسيلة للمعرفة ويكون ذلك عن طريق الزهد أي يترك العبد الدنيا ويقتل على تصفية نفسه حتى يتسنى له الأخذ بالحقائق والمقصود بتلك المعرفة هي معرفة بالله وينالها العبد بالفناء وهذا بذهاب صفات الأنانية عن الإنسان .فالصوفي الذي تجرد من صفات

<sup>1</sup> قاسم محمد عباس ،الحلاج الأعمال الكاملة ،رياض اليس للكتب والنشر ،مصر ،ط1، 2002، ص 41.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص 59.

<sup>3</sup> أسماء خوالدية ،صرعى التصوف ،منشورات الاختلاف ،الجزئر ،ط1، 2014، ص 173.

الناسوت وفنى في صفات اللاهوت يبقى بالله وإذا بقى بالله أصبح العارف بالله وهذا هو مقام المعرفة الذي تتجلى فيه الحقائق فيدركها إدراكا نوقيا لا دخل للعقل فيه لأن المعرفة هنا من فعل الله نفسه فالله هو الذي يرفع عن العرف به حجاب الغيرية بحيث يصبح العارف عين المعروف<sup>1</sup>.

إن الفترة التي قضاها الحسين بن منصور أمام التستري حينها تلميذا أوصلته إلى حقيقة الإنسان بأنها روح ونور وطين وهاته الروح من أصل نور وتخلصت من الطين بِلِتصالها بعالم النور حيث أخذت طريق الصوفية الذي فيه يُأخذ المرشدون بيد السالك. إن سلوك الحلاج الطريق الصوفي يعود إلى إيمانه العميق بالإسلام وحبه في الوصول إلى الله الذي جعل الرسل واسطة بينه وبين الناس، حيث يريد بهذا قريبا يفنى فيه الشعور وتزول فيه المسافات التي تحجب عنه حبيبه .

تتلخص هذه التجربة في أنها المرحلة الحاسمة والنهائية من الطريق .فهي وإن كانت كثوبة الإنفراد إلا أنها وثبة أقوى وأعمق .تلك كانت الوثبة نحو الله ، و أما هذه فوثبة الأفراد في الله ذاته .وهذه عبارة عن ترك مآ الذات حتى تصبح أشبه بالقضاء لا يحدها شيء إلا بشكل مماثل لها ومن نفس نوعها منه النوع ..إذا إستطعنا تصور هذه التجربة إستطعنا إستيعاب المعنى من ذلك الندأ الذي أطلقه الحلاج لحظة عرض نفسه لها<sup>2</sup>.

وصل الحلاج إلى مقام الفناء حيث بدأ يشعر ب أنيته في الله وللتصوف هدف وهو الفناء في الحق وله غاية وهي البقاء بالله وما دام الحلاج وصل إلى هذه المرحلة فإنه قد أصاب الهدف وهو أرقى أحوال الصوفية .

عندما وصل الحلاج إلى هذه المرحلة وقف على ضريح الإمام أحمد بن حنبل وصرخ صرخة إنقطها ابن الحداد المصري قائلا فيها : « لا تردني إلا بعد ما اختطفني مني ولا

<sup>1</sup> أباكار السقاف، الحلاج، رامتان للنشر والتوزيع، ط1، 1995، ص 105.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 144.

تربني نفسي بعدما حجبته عني»<sup>1</sup> وهذا إن دل على شيء إنما يدل على بلوغ الحلاج رجال الحذب أو ما يعرف بحال الإتحاد عند الصوفية .

صاح الحلاج قائلاً أنا الحق عندما وصل إلى النهاية وهذا مايقفنا على نظرية فلسفية أضفيت عليها الصبغة الصوفية وهذه النظرية توضحها المراحل الثلاث الآتية :

-المرحلة الاولى : هي حالة الشعور أو الوعي التي يتمتع بها الصوفي أثناء يقظته وهذه متعددة النواحي منتقلة بين موضوعاتها وهي التي يطلق عليها الصوفية حالة الصحو .

المرحلة الثانية :هي فقدان ذلك الوعي أثناء الوجد الصوفي وهي المسماة حالة السكر .

المرحلة الثالثة : هي حالة وعي ثان ترتفع فيها حرارة الوجد الصوفي إلى أعلى درجاتها وهي المسماة حالة الصحو الثاني أو صحو الجمع لأن الصوفي هنا إذ يرجع إلى عالم الظاهر الذي منه انبأ ،رجع مع الله بمعنى أنه لم يسير الى الله فحسب بل اصبح يسير إلى الله مع الله وبالله أي يبقى على الدوام في حالة الوحدة والشهود<sup>2</sup>.

لقد قال الحلاج بتزويه الله تنزيها مطلقا وبتميزه عن المخلوق وهذا ما جعل الشافعية وأهل السنة يشهدون له بالإسلام الصادق حيث أصبح الحلاج لا يرى في الوجود إلا الله .

لخص الحلاج نظرية فلسفية منص بغة بصغة صوفية هي في واقعها فلسفة كاملة إشتملت على عدة نظريات تناولت المعرفة والإله طيت والوجود واللاهوت والناسوت والنور المحمدي والنفس والعناية والعلم الإلهي والقضاء والقدر و إتخذت مساندا لها من الحديث الشريف وما جاء في القرآن الكريم<sup>3</sup>.

### 3- ابن سبعين<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> نفس المرجع ،ص146.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص147.

<sup>3</sup> أباكار السقاف ،الحلاج ،ص155.

<sup>4</sup> ابن سبعين : ولد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين العكي الغافقي في (رقوطة ) من أعمال (مرسية) بالأندلس من اسرة كريمة النسب والمحتد عام ( 614،1217) أوجز عصر الموحدين .امضى طفولته في طلب العلم على الاساتذة الاندلسيين حتى توفر له التكوين اللغوي والديني والفلسفي\* .

الظروف السياسية والإجتماعية واثرها على التكوين الفكري لابن سبعين :

عرفت الفترة الزمنية التي ولد وعاش فيها ابن سبعين العديد من الاحداث السياسية والإجتماعية والثقافية والعسكرية والتي كان له الأثر الكبير في تكوينه الثقافي ، فانهزم الموحدون بقرطبة والدمار والخراب الذي عرفه العرب نتيجة الحروب التي عرفتها تلك الفترة ومرحلة الضعف التي وصلت اليها الأندلس ، كما عرفت الحكومة الموحدية نظام وزاري حيث قامت في بدايتها على فكرة الإمامة والتوحيد وللحفاظة على هيكل النظام القبلي قام عبد المؤمن نظام خلاف الذي وضعه ابن تومرت

وبوجه الخصوص بالمغرب عرفت العديد من التغيرات حيث تعدد تناوب الحكام على السلطة وهذا ان دل على شئىء انما يدل على انها عرفت العديد من القرارات والقوانين التنظيمية حيث عرفت فتن وحروب اهلية ادت الى ازمة اقتصادية والتي كان لها اثر بالغ في تردي الأحوال المعيشية للسكان .

وبعد سقوط دولة الموحدين في المغرب والأندلس ، ظلت الدعوة الموحدية في تونس حيث اقيمت على أيدي الحفصيين (636هـ . 1238م - 941هـ . 1534م) فقد اسس هؤلاء دولة مستقلة امتد نفوذها من طرابلس شرقا الى سبة غربا ، واعلن أبو عبد الله محمد بن زكرياء نفسه خليفة وتلقت بأمر المومنين المستنصر بالله ، سنة (657هـ . 1259م)<sup>1</sup>.

هذه صورة جد مصغرة عن الاحداث التي عرفها عصر ابن سبعين لكنها تحمل في ثايتها احداث كثيرة ومما لاشك فيه بأن لها اثر في حياة ابن سبعين الذي لم يعيش طفولته كباقي الاطفال حيث طلب العلم على اساتذة الأندلس فتكون في الجانب الديني والفلسفي وعن هذه العلوم يقول الفاسي : « اشتغل بمرسية في مبدأ أمره بعلوم الأوئل من المنطق والالهي والطبيعي والرياضي الذي مجموع الحكمة عليه والتي تدعى الفلسفة ونظر في شئىء

\* محمد ياسر شرف، الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ، دار الرشيد للنشر 1981، ص14

<sup>1</sup> نفس المرجع ، ص22.

من اصول الدين على طريقة الأشعرية المتقدمين وهم فيما ظهر به من المعتقد ، واطهر ان ما قال به هو عين التحقيق ، وانه فوق التصوف رتبة»<sup>1</sup>.

الى جانب هذه العلوم درس ابن سبعين Ibn Sebin بالطب والكيمياء والهرمياء وعلم اللغة والحروف ،وقد اخذ علمه عن الحراري والبوني وابن الدهاق .

لقد شهد احد تلاميذة ابن سبعين وحصوله على علوم الاوئل والاطلاع على كتبهم ومصنفاتهم في قوله « وذلك ان سيدنا -يقصد ابن سبعين - رضي الله عنه قد اطلع على القوانين المتقدمة كلها كالشرعية والفلسفية والادبية وحصر الكتب المنزلة فيها وغير المنزلة.من اول مبدا المعالم الى وقتنا هذا ، وعرف مجملها ومفسرها ، وم جملها ومخصصها وفك غوامضها وخصص منها خمسة مذاهب واهمل ما دونها»<sup>2</sup>.

عرف ابن سبعين بحبه ورغبته الجامعة في الاطلاع على مؤلفات سابقيه وبانكبابه على العلوم تاركا حياة الترف والرياسة التي عرفت بها اسرته وفي هذا الشأن يشير تلميذه يحيى ابن احمد قائلاً: « انظر الى بدايته وحفظ الله له في صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التي هي جملة البشرية ، وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها في ابائه ، وهي الان في اخوته ...وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصصه وخرقه للعادة ثم انظر في تأييده وفتحته من الصغر وتأليف كتاب بدر الغارق وهو ابن خمسة عشر سنة ، وفي جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوي على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع ا لامور السنية تجده خارقا للعادة وفي نشأته ببلاد الأندلس ولم يعلم له كثرة نظر ، وطهوره فيها بالعلوم التي لم يسمع قط تعلم انه خارق للعادة»<sup>3</sup> انتقل ابن سبعين الى المغرب هروبا من الأندلسيون لأنهم كانوا يحملون على الفلسفة والفلاسفة ويحرقون كتبها كما كان الفقهاء يشددون الخناق على الفلاسفة فاستقر به

<sup>1</sup> أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ،ابن سبعين وفلسفته الصوفية ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ،ط1 ، 1973، ص36.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص 40.

<sup>3</sup> انظر:نفس المرجع ،ص 42.

المقام في سبته هو واولئك الذين كانوا يتبعونه وعمل هناك على دعوة الناس الى طريقته في التصوف ، وهناك تزوج امرأة .

عرفت سبته التكوين الصوفي لابن سبعين حيث عكف على مطالعة كتب التصوف ودرسها وشرح بعض معانيها . فكبرت مجموعته في سبته ، كما امر هالحاكم بمغادرة سبته بعدما تبين انه فيلسوف .

وبعد المغرب توجه ابن سبعين الى مصر رغم وجود عدد كبير من المتصوفة والذين وفدوا اليها امثال أبي الحسين الشاذلي إلا ان ابن سبعين لم يلقى فيها الإستقبال الذي يليق بمقامه كمتصوف لأن تصوفه مزدوج بالفلسفة ، ولم تلقى دعوته قبولا نظرا لغموض كلامه . بعد مصر توجه ابن سبعين بعدما خشي على نفسه من الموت الى مكة ليمكث بها سنوات عديدة نتيجة الترحيب الذي لقيه من الحاكم وهناك نعم بالطمأنينة والأمان فكرس نفسه للرياضة الصوفية والدعوة الى التصوف وهناك تمكن ابن سبعين من تصنيف بعض مصنفاته لأنه كان معروف بنشاطه وبفلسفته وتصوفه .

ولقد لقي ابن سبعين من شريف مكة ابي نمي محمد الاول وافر الرعاية والإحترام فذاع صيته وأمر سخائه ، وانتشر علمه وكثر اتباعه واعتمد اهل مكة على اقواله واهتدوا بافعاله ، ولاسيما بعد ان تتلمذ اميرهم على يديه حتى لقد بلغ من التعظيم الغاية<sup>1</sup>.

عرف ابن سبعين بثقافته الصوفية الفلسفية اي انه مزج تصوفه بالفلسفة وفي هذا الشأن يقول عنه الفاسي « وكان علم الفلسفة قد غلب عليه فاراد ان يظهره متسترا في ستر وخفاء ، وغير مصطلح الفلاسفة في بعض الفاظه حتى لا تنفر النفس من مقاله.. و قد ادعى الى الترقى عن الفلسفة والتصوف بما انتحل من دعوى الاحاطة والتحقيق<sup>2</sup> .

نشأ ابن سبعين في عصر عرف ازدهار الفلسفة وظهور العديد من الفلاسفة امثال

<sup>1</sup> انظر: محمد ياسر شرف ،الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ،ص 17.

<sup>2</sup> أبو الوفا النفتازاني ،ابن سبعين وفلسفته الصوفية ،ص 67.



ابن رشد وابن باجة وابن طفيل فتسنى له بأن يتعرف على مصنفاتهم الا انه هاجمهم لتقليدهم المفرط لارسطو وفند ارائهم في العقل والنفس .وهاجم كذلك فلاسفة المشرق كالفارابي وابن سينا .

والسبب في هجوم ابن سبعين على جميع الفلاسفة على هذا الوجه هو أنه كان يرى انهم بالقياس اليه لم يتوصلوا الى الحقيقة وذلك لان هائل بالوحدة المطلقة وهي علم التحقيق واولئك الفلاسفة يعددون الوجود ويتحدثون عن مراتب وجودية وهمية ، على نحو ما بيناه بالتفصيل في مذهب ابن سبعين في القسم الثاني من هذا البحث<sup>1</sup>.

ان ما سبق أن دل على شيء إنما يدل على الاطلاع الواسع لابن سبعين على الفلسفة سواء كانت اليونانية او المشائية والدليل على سعة اطلاعه هو ما ظهر جلي في مصنفاته إلا انه لا يريد منا ان نقول انه تأثر بواحد من الفلاسفة او الصوفية المسلمين السابقين لانه لا يمكن لهم اي احترام او تقدير لانه ينتقدهم في كل فرصة تسنح له نقدا قاسيا لاذع مبالغا فيه<sup>2</sup>.

ان المخيلة الواسعة لابن سبعين والآمال الفكرية جعلته يترك ملفات كبيرة تعكس امكانيته العقلية والثقافية ويكون مميزا عن غيره وتتقسم هذه المؤلفات الى قسمين : كتب ورسائل لقد تركت هذه الكتب اثارا خطيرة نظرا للمواضيع التي طرقها حيث اختلف الجميع حول اعتقاده وتوجهه الفكري فمنهم من كفره امثال ابن تيمية ويقول دي بور : ان عبد الحق اخذ ينقل في شيء من الظهور الناشئ عن ضيق النظر ، اراء الفلاسفة القدماء والمحدثين .ولكن الشيء الوحيد الذي نستطيع ان نستنبطه من اجوبة ابن سبعين انه قراء كتبها كان يظن أنها لم تخطر على بال الأمبراطور<sup>3</sup>.

في حين هناك من يحترم ابن سبعين ويرفع من منزلته ويعترف بمكانته ويعلمه

<sup>1</sup> نفس المرجع ،ص 69.

<sup>2</sup> أبي محمد عبد الحق بن سبعين ،رسائل ابن سبعين ،تحق: عبد الرحمن بدوي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصر ،ص 12.

<sup>3</sup> دي بور ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،ص 400.

كالشعراني وابن الخطيب وابن الحبيب الذي ترجمه بانه : « صوفي متفلسف متزهّد متعبّد متكشف يتكلم على طريق اصحابه ، ويدخل البيت من غير ابوابه ، شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وينكرها بعض الاسماع .وقال لابي الحسن التستري عندما لقيه وقد سأله عن وجهته ..ان كنت تريد الجنة فشأنك ومن قصدت وإن كنت تريد رب الجنة فهلم الينا »<sup>1</sup>

### الإطار الفكري والصوفي لابن سبعين :

عرف العصر الذي عاش فيه ابن سبعين تقهقر وضعف في الفقه نظرا لغلق باب الإجتهداد رغم وجود محاولات بائسة للنهوض بالفقه الا انها رميت بالكفر والزندقة وكان لابن سبعين رأي مخالف حيث اجتهد في الفقه .فإذا عرفنا بشجاعته وقوته في توكله وعزمه الى جانب نصره صناعته وظهور حجته على أخصامه واقامته حفه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان لسانه ، ادركنا الأسباب التي جعلته ي زجح في إجتذاب الناس اليه ، من خلال ارائه الجريئة التي قال بها في وقت كان الإجتهداد فيه امرا مفروضا رسميا يعاقب الحاكم على مخالفته ، اوكان التقليد حرفيا لاتجوز مخالفته لكون المجتهد ربيب السلطة او من اعلامها على نحو غير مباشر<sup>2</sup>.

لقد اولى ابن سبعين اهمية كبيرة للغة العربية من ان يكمل اجتهاده وبحثه ويتسنى له الاطلاع على المذاهب والوقوف على العديد من المسائل الفقهية ، وخالف ابن سبعين الفقهاء في بعض المسائل وكان خلاف بالنوع والطريقة والغاية .  
في علم الكلام كان لابن سبعين مايقوله حيث عارض علم الكلام الذي كان سائد بكلام اخر وضع فيه ما يريده وكان يخوض في المسائل الكلامية في عصره رغم انه كان ضد علماء الكلام في تلك الفترة حيث تناول نماذج الإتجاهات الكلامية المختلفة بالنقد

<sup>1</sup> انظر :محمد ياسر شرف ،الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ،ص 46.

<sup>2</sup> نفس المرجع ،ص 57.

واستبدالها بمذاهب مخالفة معتمدة على البراهين الاقناعية .والاساس الذي تركز عليه الاراء الكلامية لابن سبعين هو « من أخلص لله واخلاصه ذاته ،وذاته جميع الامور كلها ،وتلك الامور عين نفسه هو السلام ومن علم الحق بعد ذلك ، وذلك الحق عين باطله كان المؤمن وذلك المؤمن هو ذلك الا انه مثل نفسه التي كان عليها التوجه واصطادها القصد المعتر»<sup>1</sup>.

وجه ابن سبعين نقده للفرق الكلامية حيث اعاب على المعتزلة وصفهم المعدوم بانه شئى وفسقهم في مسالة العفو الالهي وخالفهم في الشفاعة ، ورفع من مكانة العقل مع نبوه الاداة التي تضبط العين .

لابن سبعين استعدادات وميول وعواطف كغيره من المفكرين جعلته يجذب للطرق الصوفية فكانت وجهته نحو طريقة تصوف اندلسية شكلت ثقافته وأراءه في التصوف وهي الطريقة الشوذية<sup>2</sup>.

يقوم تصوف ابن سعين على هذه الطريقة السالفة الذكر التي تمزج التصوف بالفلسفة مع قولهم بالتحلل من الشريعة بسقوط التكاليف وعرف بانه كان يتقن تعاليجها لانه كان تلميذ لابو اسحاق بن دهاق تلميذ الشوذى .

كان ابن سبعين من الصوفية القائلين بالوحدة الذين عرفوا هجوما من جانب الفقهاء ونسبوا اليهم انهم كانوا يتحللون من الشريعة بالقول بسقوط التكاليف الا ان هذا الرأي لايصح في حق ابن سبعين لانه في رسائله كان يحث تلاميذته على التمسك بالشريعة وتقديمها على الحقيقة مع الوقوق على حدود الحلال والحرام .

وفي هذا الشأن يوصي ابن سبعين تلاميذه في إحدى رسائله قائلا :« حفظكم الله

<sup>1</sup> انظر: نفس المرجع ،ص 73.

<sup>2</sup> الطريقة الشوذية : تنتسب الى صوفي اندلوسي هو ابو عبدالله الشوذى ، الأشبيلي المعروف بالحلوي ذكرعنه ابن مريم في البستان انهكان امام العارفين وتاج الاولياء المحققينوسيد الصالحين ، ومن اكابرالعلماء العارفين بالله ولي القضاء باشبيليةآخر دوله بني عبدالمؤمن ، وتذكر له مناقب وكرامات كثيرة.

حافظوا على الصلوات ، وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات وكونوا أوابين توابين ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الاخلاق واعملوا على نيل الدرجات السنية ولا تغفلوا على الاعمال السنية ، وخلصوا مخصص الاعمال الإلهية ومهملها ، وذقوا مفضل اللذات الروحانية ومجملها ، ولازموا المودة في الله بينكم وعليكم بالإستقامة على الطريقة ، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة ولا تفرقوا بينهما لأنهما من الاسماء المترادفة ، وكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا وقولوا عليها وعلى اهلها لعنة الله لانها حقيقة كما سمي اللديغ سليما ، واهلها مهملون حد الحرام والحلال مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والإحرام قاتلهم الله أنى يؤفكون <sup>1</sup>»

عرفت الاندلس مدرسه ابن مسرة الصوفية وكان لها تلاميذ كثير وتعرف ابن سبعين على ابن مسرة وبعض مفكري عصره إلا انه كان يرى نفسه أعلى مكانة منهم ، وكان يرى بانه الافضل لابن العريف والغزالي في التصوف كما انه اطلع على مصنفات الغزالي ونقده نقدا عنيفا .

عرف ابن سبعين في المشرق الحلاج وشرح معنى التوحيد عنده وعرف السهروردي المقتول ومؤلفاته وفلسفته في الأنوار ، وكان شأن السهروردي عنده شأن سابقه فيراه اقل منه دراية .

قام ابن سبعين بنقد الصوفية السابقين عليه ، والمتتبع لأرائه فسيجد تشابه كبير بينها وبين اراء ابن عربي وذلك لانهما استمدا افكارهما من مصدر واحد ومزجا التصوف بالفلسفة والقول بالوحده وهذا يعني ان مدرستهما اخذتا من مدرسة واحدة وهي مدرسة لابن مسرة وهذا يرسم لنا صورة الفلسفة والتصوف في عصر ابن سبعين ومدرسته الصوفية في الاندلس .  
تعرف ابن سبعين على العديد من المذاهب الدينية والفقهية والديانات الغير اسلامية كالنصرانية وكان ملم بمذاهب الافرنج وعلاقتها بالفلسفة ومذاهب اليهود واخبار أنبيائهم

<sup>1</sup> أنظر :أبو الوفا النفتازاني ،وفلسفته الصوفية ، ص 75 .

وكتبهم وأخبارهم ومذاهب الهنود وغيرهم . وابن سبعين كان ذا معرفة بعلوم التعاليم (الرياضة)والفلك والطب ، وله إلمام كبير بعلوم الطبائع وتركيبها والنبات والحيوان<sup>1</sup> . ابن سبعين لم يقف عند رتبة الصوفي بل تجاوزها واول الدرجات عن ده في طريق الوصول الى معرفة الله هي :الصوفي للتجريد ثم المحقق لمعرفة الوجود ثم المقرب وهو الذي اجترأ من عين عينه على الاثر<sup>2</sup> . ان القدرة على الاستعاب والذكاء الخارق الذي يمتاز به ابن سبعين جعله يمتاز بثقافة واسعة وشاملة امتزجت فيها مكونات عديدة من مصادر اسلامية وغير إسلامية ومذاهب فلسفية لفلاسفة مسلمين ومن الفلسفة اليونانية ساعدته على بناء مذهبه الفلسفي .

<sup>1</sup> نفس المرجع،ص 83.

<sup>2</sup> انظر :محمد ياسر شرف ،الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ،ص 97.

الغرفة

لقد كان للحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي عاشها الغزالي دوراً كبيراً في تكوينه الفكري حيث أنه عاصر خلفاء و حكماء الدولة الفاطمية و حكام الولايات الإسلامية المغربية وشاهد الغزو الصليبي و تلك الفتن بين الفرق الإسلامية . فكان العالم يخشى على نفسه أن يتهم فيقتل إلا أن الغزالي سلق تلك الطوائف بلسان حاد و قلب زاهد و ما مكنه من ذلك ثقافته الواسعة و المتنوعة فكتب في مواضيع عدة فكانت له مصنفات كثيرة و عدد كبير من الطلاب و المعجبون به من أكابر و أمراء و من المشكلات التي بحث فيها مشكلة البحث عن اليقين حيث شك في المعارف الآتية من الحواس و العقل فدام على هذا الحال شهرين إلى أن شفاه الله بنور قذفه في قلبه فيحصر اليقين في أربع فرق وهم المتكلمون الذين يدعون إنهم أهل السنة و حراستها عن تشويش أهل البدعة بكلام مرتب . و درس الغزالي علم الكلام دراسة جادة فصله و عقله و صنف فيه إلا أنه وجده علماً وافياً بمقصود المتكلمين غير واف بمقصوده فانطلق لنقده مبين خطأ المتكلمين . وعكف على دراسة الفلسفة باحثاً عن اليقين فعرف علم الفلسفة و الفلاسفة إلا أنه لم يجد ضالته فاضطر إلى نقدهم و تبين تهافتهم إلا أن ذلك اتصف بالنزاهة العلمية بعيداً عن العصبية و هذا ما شهد به بلاسيوس لأن الغزالي يمثل عقلية الفيلسوف المسلم يحمل أفكار بصبغة عقلية متميزة . و بعد ذلك درس مقالات و أبحاث الباطنية و الإطلاع على كتبهم حيث أنهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم و المخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم و يرون العالم مصنوع مركب من أصليين قديمين أحدهما نور و الآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا و لن يزالا و نادوا بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، و النبي عندهم أقل مكانة من الإمام و أنكرو أن يكون القرآن الحالي كلام الله تعالى و إنما هو كلام محمد صلى الله عليه وسلم و أنكرو القيامة و أولوها بأنها رمز إلى خروج الإمام و قال عنهم الغزالي بأن غرضهم انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الخلق و يؤدون بهم في النهاية إلى هذيان و قال بفساد مذهبهم في كتاب القسطاس المستقيم و لا يوجد عندهم الشفاء المنجي من ظلمات الآراء و

يحولون القضايا التي لم يفهموها إلى الإمام الغائب و كانت محطة الإمام الغزالي الأخيرة عند الفرقة الرابعة و هم الصوفية الذين قيل عنهم أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء حيث أقيمت عليه الدنيا بعلمها و مالها إلا انه سلك طريق الزهد وجعل القلب أداة للمعرفة الصوفية و الكشف أرقى مناهج المعرفة وهذه الأخيرة متوقفة على نقاء القلب و طهارته . واليقين عند الغزالي لا يكون إلا عند الصوفيين لأنهم هم السالكون طريق الله و هو أصوب الطرق.



المصطفى

- معجم مصطلحات الصوفية:

اتحاد: تصير ذاتين واحدة وهو حال الصوفي الواصل وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث ان جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك.

اتصال: ان يرى العبد ذاته متصلة بالموجود الأحدي و الا يتقيد بوجود نفسه و ان يرى السالك اتصال المدد و الجود من غير انقطاع حتى يبقى الموجود باقيا بالله.

اثبات : ضد المحو وهو اقامة احكام العباداة.

اجتهاد : استفراغ الوسع في تحصيل امر من الامور مستلزم للكلفة و المشقة.

احد: هو اسم الذات مع اعتبار تعدد الصفات.

احسان: ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك و قيل الاحسان مقام يكون العبد فيه ملاحظا لآثار اسماء الحق وصفاته فيتصور في عبادته كأنه بين يدي الله تعالى.

اخلاص : اخراج القلب عن معاملة الله تعالى أي لايفعل فعلا الا الله تعالى وقيل الاخلاص ان تكون جميع حركاته و سكناته وقيامه وعوده و تقلباته و افعاله و اقواله لله تعالى.

-ارادة: ان يعتقد الانسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريد و قيل الاقبال بالكلية على الحق والاعراض من الخلق وهي ابتداء المحبة.

-اربعينية: رياضة صوفية فيها يضبطون احوالهم بالاعتزال من الناس وقلة المنام والطعام و مداومة الذكر.

-استقامة: ان تجمع بين اداء الطاعة واجتناب المعاصي وحققتها لا يطبقها إلا الأنبياء و اكابر الأولياء.

-اصول: مثل التوحيد و المعرفة والايمان و اليقين و الصدق و الاخلاص.

-اطوار: الاطوار السبعة عبارة عن الطبع و النفس و القلب و الروح و السر و الخفي والاخفى.

- اعتكاف: تفرغ القلب عن شغل الدنيا, و تسليم النفس الى المولى وقيل هو الاقامة ومعناه لا ابرح عن بابك حتى تغفرلي .

-افق : الافق الاعلى هو نهاية مقام الروح وهي الحضرة الواحدية و حضرة الألوهية

-الهام: مايلقى في الروح بطريق الفيض وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بأية ولا نظر في حجة، وهو حجة عند الصوفيين و ليس بحجة عند العلماء.

انس: التزاد الروح بكمال الجمال و هو اثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية في القلب وهو جمال الجلال وقيل الانس ضد الهيبة و قيل مع الهيبة.

-ايثار: من اخلاق الصوفية و يحملهم على ذلك قوة اليقين شرعا و فرط الشفقة و الرحمة طبعاً. برق: اول ما يبدو للعبد من اللوامع النورية فيدعوه الى الدخول في حضرة القرب من الرب للسير في الله.

بشر: من اخلاق الصوفية و الصوفي بكائه في خلوته و بشره و طلاقة و جهه مع الناس, فالبشر على وجهه من آثار انوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفي منازل الهيبة و مواهب قدسية يرتوى منها القلب و يمتليء فرحاً و سروراً.

بصيرة: قوة للقلب منورة بنور القدس، منكشف حجابها لهداية الحق ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الاشياء وظواهرها و تسمى القوة القدسية.

تجريد: خلو قلب العبد وسره عما سوى الله بمعنى ان يتجرد بظاهرة عن الأعراض وبباطنه عن الأعراض وهو ألا يأخذ من عرض الدنيا شيئاً ولا يطلب عما ترك منها عوضاً من عاجل ولا أجل بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة غيره و لا لسبب سواه.

تجل: إشراق أنوار اقبال الحق على قلوب المقبلين عليه و قيل ما ينكشف للقلوب من انوار الغيوب.

تحرير: منازل تتولى قلوب العارفين بين اليأس و الطمع في الوصول الى مطلوبه و مقصوده ولا تطمعهم في الوصول فيرتجوا ولا تؤسبهم عن الطلب فيستريحوا فعند ذلك يتحبرون.

تخل: التخلي اختيار الخلوة والأعراض عن كل ما يشغل عن الحق وقيل التخلي هو العزلة لانه لم يقو على نفسه وضعف فاعتزل من نفسه الى ربه.

-تسليم: الانقياد لامر الله تعالى وترك الاعتراض فيما لا يلائم و قيل هو الثبات عند نزول البلاء من غير تغير في الظاهر و الباطن.

-التصوف: هو التخلق با لخلق الالهية بالوقوف مع الاداب الشرعية ظاهراً فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للتأدب بالحكمين كمال.

-تعوذ: يستعمله الصوفي عند النزعات الشيطانية في الخواطر الجسمانية او الروحانية او من الخواطر عموماً فيما سوى الله.

توبة: قال الجنيد التوبة هي ان تنسى ذنبك وقال سهل هي ان لا تنسى ذنبك وقال الثوري هي ان تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى.

جذب: عبارة عن جذب الله تعالى عبداً الى حضرته.

جنائب: هم السائرون الى الله في منازل النفوس ، حاملين لزداد التقوى و الطاعة مالم يصلوا الى مناهل القرب حتى يكون سيرهم في الله.

جوع: على اربعة اوجه للمريد رياضة و للتائبين تجربة وللزهاد سياسة و للعارفين مكرمة ومن ادب الجوع الصوفي ان يكون الفقير معانقا للجوع في وقت الشبع حتى اذا جاع يكون انيسه.

حال: هو ما يرد على القلب من طرب او حزن او بسط او قبض. وتسمى الحال بالوارد ايضا، ولذا قالوا لاورد لمن لا وارد له. وقيل الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه.

حجب: عند اهل الحق انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق.

حركة : السلوك في سبيل الله تعالى .

حلول: قال بعضهم ان الله يحل في العارفين وقيل ان الله تعالى الله قلبه، وتجري ينابيع الحكمة من قلبه .

حيرة: بديهية ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم تحجبهم عن التأمل والفكرة، قال الواسطي: حيرة البديهية اجل من سكون التولي عن الحيرة.

خالصة: أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتنابهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهياً لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم في العمل و الخدمة على الألفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه.

خرقة: ليس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المرید وتحكيم من المرید للشيخ في نفسه، وفيها معنى المبايعة وهي عتبة الدخول في الصحبة، وبالصحبة يرجى للمرید كل الخير وياخذ الشيخ على المرید عهد الوفاء شرائط الخرقة ويعرفه حقوقها.

-خشوع: الانقياد للحق و قيل هو قيام القلب بين يدي الحق سبحانه وقال الحسن البصري الخشوع الخوف الدائم اللازم للقب وقيل عن علاماته ان صاحبه اذا اغضب او خوف اورد عليه فانه يستقبل ذلك بالقبول.

-خطرات: هي كل ما يمر في القلب من احكام الطريقة.

خلوة: هي العزلة عند بعضهم وغير العزلة عند البعض الاخر فالخلوة من الاغيار و العزلة من النفس وما تدعو اليه ويشغل عن الله فالخلوة كثيرة الوجود و العزلة قليلة الوجود .

دنيا : ما شغلك عن الله تعالى ، قال عليه السلام الدنيا دار من لا دارله، ولها يجمع من لاعقل له.

ذكر: هو الخروج من ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف او لكثرة الحب وهو بساط العارفين ونصاب المحبين وشراب العاشقين.

ذو العقل: هو الذي يرى الخلق ظاهرا ويرى الحق باطنا فيكون الحق عنده مرآة الخلق لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة.

-ذوق: نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب اوليائه يفرقون به بين الحق و الباطل من غير ان ينقلوا ذلك من كتاب اوغيره وهو كالشراب.

رضا: سكون القلب تحت جريان الحكم.

رين: حجاب القلب لا يمكن كشفه الا بالايمان وذلك الحجاب هو الكفر والضلال.

زوائد: أنوار القلب, وزيادة الإيمان بالغيب واليقين وكلما ازداد الإيمان واليقين زاد الصدق والإخلاص في الأحوال والمقامات والإرادات والعاملات.

زهدي: قال الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد.

سائحون: يطلق على الصوفية أنهم السائحون لأنهم طلاب علم يطلبونه ولو في الصين.

سريرة: المرتبة الرحمانية هي في المكانة الإلهية.

سفر: هو توجه القلب الى الحق.

سكينة: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب وهي نور في القلب يسكن الى شاهد ويطمئن.

سلوك: تهذيب الأخلاق ليستعد العبد للوصول بتطهير نفسه عن الأخلاق الذميمة والنهج على الأخلاق الحميدة.

شراب : العشق.

شرب: تلقي الأرواح والإسرار الطاهرة لما يرد عليها من الكرامات وتنعّمها بذلك.

شطح: كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه مستلبا ومحفوظا.

شوق: هيجان القلب عند ذكر المحبوب.

صحو: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه وعكسه السكر.

صراط: الطريق إلى الكشف عن تنوعات تجليات الحق تعالى لنفسه بنفسه.

طبيعة: الحقيقة الإلهية الفعالة للصور كلها.

طوارق: ما يرد إلى القلب من بشارة أو زجر في أثناء مناجاة الليل.

غرباء: يسمى الصوفية غرباء لخروجهم عن الاوطان.

فراصة: مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب وهي من مقامات الايمان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقوا فراصة المؤمن فانه ينظر بنور الله».

مجاهدة: صدق الافتقار الى الله تعالى بالانقطاع عن كل ما سره وقبل بذل النفس في رضاء الحق ، وقبل قظام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن الاماني والشبهات.

مريد: من انقطع الى الله عن نظروا واستبصار وتجرد عن ارادته اذ علم انه ما يقع في الوجود الا ما يريد الله تعالى للا ما يريد غير فيمحو ارادته الا ما يريد الحق<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>د: عبد المنعم الحنفي, معجم مصطلحات الصوفية , دار المسيرة بيروت. لبنان , ط 2 , 1987



الله المصطفى والمراد

1. قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

أولاً: المصادر.

\* القرآن الكريم

- 1) ابن عربي، رسالة الأمر الحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط استنبول، 1315هـ.
- 2) ابن عربي، رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الحلوة من الاسرار، القاهرة، 1332هـ
- 3) ابو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، المطبعة العثمانية ، ط 1 ، 1933 .
- 4) ابو حامد الغزالي ، اداب الصح بقاء والمعاشرة ، تحقق: محمد سعود المعيني ، مطبعة العاني. بغداد ( د . ت).
- 5) ابو حامد الغزالي: الحام العوام عن علم الكلام ، المكتبة الازهرية للتراث مصر ، 1998.
- 6) ابو حامد الغزالي: المنفذ من الضلال تحقق: محمود بيحو ، دار التقوى ، دمشق ، ط 2 ، 1992 .
- 7) ابو حامد الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، تحقق: سليمان دينا ، دار المعارف مصر ، ط 4 ، 1966 .
- 8) ابو حامد الغزالي ، دراسة في فكره و عصره و تأثيره ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط سلسلة: ندوات و مناظرات رقم 9.
- 9) ابو حامد الغزالي، فضائح الباطنية ، تحقق: عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.
- 10) ابو حامد الغزالي ، فضائح الباطنية ، راجع: محمد على قطب ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، 2001م.
- 11) ابو حامد الغزالي ، فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، تحقق : سليمان دنيا، ط1.

- 12) ابو حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، قدم له احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988 .
- 13) ابو حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، قدم له: موفق فوزي الجبر، الحكمة للطباعة والنشر ،دمشق،سورية ط1، 1994
- 14) ابو حامد الغزالي ،الوجيز تحقق:علي معوض ،عادل عبد الموجود،الارقم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ط1997،1.
- 15) ابو حامد الغزالي.الاقتصاد في الاعتقاد.تحق انصاف رمضان.دار قتيبة للطاعة والنشر والتوزيع .ط1 2003 .
- 16) أبو حامد الغزالي ،بداية الهداية ،دار صادر ،بيروت ،ط1، 1998.
- 17) أبو حامد الغزالي ،منهاج العابدين الى جنة رب العالمين ، تحقق:محمود مصطفى حلاوي،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1، 1989.
- 18) ابو حامد الغزالي ،ميزان العمل ،حققه قدم له:سليمان دنيا ،دار المعارف،مصر ، ط1،1964.
- 19) ابوحيان التوحيدي ، ثمرات العلوم مع كتاب لأدب ولانتشاء في الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، 1323هـ .
- 20) أبو نصر الفارابي ، كتاب الجمع بين رأي الحكيمين قدم له:ألبير نصري نادر دار المشرق ،بيروت، لبنان ،ط2.
- 21) أبو نصر الفارابي ،إحصاء العلوم ، مركز الإنماء القومي ،لبنان، 1991.
- 22) أبي الحسن الأشعري ، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام ،قد:محمد الولي الأشعري ،دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،لبنان ،ط1، 1995.
- 23) أبي محمد عبد الحق بن سبعين ،رسائل ابن سبعين ،تحق: عبد الرحمن بدوي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصر .

- 24) احسان انهى ظهير ، التصوف المنشأ والمصدرو ، ادارة ترجمان السنة ، ط 1 ، 1986 .
- 25) احمد شبلي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج 2 .
- 26) التفتازاني ، شرح المقاصد ، تحقق: عبد الرحمن عميرة ، منشورات الشريك الرضي ، ط1، 1989.
- 27) الحلاج ، السيرة الشعبية للحلاج ، تح ق: رضوان السح ، دارصادر ، بيروت ، لبنان، ط1، 1998.
- 28) الشهر شاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل و النحل ، ج 1 ، دار الكتب العلمية (د- ط-ت) بيروت .
- 29) الفارابي ، إحصاء العلوم ، تحقق: د: عثمان أمين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3، 1969.
- 30) القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، تحقق: عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة مصر، ط2، 1988 .
- 31) القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ، ط1 ، 1972م .
- 32) تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، ط 1 ، 1384 هـ .
- 33) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- 34) زكي مبارك، الاخلاق عند الغزالي ، منشورات المكتبة العصرية بيروت . د. ت.
- 35) ستيفن نيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، تر: د السيد الباز العريني دار الثقافة وبيروت، 1968 .

- (36) عبد الدايم أبو العطاء ألبقري الأنصاري، اعترافات الغزالي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1971.
- (37) عبد الفتاح محمد سيد احمد ، التصوف بين الغزالي وابن تيمية ، دار الوفاء ، ط 1 ، 2000 .
- (38) عبد اللطيف عبد الله دهيش ، قيام الدولة العثمانية ، ط 2 مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة . 1995 .
- (39) علي محمد الصلابي ، دولة السلاجقة ، ط 1 مؤسسة اقرا، القاهرة مصر . 2006 .
- (40) محمد احمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، مكتبة الأقصى ، عمان، 1986 .
- (41) مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية ، دار ومكتبة الهلال بيروت 1998 .
- (42) مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت 1998 .
- (43) هنري كوريان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، راجعه: موسى الصدر ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1998 ، ط 170 .

ثانياً: المراجع.

- 1) ابراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976 ، ج2.
- 2) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الشعب القاهرة.
- 3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، دار الفكر بيروت ، 1978.
- 4) ابو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدجل الى التصوف الاسلامي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة ، ط3 ، 1979 .
- 5) أجانس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر:محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، دار الكتب الحديثة ،مصر .
- 6) احمد صبحي الزبيدية ، ج1 ، م2 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1980 .
- 7) احمد كمال الدين حلمي ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت.
- 8) احمد محمود صبحي ، في علم الكلام ، مؤسسة الثقافة الاسلامية الاسكندرية .الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج و ، دار الكتب العلمية بيروت .
- 9) احمد ملاح ، المختصر في تاريخ الفلسفة الغربية ، رياض العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 .
- 10) الايجي ، الموافق ، استنبول ، تركيا ، 1286هـ.
- 11) البغدادي عبد القاهر ، الفرق بين الفرق ، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة.
- 12) الخياط :الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد وما قصديه من الطعن على المسلمين تحقق: نيبيرج ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، 1925 .

- 13) الشبايني ، الكامل في تاريخ تحق: ابو الفداء عبد الله القاضي ، ط 2 ، دار الكتب العلمية بيروت 1995 .
- 14) الطوسي أبو نصر السراج ، كتاب اللمع، بتحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي ، دار الكتاب الحديثة، مصر ، 1960.
- 15) القرضاوي ، الإمام الغزالي بين ماد حيه وناقديه ،مؤسسة الرسالة، ط4 1994.
- 16) الكلابادي ، التعرف لمذهب اهل التصوف ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2001 .
- 17) المجذوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بأفريقية الى القيام الدولة الزيرية الدار التونسية، 1976.
- 18) النوبخي ، فرق الشيعة ، تحق عبد المنعم الحنف ، دار الرشد القاهرة ، ط 1، 1992.
- 19) إبراهيم عاتي الإنسان في الفلسفة الإسلامية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.
- 20) احمد الطيب ،الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة ،دار القدس العربي القاهرة، ج2، ط1، 2014م.
- 21) أحمد فؤاد الأهواني ،في عالم الفلسفة ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،مصر.
- 22) أسامة شحادة ،هيثم الكسواني ،الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،مصر ، ط1 ، 2007.
- 23) أحمد حسين شرف الدين ،تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ، ط2 ، 1400هـ.
- 24) أبو الوفاء الغنيمي التفننا زاني ،مدخل إلى التصوف الإسلامي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر، ط3 ،دت .
- 25) أبو المعالي الجويني ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ،تقديم ، تحق :احمد حجازي السقا ،مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ،مصر ، ط1 ، 1979

- 26) أبو سعيد الخراز ، الطريق إلى الله «كتاب الصدق» تحقق: عبد الحلیم محمود ، دار المعارف ، ط5.
- 27) أبو طالب المكي ، قوت القلوب ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة ، مصر ج1، 1985.
- 28) ابن عباد أنفري الرندي ، غيث الواهب العلية في شرح الحكم العطائية، تحقق: عبد الحلیم محمود ، محمود الشريف ، مطبعة السعادة ج1 ، 1970.
- 29) اوليري ، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، تر: تمام حسان ، القاهرة 1961.
- 30) اسين بلانثيوس ، ابن عربي حياته ومذهبه ، تر: عبد الرحمن بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية
- 31) اسماء خوالدية ، صرعى التصوف ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2014.
- 32) اباكار السقاف ، الحلاج ، رامتان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1995
- 33) أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1973.
- 34) ابراهيم مدكور ، في الفلسفة الاسلامية ، ج2.
- 35) بندلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ط2 ، 1981
- 36) توفيق الطويل ، العرب والعلم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1978 .
- 37) جمال المرزوقي ، دراسات في علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، دار الافاق العربية ، مصر ط1، 2001.
- 38) حسام الالونسي ، ابو حامد الغزالي واثره على الفكر الانساني ، بيت الحكمة ، العراق ، ط1 ، 2011.
- 39) حسن محمد الشرقاوي : ألفاظ الصوفية و معانيها ، دار المعارف الجامعية ، 1983 .
- 40) حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد 1965.



- 41) حسن الفاتح قريب الله ، دور الغزالي في الفكر ، مطبعة الامانة ، مصر ، 1978 والدراسات الإسلامية ، العدد الرابع 1985م .
- 42) رفيق العجم ، المنطق عند الغزالي ، دار المشرق ، بيروت ، ط 1، 1989.
- 43) سعد رستم ، الفرق والمذهب الإسلامية ، الأوائل للنشر والتوزيع سورية، دمشق ، ط 3 ، 2005 .
- 44) سليمة محفوظي ( ابعاد التصوف ) مجلة عود الند ، العدد 69 و مارس 2012.
- 45) سليمان دنيا ، الحقيقة في نظر الغزالي ، دار المعرفة بمصر 1965
- 46) سعيد زايد ، سلسلة نوابغ الفكر -الفارابي- دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط 3 .
- 47) سميح دغيم ، موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2002.
- 48) شمس الدين الذهبي، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ط 7 .
- 49) صالح الشامي ، الامام الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1993 .
- 50) صهيب سمران ، مقدمة في التصوف ، دار المعرفة ، دمشق ، ط 1 ، 1989 .
- 51) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، مكتبة مدبواي ط 2 ، 1999.
- 52) عبد الرحمن وكيل ، هذه هي الصوفية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1979 .
- 53) عبد المجيد ابو الفتوح ، التاريخ السياسي والفكري ، دار الوفاء المنصورة مصر ط 2 ، 1988.
- 54) عبد المنعم الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة بيروت. لبنان ، ط 2 ، 1987
- 55) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك، دار المصرية اللبنانية ص 353 .

- 56) عبده غالب احمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.
- 57) عصام محمد شيارو، السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية لبنان 1994.
- 58) علي محمد الصلابي، سيرة الامام الغزالي، دار ابن الحوزي، القاهرة، مصر، 2007
- 59) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ط 1، دار المعرفة - 2005 م.
- 60) عبد الكريم العثمان، سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، قدم له :احمد فؤاد الأهواني، دار الفكر، دمشق، دت
- 61) عبد الحميد درويش النساج، الفارابي وفلسفة العقل، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ط1، 2014.
- 62) عبد القادر محمد الحسين، إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري المشرق للكتاب، دمشق ط1، 2010
- 63) عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر العربي، مصر.
- 64) عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ط 3، 1982.
- 65) عاطف العراقي، ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002.
- 66) علي سامي النشار، منهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، 1966.
- 67) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط9.
- 68) عبد الحفيظ فرغلي، علي القرني، الشيخ الأكبر محي الدين بي العربي سلطان العارفين الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
- 69) عبد الحلیم محمود، قضية التصوف، المنقذ من الضلال

- 70) عبد القادر حبيب الله السنري ،كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق،دار البخاري ،بريدة ،المدينة،ج2 ،ط1 ،1991.
- 71) عبد الحليم محمود ،التفكير الفلسفي في الاسلام ،دار المعارف ،ط2.
- 72) عباس محمد حسين سليمان ،الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الاسلامي ،دار المعرفة الجامعية ،1998.
- 73) فتح الله خليف ،ابن سينا ومذهبه في النفس ،دار الأحد البحيري ،بيروت، لبنان،1974.
- 74) فرج أنطون ،ابن رشد وفلسفته ،تقديم :طيب تيزيني ،دار الفارابي ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1988.
- 75) قاسم محمد عباس ،الحلاج الأعمال الكاملة ،رياض اليس للكتب والنشر ،مصر ،ط 1 2002.
- 76) ماجد فاخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، قر:د كمال اليازجي ، الدار المتحدة بيروت، 1979.
- 77) ماسينيون، مصطفى عبد الوزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، ط1 ، 1984 .
- 78) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الامم والملوك، دار الفكر ، دمشق 1979م .
- 79) محمد بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- 80) محمد رضا المظفر، الفلسفة الاسلامية، دار الصفاة ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1993.
- 81) محمد صالح محمد السيد ، مدخل الى علم الكلام ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2001 .
- 82) محمد كرد علي ، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1969م .
- 83) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، بيروت ، ط4 ، 1982 .
- 84) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ، ط 2 ، دار النهضة العربية، بيروت . 1999 .

- 85) محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، ط 5 ، 1973 .
- 86) مصطفى الشكعة ، اسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، ط 8 ، 1991 .
- 87) مصطفى عبد الرزاق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ط 2 ، 1959 .
- 88) محي الدين عزوز ، اللامعقول وفلسفة الغزالي ، الدار العربية للكتاب ، 1983 ، ص 78 .
- 89) محمد عبد الستار نصار (الجانب المنطقي في فلسفة الغزالي) حولية كلية الشريعة
- 90) محمد غلاب ، المعرفة عند مفكري المسلمين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966 .
- 91) محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، دار المعارف ، القاهرة .
- 92) محمود عقيل بن علي المهدي ، دراسات في الفلسفة الإسلامية دار الحديث ، القاهرة ، ط 2 .
- 93) محمد علي أبوريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعة 1980 .
- 94) محمود قاسم ، نظرية المعرفة عند ابن رشد ، مكتبة الانجلو المصرية .
- 95) محمد عمارة ، ابن رشد بين الغرب والإسلام ، نهضة مصر ، مصر 2004 .
- 96) مصطفى غالب ، الحركات الباطنية في الإسلام ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- 97) مجدي محمد إبراهيم ، التصوف السني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2006 .
- 98) السهروردي ، عوارف المعارف ، مكتبة القاهرة ، 1973 .
- 99) محمد ابراهيم الفيومي ، ابن عربي صاحب الفتوحات المكية ، الدار المصرية اللبنانية . المصرية ، القاهرة ، 1965 .
- 100) محمد إبراهيم الفيومي ، ابن عربي حياته ومذهبه ، تر: عبد الرحمن بدوي ، مكتبة الأنجلو .

- (101) محمد ياسر شرف، الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ، دار الرشيد للنشر 1981
- (102) محمود القاسم ،محي الدين بن عربي ،مكتبة القاهرة الحديثة ،ط1 ،1972.
- (103) هنري كريان ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،قد:موسى الصدر،عويذات للنشر والطباعة بيروت ،لبنان ،ط2 ، 1998 .
- (104) يحيى بن شرف النووي ،رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ،اخرجه احمد إبراهيم زهوة ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،2006.
- (105) يوسف محمود الصديقي ، أصول العلم عند القاضي عبد الجبار ، د ت.
- (106) يوسف ابراهيم الشيخ ،اثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ،دار المعالي ،عمان الاردن ،ط1 ،1998.

ثالثاً: المجلات والدوريات.

- 1) ابراهيم أحمد الديبو (مواقف الامام الغزالي من الكلام وأدلة المتكلمين ) مجلة جامعة دمشق للعلوم لاقتصادية والقانونية المجلد7، العدد3، 201،.
- 2) احمد النيفر (اثير الغزالي السياسي في المغرب الموحد) مجلة المسلم المعاصر العدد 54 فبراير 1989 المجلد.
- 3) محمد جلوب الفرحان ( حدود وساطة المنهج العقلاني الرشدي) مجلة اوراق فلسفية ، العدد5 ، جانفي 2012 ، يصدرها مركز دريد للدارسات-كندا.
- 4) محمد عبد الستار نصار (الجانب المنطقي في فلسفة الغزالي) حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الرابع 1985م .
- 5) محمد غازي (فلسفة العقل عند ابي حامد الغزالي ) مجلة الباحث العدد السادس -جانفي- جويلن2012- تصدر عن المدرسة العليا للاساتذة بوزيعة الجزائر .

2. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية.

- 1) -De Boer, in Geschichte der Philosophie in Islam, 1901. George Allen and Unwin, The Faith and Practice of Alghazali, 1953,.
- 2) Osman Baker LHE Meaning and Significance of Doubt in AL Ghazzali's Philosophy. The Islamic Quarterly 146 { 31-44 } Park Road. London N. W 8. 1986.
- 3) Russell(B); Mysticism and Logic, selected papers of the Modern Library New York, 1927
- 4) Spencer Trimingham The Sufi Orders in Islam London 1971
- 5) Stace; Magic and Philosophy; Mac Millan; London 1961.
- 6) SR-ShafaQ-SOME Additional teachings of al-GHOZALI The MUSLIM WORLD- V- 44-1954.
- 7) Tony Street, Arabic and Islamic Philosophy of Language and Logic, Stanford Encyclopedia of Philosophy, 2008.
- 8) Watt Montgomery, Al-Ghazali the Muslim Intellectual, Edinburgh University Press, 1963.
- 9) Watt. Montgomery, The Faith and Practice of Al-Ghazali London, 1953.

## الفهرس

الصفحة	العنوان
	كلمة الشكر
	الإهداء
أ-هـ	المقدمة
	<u>الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي وظهور منهج</u>
	<u>الشك عنده</u>
11	المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية لعصر الغزالي.
20	المبحث الثاني: نشأة المدارس النظامية ومكانة الغزالي ودوره فيها.
34	المبحث الثالث: نظرية المعرفة ودور المنطق لا عند الغزالي.
40	المبحث الرابع: منهج الشك عند الغزالي.
	<u>الفصل الثاني: حقيقة علم الكلام وموقف الغزالي منه ومن المتكلمين</u>
46	المبحث الاول: نشأة وأهداف علم الكلام.
56	المبحث الثاني: ارتباطات وعلاقات علم الكلام وظهور الفرق الكلامية.
68	المبحث الثالث: مكانة ودور علم الكلام عند الفلاسفة المسلمين.
93	المبحث الرابع: موقف ابو حامد الغزالي من علم الكلام والمتكلمين.
	<u>الفصل الثالث: موقف الامام الغزالي من الفلسفة والفلاسفة.</u>
97	المبحث الاول: دراسة ابو حامد الغزالي للفلسفة.
100	المبحث الثاني: أصناف الفلاسفة وأقسام علومها.
105	المبحث الثالث: دور وموقف الفلاسفة الاسلاميين من الفلسفة
133	المبحث الرابع: موقف أبو حامد الغزالي من الفلاسفة.
	<u>الفصل الرابع: الحركات الباطنية في العالم الاسلامي وموقف الغزالي منها</u>



139	المبحث الاول: نشأة الباطنية ووصولها للعالم الاسلامي.
145	المبحث الثاني: الأثر الفكري والسياسي والاجتماعي للحركات الباطنية في العالم الاسلامي.
149	المبحث الثالث: تأثير الحركات الباطنية على المذاهب
175	المبحث الرابع: موقف أبو حامد الغزالي من الحركات الباطنية.
	<u>الفصل الخامس: حقيقة التجربة الصوفية ووصول الغزالي الى اليقين.</u>
179	المبحث الاول: التصوف الأصل والنشأة.
184	المبحث الثاني: الأسس و المذاهب الصوفية.
194	المبحث الثالث: حقيقة منهج الغزالي ووصوله لليقين.
203	المبحث الرابع: المشاهدة والكشف في منهج الغزالي والوصول إلى السعادة.
	<u>الفصل السادس: النبوة عند الغزالي وحقيقة التصوف الفلسفي .</u>
230	المبحث الأول: النبوة عند الغزالي واضطرار الخلق إليها.
236	المبحث الثاني: طريق الهداية وعقبات طريق العبادة عند الغزالي.
253	المبحث الثالث: حقيقة التصوف الاسلامي والتصوف الفلسفي.
261	المبحث الرابع: نماذج لشخصيات التصوف الفلسفي.
286	الخاتمة.
289	معجم المصطلحات
297	قائمة المصادر والمرجع
311	الفهرس